شَرْحُ

مَتْنِ ثَلاثَةِ الأُصُولِ

للشيخ محمد بن عبد الوهاب

- رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى -

لفضيلة الشيخ

أبي عبد الأعلى خالد بن عبد الرحمن المصري

- حَفِظَهُ اللهُ تَعَالى -



دار أهل الحديث والأثر

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَن اتَّبَعَ هُدَاه أمَّا بَعْدُ،
هذا شرح متن (**الأصول الثلاثة**) للإمام محمد بن عبد الوهاب – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – وكان قد سبق لي شرح هذا المتن منذ ما يقرب من عامين أو يزيد شرحًا موجزا مبسطا ، وبالنسبة لترجمة الإمام محمد بن عبد الوهاب – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – فنحن قد ذكرناها من قبل في ما يقرب المجلسين فِي بداية شرح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب، فلا حاجة للإعادة، من أحب أن يرجع إلى الترجمة إن شاء الله فهي مسجلة وموجودة إن شاء الله ؛ ولكن يعني نقول كتعريف موجز للإمام نقول أن الإمام محمد بن عبد الوهاب – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – كان إماما من أئمة السنة وكان إماما مجددا وقد حضرا الله به نجد وكان سببًا في أن تتحول الأحوال هناك من الجهل والشرك والوثنية إلى التوحيد والسنة والإتباع للسلف؛ وكل العلماء الذين من ننتفع بعلمهم الآن يعني من الأئمة المعروفين عندكم نحو الإمام ابن باز – رحمه الله –، والإمام ابن عثيمين – رحمه الله –، ومن قبلهما الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ – رحمه الله – ومن الأحياء الشيخ الفوزان، والشيخ ربيع بن هادي المدخلي، والشيخ عبد المحسن العباد ، والشيخ عبيد الجابري، إلخ – حفظ الله الجميع – ، إلى آخر أئمة السنة المعاصرين والذين جاءوا من بعد الإمام محمد بن عبد الوهاب، كل هؤلاء ثمرة من ثمرات الإمام محمد بن عبد الوهاب، فكل هؤلاء العلماء ما هم إلا النتيجة لجهاد الإمام محمد بن عبد الوهاب في قمع الشرك وفي نصر التوحيد وفي تصنيف المصنفات التي من خلالها جددت دعوة التوحيد، فكان هؤلاء العلماء ثمرة لهذه الدعوة، ويعني بدء من هذا المجلس الذي نحن نجلسه الآن هو ثمرة صغيرة من ثمرات هذا الإمام ؛ نحن نجلس الآن لكي نشرح هذا المتن الذي وضعه لتجديد هذا الدين، فهذه بركة العلم النافع وبركة العلماء، أن الله سبحانه وتعالى يحيي بهم القلوب ويحيي به الأمم ولذلك كل من خالف هذا السبيل سبيل العلم النافع والدعوة على بصيرة فإنه يفسد أكثر مما يصلح ويكون وبالاً على هذه الأمة، فما انتصر هذا الدين أبدا بالعواطف الكاذبة ولا بالحماسة المبنية على الهوى؛ إنما انتصر بالعلم المبني على الوحي الإلهي الذي هو به نعرف الحق من الباطل ؛ وما كان

الإمام محمد بن عبد الوهاب بدعا من العلماء بل هو سار على طريق من سبقه، على طريق أصحاب النبي – صَلّى اللهُ عَليهِ وعَلى آلــهِ وسَلّم – ، وعلى طريق التابعين لهم بإحسان، فلم يأت بدعوة جديدة كما يدندن الشيعة الرافضة ومن تبعهم من المخرفين المتصوفة وغيرهم من الأحزاب والفرق، إن الإمام محمد بن عبد الوهاب ليس صاحب دعوة بدعية ليس هناك ما يسمى بالدعوة الوهابية هذه الدندنة إنما يعني هي من شنشنة الشيعة الرافضة هم الذين أشاعوا هذا الأمر بين المسلمين حتى ينفّروا المسلمين عن دعوة الإمام المجدد التي هي دعوة التوحيد، كما يفعلون الآن فليس بالجديد عليهم كما فعل أشياعهم من قبل مع النبي – صَلّى اللهُ عَليهِ وعَلى آلــهِ وسَلّم – فلقبوه بالساحر وبالكاهن وبالمجنون إلى آخره، والغرض من هذه الألقاب التنفير، أن ينفّروا الناس عن الدعوة الصحيحة، وهذا كله من كيد الشيطا ن، فوفق الله – سبحانه – الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى تصنيف هذا المتن الصغير الذي سماه " **الأصول الثلاثة**"، حتى يكون عونا للمسلمين على معرفة أصول دينهم دون تطويل ودون تفصيل ليس في مقام المبتدئين أو في مقام الصبيان .

إن هذا المتن كان يدرس بعد ذلك للصبيان وللصغار، ولكن أهل العلم تعارفوا بعد ذلك على أن طالب العلم المبتدئ الذي لم يدرس التوحيد أن يبدأ بهذا المتن.

والإمام محمد بن عبد الوهاب قد كتب أكثر من رسالة حوالي أربع رسائل تقريبا تسمى "**الأصول الثلاثة**" هذه الرسائل الأربع يعني موجودة في المجلد الأول من "الدرر السنية في الفتاوى النجدية" بدءً من الصفحة 125إلى الصفحة 158من المجلد الأول.

ولكن الرسالة التي اشتهرت من الرسائل الأربع وصار عليها المعتمد وطبعت طبعات عديدة مفردة هي التي سوف نشرحها هذه الليلة والتي شرحها من قبل عددا من العلماء.

ونقول أولا في بداية هذا المتن،

(**الأصول**) جمع **أَصْل**، وهو الأصْلُ كما قال الفيروز آبادي في القاموس المحيط، هو أسفل الشيء، ويُجمع على آصِل وأُصُول، ويقال **أَصُلَ** كـــ (كَرُمَ) أي صار ذا أصل أو ثبت ورسخ أصله.

وبدأ المصنف هذا المتن بالبسملة

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى– :

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم)

البسملة؛ المشهور أن الإمام محمد بن عبد الوهاب قد بدأ هذا المتن بالبسملة، ولذلك كل من شرح هذا المتن بدأ بشرح البسملة باستثناء نفر يسير من أهل العلم من الذين ما بدءوا شرح المتن بالبسملة، نحو الشيخ عبيد الجابري فإنه بدأ من أول قوله اعلم رحمك الله وكأنه يعني يرى أن المصنف ما بدأ بالبسملة أو لأنه اعتمد على من سبقه وشرحها فلم يرد الإطالة في شرحها .

والبسملة هي سنة متبعة في البدء بها في الكتب والرسائل والخطب، ولقد بدأ - سُبْحَانهُ وتَعَالى - سور القرآن بالبسملة بـ "**بسم الله الرحمن الرحيم**". وكذلك الرسول - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلى آلـــهِ وسَلّم - كان يبدأ رسائله بالبسملة، نحو الرسالة التي أرسلها إلى هرقل عظيم الروم، كالحديث الذي أخرجه البخاري في الصحيح من كتاب "بدء الوحي" من حديث ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عن أبي سفيان بن حرب في قصة أبي سفيان مع هرقل؛ فجاء في طيات الحديث أن الرسول - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعلى آلِه وسَلّم - قد أرسل رسالة إلى هرقل وجاء في أولها "بسم الله الرحمن الرحيم" من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم" فبدأ بالبسملة، وكذلك أيضا لما أراد سهيل بن عمرو أن يصالح النبي - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وسَلّم - في صلح الحديبية وقال له : تعال نكتب كتابا، فأمر الرسول - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وسَلّم - الكاتب أن يكتب في أول الكتاب "بسم الله الرحمن الرحيم" ولكن سهيل بن عمر و أبى هذا وقال : ما ندري ما الرحمن ولكن اكتب باسمك الله م،

فغضب المسلمون وقالوا لا نكتب إلا "بسم الله الرحمن الرحيم" ولكن الرسول - صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلى آلـــهِ وسَلّم - من حكمته ولأنه أراد أن يتمّ الصلح حتى يحقن الدماء وحتى يقضي الله أمرا كان مفعولا فوافق سهيل بن عمرو وقال باسمك اللهم، هذا الحديث أخرجه بطوله البخاري - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى - كما في كتاب الشروط من الصحيح.

والبدءُ أو التصدير بالبسملة في الكتب والرسائل هي مسألة مشهورة عند أهل النحو

وأهل اللغة تسمى بالمسألة الصدرية ، وهي تتعلق بإعراب "بسم الله الرحمن الرحيم" حيث اختلف فيها أهل النحو واللغة، وهذه المسألة قد ذكرت ضمن المسائل التي تسمى بالمسائل الملقّبات والتي جمع بعضها

محمد بن طولون الدمشقي في كتابه الذي سماه "المسائل الملقبات من النحو". فبدأ كتابه بهذه المسألة سماها أو ذكر أنها تسمى بالمسألة الصدرية.

وقال المصنف بعد ذلك. قال رحمه الله:

(اعلم - رحمك الله– أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل)

قوله :(**اعلم**) هي صيغة تنبيه تستخدم لتنبيه المستمع أو القارئ إلى أهمية ما سوف يذكر بعد ذلك؛ **واعلم** هي فعلٌ من العلم، والعلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكا جازما، وقوله: " **رحمك الله**" دعاء بالرحمة، وهذا أسلوب من أساليب التلطف وإظهار الشفقة والحرص على المسلمين ومدعاة لمن يقرأ هذا الكلام أن يشعر بالسكينة وأن يشعر بحرص المصنف على هداية القارئ (اعلم رحمك الله) "**أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل**" وهذا الوجوب هو المقصود به أنك ملزم بتعلم هذه المسائل، لست مخيرا فكل مسلم يلزم بأن يتعلم هذه المسائل التي سوف يذكرها ولو على سبيل الإجمال، وكما قال الشيخ الفوزان – حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى – في شرحه في تعليقه على هذه العبارة: "فإذا تركنا تعلم هذه المسائل نأثم، لأن هذا شأن الواجب لم يقل مستحب لنا أو يستحسن لنا، بل قال يجب علينا وجوباً .

وقال (**أربع مسائل**) حدد المسائل الأربع تبعا لما جاء في سورة العصر، كما سوف يأتي،

وكثيرا ما نجد الإمام محمد بن عبد الوهاب من خلال متن الأصول الثلاثة أو من خلال العديد من مصنفاته أو من المتون التي صنفها يُقّسم هذه التقسيمات؛ يعني نحو الأصول الستة ،نحو القواعد الأربع، نحو هنا قال يجب علينا تعلم أربع مسائل ثم سوف يقول بعد ذلك يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث مسائل وهكذا...، الغرض من هذه التقسيمات أولا التيسير على طالب العلم في تحصيل هذه المسائل بأن يرتبها له في نقاط محصورة ومعدودة حتى يسهل عليه حفظها، وهذه وسيلة من وسائل التعليم التي هي طريق مسلوكة عند بعض المصنفين، وهي سِمَة بارزة في مصنفات الإمام محمد بن عبد الوهاب.

"اعلم رحمك الله أنه يجب عليك تعلم أربع مسائل:

الأولى :العلم :"وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة"

المسألة الأولى :(العلم).

وبيّن لنا مقصوده بالعلم في قوله: معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة؛ فهذا هو رأس العلم، رأس العلم أن تعرف الله، أن تعرف رسوله، أن تعرف دينه بالأدلة،

(**والأدلة**): جمع دليل؛ والدليل هو المرشد إلى المطلوب، ومعرفة الله - عزّ وجلّ -

وكذلك معرفة نبيه ومعرفة دينه تكون بالأدلة الشرعية بداية أو أولا، وهي التي تسمى بالأدلة السمعية التي نأخذها بالسماع أي من الوحي، أي من الكتاب والسنة، ويستأنس أيضا معها بالأدلة العقلية أو بالآيات الكونية ، ولكن لا تقوم الحجة على العباد بالأدلة العقلية أو بالآيات الكونية فحسب، وإنما كان هناك فائدة من إرسال الرسل ومن إنزال الكتب؛ إنما الحجة تقوم بالآيات الشرعية أو بالأدلة الشرعية في الكتاب والسنة.

ومن هنا ندرك ضلال المتكلمين من أهل الكلام الذين أوجبوا على العبد في أول الواجبات النظر في الآيات الكونية حتى يدرك وجود الله، فجعلوا الطريق إلى معرفة الله الأدلة العقلية أو الآيات الكونية، لا الأدلة الشرعية، فكما قال الجويني، وكان من كبار العلماء الأشاعرة من المتكلمين إلا أنه قيل أنه تاب قبل أن يموت، فقال في كتابه "الإرشاد إلى قواطع الأدلة" ومن الكتب الأمهات من المتكلمين أو للأشاعرة بالخصوص قال في أول كتابه: " أول ما يجب على العاقل البالغ لاستكمال سن البلوغ شرعا القصد إلى النظر الصحيح المفضي إلى حدوث العالم "؛ يعني أنه يجب عليه أن ينظر في هذا الكون حتى يوقن أو حتى يؤمن بأن هذا العالم مخلوق، وبالتالي يؤمن بأن له خالق ؛هكذا قال المتكلمون. وهذا بلا شك خلاف ما يقصده الإمام محمد بن عبد الوهاب، فهو لما قال هنا في أول متنه هذا في أول المسائل التي قال بوجوب تعلّم العبد لها معرفة الله؛ قَصَدَ أن تعرف الله - عزّ وجلّ - أي أن تؤمن بالله من خلال النظر في آيات الله في كتابه، والنظر في كلام رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلَّمَ - فتؤمن بالأدلة الشرعية التي بها تعرف الله حق المعرفة . فإذا نظرت في آيات القرآن آمنت بأن الله هو الرّبّ الخالق المدبر الذي يحيي ويميت والذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه؛ فتؤمن بربوبية الله والتي جاءت العديد من آيات القرآن في بيانها والتي هي موافقة للفطرة التي فطرت عليها، فكل مكلف من بني آدم أو

من الجن فُطر على الإيمان بوجود الله أو على الإقرار بربوبية الله، فإذا نظرت في آيات القرآن وجدت ما يوافق فطرتك وهذا يلزم منه بعد ذلك أنك بعد أن تقر بربوبية الله – عزّ وجلّ – أنك تقر أنَّه – سُبْحَانَهُ – هو الإله المعبود الذي لا يستحق العبادة إلا هو – سُبْحَانَهُ –؛ وهذا نتعلمه من آيات كثيرة في القرآن.

نحو قوله تعالى والذي يعد أول أمر في سورة البقرة في قوله:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة21 :]

يا أيها الناس هذا أمر موجه لكافة الناس؛﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾

وكما قال سبحانه :﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: 25]

إلى آخر الآيات التي فيها الأمر بإفراد الله بالعبادة أي بالتوحيد، ثم بعد ذلك تنظر في الآيات التي بيّن فيها الله أسماءه وصفاته حتى تعرف الله أكثر وأكثر ، وبهذا تتم معرفتك لله، أن تعرف الله ربًّا إلـهًا له الأسماء الحسنى والصفات العليا، هذا هو المقصود بمعرفة الله من خلال النظر في كتاب الله، وأيضاً إذا نظرت في كتاب الله سوف تجد أيضا الآيات التي تدلك على التفكّر في مخلوقات الله وهذا الذي نحن نقول ما يسمى بالأدلة العقلية أو الآيات الكوني ، فأنت إذا نظرت في هذا الكون كما حث الله– سُبْحَانهُ وتَعَالى – على هذا في كتابه كما في قوله تعالى:﴿ أَوَ لَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف: 185] وكما قال سبحانه :﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ ﴾[آل عمران: 190]

فأنت إذا نظرت في ملكوت السماوات والأرض ونظرت في آيات الله المبثوثة في الكون، ازددت يقينا بأن هذا الكون العظيم لم يُخلق عبثا؛ وبالتالي علمت صدق كلام الله – عزّ وجلّ – وازددت يقينا وإيمانا.

وأمَّا ما يتعلق بمعرفة نبيه فقال بعد ذلك:

(ومعرفة نبيه)

قد عاقب الله – سُبْحَانَهُ – المشركين الذين بُعث فيهم الرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلَّمَ – بقوله: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾ [المؤمنون : 69]

المشرك والمنافق النفاق الأكبر لم يعرف رسوله ﴿ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾ ولكن المؤمن الموحد يعرف رسوله؛ يعرفه أولا بالأدلة الشرعية وكذلك يعرفه أيضا بالأدلة العقلية،

وقد عَرّف الله رسوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ – في أكثر من آية من كتابه،

وكان الأجمع في الآيات التي فيها نعرف الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ – ونعرف فيها دعوته التي أرسل بها؛ قوله تعالى:

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: 156]

ثم قال سبحانه: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158]

هذه الآيات من الآيات الجامعة في معرفة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ – في معرفة حق النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ – التي ينبغي علينا أن نحفظها وأن نتدبرها حتى نعرف نبينا ورسولنا حق المعرفة، نعم .

وأيضاً من الآيات التي نعرف بها الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ – نحو قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ [فصلت:6]

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لست ملكا ولست إلها ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ وأيضا قال – سُبْحَانَهُ – آمراً رسوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ – أن يقول : ﴿ قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا رَشَداً ﴾ [الجن:21].

وأيضا عرَّفَنا الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ – ببعض صفاته أو ببعض أسمائه، كما في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– والذي قال فيه الرسول –– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ –: ((**أنا محمّد وأنا أحمد وأنا المقفى وأنا الحاشر وأنا نبي التوبة ونبي الرحمة**)).

هو أحمد ومحمد، ويسمى بمحمد ويسمى بأحمد فهذه كلها أسماء للرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ – محمد وأحمد والمقفى: المقفى كما قال ابن الأثير في النهاية غريب الحديث: أي المُوَلِّي الذاهب يعني يقصد أنه آخر الأنبياء الذي لا يأتي بعده نبي فلمّا يذهب ويولي فلا يأتي بعده رسول ولا نبي وهو(المقفى) وهو (الحاشر) : وهو الذي يُحشَر الناس على عقبيه وهو(نبي التوبة ونبي الرحمة).

والنصوص في التعريف بالنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ – كثيرة ويصعب أن نحصرها في هذا المقام وإنما نذكر أمثلة حتى نبين المقصود من قول المصنف **[ومعرفة نبيه]**، وأيضا المقصود من معرفة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ – أي الإيمان به أن تؤمن به وما معنى الإيمان بالرسول؟ أي أن تقر برسالته وأن تصدق بكل أخباره التي أخبر بها دون شك ودون ريب وأن تتبعه على سنته وهذا الإتباع يعني؛ الامتثال لأوامره والانزجار عن نواهيه التي نهى عنها، ومن كمال الإيمان بالنبي –– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ – أن تحبه أكثر مما تحب نفسك وأهلك وولدك، لِمَا جاء في الحديث، حديث أنس في الصحيحين أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ – قال: ((**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**)) وفي رواية: ((**حتى أكون أحب إليه من نفسه**)) فقال عمر كما في الرواية التي أخرجها مسلم " والله يا رسول الله أنت أحبَّ إلي من كل شيء إلا من نفسي"، فقال الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ –: ((**لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك**)) أي لن تبلغ كمال الإيمان حتى يكون الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ – أحب إليك من نفسك؛ فقال عمر: "الآن يا رسول الله أنت أحب إليَ من نفسي"، فقال الرسول: ((**الآن يا عمر**))، أي الآن قد تم إيمانك.

فالشاهد أن محبة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ – هي محبة إتباع ليست محبة عشق، فالمحبة عند أهل البدع من المتصوفة ومن غير هم من الفرق الضالة، هي محبة تعتمد على إيش؟ على العشق –كما يقال– على الغزل، أنهم يعني ينشدون الأناشيد ويكتبون القصائد في مدح النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى

آلِه وسَلّمَ - - وفي مدح صفات النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ - وفي مدح أوصاف النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ - دون أن يكون منهم الإتباع الصحيح لأوامره والانتهاء عن نواهيه، وهذا بخلاف المحبة الشرعية التي بينها الله في كتابه حيث قال - سُبْحَانَهُ - : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: 31] فجعل شرط المحبة الإتباع، فمحبة بدون إتباع لا تصح ولا تنفع صاحبها النفع الكامل، ومن الآيات التي تدل على وجوب إتباع النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ - وعلى وجوب تصديقه، وعلى وجوب تحكيم شريعته، ما قاله - سُبْحَانَهُ -: ﴿فلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65] وكما قال - سُبْحَانَهُ - : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [النور:51]، هذه علامة الإيمان، أنك إذا دعيت إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله للحكم فيك أن تقول: سمعت وأطعت، لا تقول إيش؟: لا أقبل هذا الحكم؛ أو أن هذا الحكم لا يصلح في هذا الوقت؛ لا هذا من علامات النفاق، ليست من علامة الإيمان، وكذلك قد أمرنا - سُبْحَانَهُ - عند التنازع؛ أن نرد الحكم إلى الله وإلى رسوله، ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:59] وقد توّعد - سُبْحَانَهُ - المخالفين لرسولهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ - أو المخالفين أمر رسوله فقال - سُبْحَانَهُ : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:63]، تحذير ووعيد شديد لكل من يخالف أمر النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ - ولا يعرف النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ - حق المعرفة، من أطاع الرسول فقد أطاع الله ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر: 7]، لست مخيراً أنت متبع لست بمبتدع، ولست بمتعصب لأحد كائنا من كان، إن كنت مؤمنا صادق الإيمان فلا تقدم قول على قول الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ - مهما كان.

وقال المصنف بعد ذلك:

(ومعرفة دين الإسلام)

والإسلام له معنى عام ومعنى خاص، فـ (**المعنى العام للإسلام**) هو: الاستسلام لله -عزّ وجلّ - بالتوحيد أولا، أي بالإقرار بأنه لا معبود بحق إلا الله، وهذا هو الذي أرسل به كل الرسل، فهذا هو دين جميع الأنبياء والمرسلين، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ ﴾ [آل عمران: 19] فالإسلام عقيدة أولا، الإسلام عقيدة اتفق عليها جميع الأنبياء والمرسلين، فكل الرسل دعوا إلى الإسلام في هذا المعنى، وهو إفراد الله بالعبادة أي التوحيد، وكذلك إتباع الرسل.

وأما(**الإسلام بالمعنى الخاص**): هو الشريعة الخاتمة التي بُعث بها محمّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ - والتي بيّن الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ - أن الإسلام الذي أرسل به له خمس أركان والتي بينها في حديث جبريل -عليه الصلاة والسلام-: ((**الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله وأن تشهد أن محمدا رسول الله، وأن تقيم الصلاة وأن تؤتي الزكاة وأن تصوم رمضان وأن تحج البيت**))، هذا الإسلام بالمعنى الخاص.

فإسلام الوجه لله: ه ي الإقرار بربوبية الله وبألوهية الله وبأسماء الله وصفاته، هذا هو أصل الدين الذي أرسل به الرسل وأنزلت من أجله الكتب، ولذلك كان من دعاء الأنبياء نحو دعاء إبراهيم وإسماعيل - عَليهما السلّام - في قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:128] فدعوا الله أن يجعلهما من المسلمين، وأن يجعل من أمتهما من الأمة التي تأتي بعدهما، وهذا كان المقصود به أمة -النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ - ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾، فدعوا بالإسلام. وكما قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ - : ((**إنَّا معاشر الأنبياء ديننا واحد**)) أي الأصل دين واحد، هو التوحيد، كل الرسل والأنبياء دينهم واحد الإسلام، ولذلك قال - سُبْحَانَهُ - : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران:85] فلا خيار لأحد، وكما قال العلامة محمد أمان الجامي -رَحِمَهُ الله- في شرحه للأصول الثلاثة: "وحقيقة الإسلام، هو الإستسلام لله والإنقياد له بالطاعة والعبادة وكل ذلك لا ينفع إلا إذا كان مأخوذا من مشكاة النبوة"، وأيما عمل؛ (أى عبادة يعنى) لا يؤخذ مما جاء به النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ -، وسار عليه الصحابة لا يُسمى إسلاماً، كما قال الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في حاشيته على الأصول الثلاثة قال يعني تعليقا على قول المصنف [**ومعرفة**

دين الإسلام]: " فيه إشارة على أنه لا يصلح فيه التقليد يعني لا يصلح في هذا الأمر التقليد، بل إذا لقيَ الله فإذا معه حجج الله وبراهينه،وهذا المقدار من العلم يجب تعلمه نحو ما ذكرناه الآن في تعريف الإسلام، بل كيف يعمل المرء بشيء وهو لا يعرفه؟! كيف تعمل في الإسلام وأنت لا تعرف الإسلام ؟!! أو أنت لا تعرف حقيقة دين الإسلام!، فعموم الجهل عند المسلمين بحقيقة دين الإسلام هي من أعظم الأسباب التي أدت إلى فشو هذا الغلو والتفرق بين طوائف الأمة، الكثير من هذه الفرق والأحزاب الذين يدّعون الدعوة إلى الإسلام، الكثير منهم إن لم نقل كل هذه الفرق والأحزاب يجهلون حقيقة دين الإسلام، من المعاني التي ذكرتها لكم، وهم مابين مغالٍ ومفرط، فلو تعلموا من بداية نحو تعلمهم هذا المتن الصغير، لا نقول هذا بالذات؛ وما شاكله من كتب أهل العلم التي تبين العقيدة لأراحوا واستراحوا، ولكنهم عاشوا ونشأوا على التقليد فصاروا أجهل من العامة الذين هم يدعوهم، رؤوس هؤلاء الأحزاب – نقولها صراحة– أجهل من بعض العامة الذين هم يدَّعون أنهم يدعونهم، أجهل منهم وأضل سبيلا، لأنهم ما تعلموا وما عرفوا حقيقة دين الإسلام ويستكبرون عن تعلم هذا الأمر، بل يحاربون من يدعوهم إلى تعلمه، ولذلك ضلوا وأضلوا، وكما قال الشيخ عبد الرحمن بعد ذلك: "وجهل الإنسان حقيقة ما أمر الله به من أعظم الإثم"، أنه يجهل حقيقة ما يريده الله منه، يعبد الله على جهل، والعمل بغير علم طريق النصارى، هذه سمة من سمات النصارى، أنهم يعملون بغير علم، يعملون على ضلال لذلك ضلوا، يعملون بغير وحي، يتبعون أحبارهم ورهبانهم من دون الله، كأتباع هذه الأحزاب يتبعون رؤوس هذه الأحزاب بغير هدى من الله، فشابهوا النصارى في هذا الباب ومن أجل هذا ضلوا كضلال النصارى يعني من ناحية المشابهة في الطريق، وليست المشابهة في أصل المعتقد طبعا، وقال بعد ذلك: "والعلم بلا عمل طريق اليهود"، أنهم يعلمون ولكن لا يعملون، يعلمون الحق ويعلمون حقيقة الإسلام ويعلمون صدق نبوة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ – ولكنهم لا يعملون بهذا العلم و لم ينقادون لهذا العلم الذي يعلمونه، لم ينقادوا له، فصاروا من المغضوب عليهم.

قال رحمه الله:

(**الثانية: العمل به**)

كما ذكرنا الآن إن ترك العمل بهذا العلم من سبيل اليهود، ليس من سبيل ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عليهم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِين ﴾ [النساء:69]، بل إن سبيل هؤلاء أي سبيل المؤمنين هو العمل بالعلم، لذلك كان من أعظم الكبائر أن لا يلتزم العبد بما يدعو إليه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف:23] هذا من الكبائر، نعوذ بالله منه، ولذلك جاء في الحديث الذي أخرجه الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ الله – في كتابه (اقتضاء العلم العمل) بإسناد صحيح أنه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِهِ وسَلَّمَ – أنه قال: ((**مثل العالم الذي لا يعمل بما يعلم كمثل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه**)) – نَعُوذُ باللهِ – من هذا الحال، فقد تجد داعية يدعو الناس إلى إتباع الكتاب والسنة وإلى إتباع سبيل السلف ويرفع هذا الشعار، وإذ به هو أول المخالفين لهذا ولا يعمل بما يدعو الناس إليه، يعني قد تجد هذا الداعية يدعو في بعض خطبه وفي خلال بعض كتبه إلى هذا المنهج القويم، وإن كان يخالفه في مواد أخرى، ولكن الشاهد نقول: مواضع التي يعلم فيها الناس وجوب إتباع هذا السبيل ؛إذ به لا يعمل بهذا الأمر، لا يعمل به، يضيء للناس الطريق ثم يضل هو ولا يعمل بهذا العلم.

ولذلك من الفوائد أيضا الطيبة التي أشار إليها العلامة عبد الرحمن بن قاسم النجدي في حاشيته أنه قال: "العلم مقصود لغيره وبمنزلة الشجرة والعمل بمنزلة الثمرة" العلم بمنزلة الشجرة: التي إذا غرستها الغرس الصحيح أثمرت، أي أثمرت العمل، فلابد مع العلم بدين الإسلام من العمل به، إذا الذي معه علم ولا يعمل به شرٌّ من الجاهل، ولذلك قيل:

وعالم بعلمه لم يعملن * معذب من قبل عباد الوثن**

(**الثالثة: الدعوة إليه**)

الدعوة إلى هذا العلم، وما هو العلم؟ العلم بالله وبرسوله وبدين الإسلام، بعد أن تعمل بهذا في خاصة نفسك وترسخ هذا المعتقد في نفسك وتصحح اعتقادك في الله وفي رسوله وفي الإسلام، من الشكر على هداية الله لك لهذه النعمة لنعمة العلم ثم لنعمة العمل أن تدعو غيرك لهذا العلم والعمل.

والدعوة لا تكون إلا على بصيرة أي على علم قال تعالى :﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:108]، فالدعوة على جهل تضر ولا تنفع، الذين يريدون الخروج للدعوة بلا علم ضلوا وأضلوا.

الرابعة: الصبر على الأذى فيه

الصبر على تحمل الأذى في سبيل تبليغ هذا العلم، فبلا شك هذه سّنة من السنن الكونية الربانية أن المرسلين والأنبياء ومن تبعهم من العلماء والدعاة يتعرضون للأذى من المخالفين سواء من المشركين أو من أهل الأهواء في تبليغ هذا العلم، ولذلك كان الله –سُبْحَانَهُ – يعزي رسوله بنحو آيات نحو ما جاء في سورة الأنعام، في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام:33 -34]، فهذه سنة تعرض لها الرسل من قبل، ويتعرض إليها أبناء الرسل إلى آخر الزمان، أنهم يتعرضون للأذى من قبل الجهّال ومن قبل أصحاب البدع و الأهواء، وكما قال سبحانه في سورة الذاريات: ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات: 52]، لم يأت رسول ولا نبي إلا اتهمه المخالفون من قومهم بالتهم العظيمة، يقولون عنه ساحر؛ يقولون عنه مجنون؛ يقولون عنه كذا وكذا، نحو هذه التهم التي توجه إلى العلماء الربانيين في هذا العصر، فيتهمون العلماء الذين هم يسيرون على طريق الرسل والأنبياء، بأنهم لا يفقهون الواقع وأنهم علماء حيض ونفاس، وأنهم كذابون يكذبون على الله، كما قال هذا الداعية الذي يدعي أنه سلفي، أي أنه يسير على طريق السلف، فيتهم العلماء بكل جرأة ووقاحة الذين هم من أتباع الرسل والأنبياء، قال: "والله يكذبون على الله"، هكذا بكل جرأة ويتهمون العلماء أنهم من الغلاة ؛ غلاة التجريح، وأنهم من العملاء للحكام، وأنهم كذا وكذا إلى آ خر هذه التهم التي ما سلم منها الرسل والأنبياء فليس بالجديد.

فهذه هي إحدى نتائج الدعوة، فلذلك وطأ المصنف بهذا قال: الصبر على إيه؟ على الأذى فيه، نسأل الله أن يرزقنا الصبر وأن يثبتنا.

قال – رَحِمَهُ الله تعالى – : والدليل قوله – تعالى – : ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر]

هذا هو الدليل على المسائل الأربع التي ذكرها **(سورة العصر)**،وسورة العصر من السورة المكية على الراجح، وللإمام الشوكاني –رَحِمَهُ الله تعالى– جزء صغير سماه (النشر لفوائد سورة العصر) ذكر فيه العديد من الفوائد المتعلقة بتفسير هذه السورة، ومن هذه الفوائد التي ذكرها، ومما قال: "لقد كان لهذه السورة شأن عظيم عند السلف"، كما أخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي مدينة الدارمي وكان له صحبه أنه قال: "كان الرجلان من أصحاب محمّد ـــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ ـــ إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ثم يسلم أحدهما على الآخر"، هذا الحديث قد صححه الشيخ الألباني –رَحِمَهُ الله تَعَالَى– كما في السلسلة الصحيحة، وهذا يدل على عظم شأن هذه السورة عند الصحابة.

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾: **(العصر)** أُختُلِف فيه على قولين، قيل أنه اسم للزمن المطلق، أو كما قال ابن جرير في تفسيره: هو اسم للدهر، وهو العشي: أي الليل والنهار

والقول الثاني: أن العصر (أي وقت العصر) أي صلاة العصر، وبلا شك في صلاة العصر شأن، إن الله – سُبْحَانَهُ – قد فسرها بأن هي الصلاة الوسطى، الصلاة الوسطى على الراجح ولذلك جاء في الحديث أنه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلى آلِه وسَلّمَ – قد قال: ((**من فاتته العصر فكأنما وُتِر أهله وماله**)) أي فكأنما فقد أو افتقد الأهل والمال من لم يصل العصر في وقته ،وفي حديث آخر: ((**من لم يصل العصر حبط عمله**))

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

إن الإنسان لفي خسر: الإنسان قيل هو اسم جنس للكافر الألف واللام هنا قيل أنها للعهد المقصود بها الكافر، الألف واللام تعهد للكافر، إن الكفار جميعا لفي خسران إلا من اتصف بالصفات الأربعة.

﴿خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾: وطبعا الإيمان هو الإيمان الصحيح الذي هو تصديق أو اعتقاد القلب وإقرار اللسان وعمل الجوارح والأركان ،وعملوا

الصالحات: عطف بالعمل على الإيمان، رغم أن العمل من الإيمان كما هو عند أهل السنة، وذلكم من باب عطف الخاص على العام.

وقال الشوكاني -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في قوله تعالى : ﴿ لَفِي خُسْرٍ ﴾ المجيءُ ب- (في)، وفي هو حرف ظرفي، يعني يدل على الظرفية، أي يدل على المكان، المجيء ب- (في) الدالة على أن الكفر قد صار ظرفا له ، فكأنه منغمس فيه، ﴿ لَفِي خُسْرٍ﴾ كأنه صار داخل هذا الخسر، كأنه صوغ الكفر بمكان أو بظرف دخل فيه هذا الإنسان أو الكافر، لفي خسر: وهذه من البلاغة التي يختص بها بلا شك يختص كلام الله

﴿إلاّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ :كما بينا الآن وتواصوا بالحق: المقصود بالتواصي بالحق أي الدعوة إلى هذا الحق والدعوة إلى المعروف والنهي عن المنكر

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾: أي أنهم يصبرون على تحمل الأذى في تبليغ هذا العلم، ويوصون غيرهم أيضا بهذا، يعني يتواصون بالعلم النافع، ويصبرون على طلب هذا العلم ويتواصون مع غيرهم على الصبر على هذا العلم.

قال الشافعي رحمه الله تعالى: لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم.

هذا القول من الشافعي يعني لم أقف له على إسناد،كما قال الشيخ عبيد الجابري -حَفِظَهُ الله — أيضا أنه قد بحث فلم يجد له إسنادا، ولكنه اشتهر عن الشافعي ونقله بعض المفسرين في خلال تفسير سورة العصر نحو ابن كثير – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – ونحو الشنقيطي – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – في تفسيره، وبلا شك معناه واضح وصريح أن الله – عزّ وجلّ – لو لم ينزل إلا هذه السورة كحجة على العباد لكفت، لكفت من أجل إقامة الحجة عليهم لعظم ما فيها من معاني.

(**وَقَالَ الْبُخَارِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – : بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ والعَمَلِ، والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلهَ إلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِك﴾[1] **فَبَدَأَ بِالعِلْمِ قَبْلَ القَولِ وَالعَمَلِ**)

---
[1] [محمد:19]

وهذا القول من البخاري قد ذكره في **(كتاب العلم)** من (الصحيح) و زاد بعد ذكر الآية : (**قال البخاري:** ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِك﴾ **فَبَدَأَ بِالعِلْمِ**)، يعني بدأ بالعلم قبل الأمر بالاستغفار، والاستغفار من العمل؛ فبدأ بالعلم قبل العمل يعني بدأ بالأمر بالعلم قبل أن يأمر بالعمل وهو الاستغفار، وهذا من دقيق فقه البخاري رحمه الله تعالى أنه استدل بهذه الآية على أن البـــدْءَ يكون بالعلم، وهذه بداية الإصلاح، بداية إصلاح العبد في نفسه وبداية إصلاح المجتمعات والأمم ؛ فلا ينصلح العبد إلا بالعلم، ولا تنصلح المجتمعات وترتقي الأمم إلا بالعلم.

والعلم الممدوح في النصوص الشرعية المقصود به علم الشريعة بالأصالة، علم الكتاب والسنة ، علم الحلال والحرام؛ وأما العلوم الدنيوية نحو علم الكيمياء وعلم الفيزياء وعلم الحساب والهندسة فهذه تأتي تــبَعًا بعد ذلك وبلا شك لها نصيب من المدح ولكن المقصود بالمدح في النصوص الشرعية العلم الشرعي لأن البعض يستدل بنحو قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[2] أي على الازدياد من العلوم الدنيوية فقط وهذا خطأ في تفسير الآية إنما العلم الذي أمر الله رسوله أن يطلب الازدياد منه هو علم الكتاب والسنة علم الشريعة ليس علم الكيمياء والفيزياء.

وأشرف العلوم العلم بالله ، علم التوحيد، العلم بأسماء الله وصفات الله ثم علم التفسير، تفسير كتاب الله وعلم أحكام الفقه، الفقه بالحلال وبالحرام وبحدود الله عز وجل ؛ فعلى المرء إن أراد النجاة عند الله أن يسلك سبيل العلم، العلم النافع، وأن يجلس في مجالس أهل العلم وأن يلزم غَرْز العلماء؛ وأما الذي يريد غير ذلك فإنه ينفر عن مجالس العلم وهذا حال الكثير من أهل البدع أنهم ينفِرون ويــنــفّــرون عن العلم، الأحزاب التي نشأت في هذا الزمان يعني على شِبه اتفاق في هذا ، النــفْــرَة والتنفير من العلماء الربانيين، وهم لم يبدؤوا العلم في أنفسهم و لم يبدؤوا بالعلم في دعوتهم ؛ فهذه الجماعة المشهورة التي تسمى بجماعة التبليغ لم يبدؤوا بالعلم إنما أرادوا أن يبدؤوا بالدعوة قبل العلم ؛ فخالفوا هذه السنة الربانية: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ والعَمَلِ، فلنحذر من هؤلاء!

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِل والْعَمَلُ بِهِنَّ:

---

[2] [طه:114]

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً (15) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلًا (16)﴾[3]

هنا المصنف رحمه الله تعالى يستطرد في بيان المسائل التي يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلمها ، وقد ذكرنا في المجلس السابق أربع مسائل، هنا يذكر ثلاث مسائل أخرى و هي لا تنفصل عن المسائل الأربعة السابقة؛ بل هي منها ومتممة لها ، وهذه طريقة المصنف كما بيـّنـا أنه إذا أراد أن يظهر أهمية بعض المسائل يستخدم في الغالب هذه الصيغة ، أنه يقول "يجب" أو "ينبغي علينا أن نتعلم هذه الثلاث مسائل" أو هذه الأربع مسائل أو هذه القواعد الأربعة ، هكذا، وهذه إحدى طرق التعليم وإحدى طرق التنبيه التي ينبه طالب العلم إلى أهمية ما سوف يذكره المؤلف أو المصنف.

وقال في المسألة الأولى (**أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا**) ما هو الخلق؟

الخلق كما قال الأزهري ونقله ابن منظور هنا في لسان العرب: قال الأزهري في كتابه (تهذيب اللغة) – والأزهري أحمد بن محمد أبو منصور الأزهري هو من علماء اللغة الذين كانوا أقرب إلى منهج أهل السنة والجماعة فكان على ما يظهر سلفيا فقال الأزهري : **"ومن صفات الله تعالى الخالق والخلّاق، ولا تجوز هذه الصفة بالألف واللام** -أي بالتعريف- **لغير الله عز وجل وهو الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة، و أصل الخلق التقدير وباعتبار تقدير ما منه وجودها وبالاعتبار للإيجاد على وفق التقدير خالق"**، ثم قال : **"والخَلق في كلام العرب: اتباع الشيء على مثال لم سبق إليه وكل شيء خلقه الله فهو مُبْتَـدِؤُهُ على غير مثال سُبـِقَ إليه ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾**[4]، **﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾**[5]

ثم قال أبو بكر الأنباري هو أيضا من علماء اللغة الذين كانوا على منهج أهل السنة وهو شيخ الأزهري: **"الخلق في كلام العرب على وجهين أحدهما الإنشاء على مثال أبدعه ، والآخر التقدير، وقد دلّ**

---

[3] **[المزمل: 15، 16]**

[4] **[الأعراف:54]**

[5] **[المؤمنون:14]**

كتاب الله على هذا ومن هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[6] وقال سبحانه ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102)﴾[7]، فأثبت سبحانه في هذه الآيات وفي نحوها أنه خلق كل شيء؛ فكل ما سوى الله مخلوق، ومن هذا قوله تعالى لمّا سأل فرعون موسى: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾[8] واختلف المفسرون في تأويل هذه الآية على عدة معاني ذكرها العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالى في كتابه (أضواء البيان) فقال:

القول الأول: "﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ﴾ أعطى كل شيء نظيرَ خــَلــْقِهِ في الصورة والهيئة فذكور بني أدم بإناثهم وذكور البهائم والحيوانات بإناثهم وكذلك الطيور، إلخ. فأعطى كل شيء نظير خلقه في الصورة ثم هدى الجميع لطريق النكاح والنسل"

هذا القول الأول في تأويل الآية ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ وهذا جواب موسى عليه السلام على فرعون لما سأله أن يُعَرّفَهُ بربه، فعرّفه بهذا الشيء المركوز في فطرة فرعون، أراد موسى أن يستثير الفطرة الكامنة في فرعون بهذا القول أن يذكِّره بأن الله هو الذي خلقه وخلق غيره.

القول الثاني: هو أن أعطى كل شيء صورته المناسبة التي تناسبه فلم يجعل الإنسان في صورة البهيمة و لم يجعل البهيمة في صورة الطير بل أعطى كل شيء خلقه الذي يستحقه وهدا نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾[9].

ومن هنا نفهم هذا الخطأ الذي اشتهر على ألسنة بعض العامة وهو قولهم "العيب الخــُلــُقي" هذا خطأ، ليس هناك عيب في خلق الله ولا يجوز أن يقال هذا القول أو أن ينسب إلى الله سبحانه وتعالى ، هذا من التنقّص لله لأن الله أحسن كل شيء خلَقه، لم يخلق شيء على صورة مَعيبة ؛ بل خلق كل شيء على الصورة التي هي على أفضل الوجوه لهذا الخلق وله الحكمة البالغة سبحانه وتعالى ، فإذا خلق عبدًا بغير

[6] [الأنعام:2]
[7] [الأنعام 101: 102]
[8] [طه 49: 50]
[9] [السجدة:7]

نظر أو بغير سمع يعني حرمه السمع أوحرمه البصر فهذا يكون حكمة الله ويكون ابتلاءً من الله لهذا العبد، ولا يقال أن هذا من العيب ويقال أنه عيب في هذا المخلوق.

ويدخل أيضا في هذا المعنى الأخير أن الله اختص كل صنفٍ من أصناف المخلوقات بمادة خـــلُـــقَ منها فلم يُسوِّ بين المخلوقات في الصورة ولا في المواد التي خلقوا منها ؛ فخلق الإنسان من الطين وبدأ خلق الإنسان من طين ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾[10] وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾[11] وخلق الجانَّ من النار وخلق الملائكة من النّور كما ثبت في حديث عائشة رضي الله عنها الذي أخرجه مسلم أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ((**خلق الله الملائكة من نور، وخلق الجان من النار، وخلق آدم مما وُصف لكم**)) مما وُصف لكم في كتاب الله أنه سبحانه خلقه من صلصال من حمإٍ مكنون أو خلقه من طين إلخ.

ومن الآيات التي ذكر الله فيها مراحل خلق الإنسان من بني أدم الآية التي جاءت في سورة الحج والتي قال سبحانه فيها ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾ أي في شكّ ﴿مِنَ الْبَعْثِ﴾ أي أن تبعثوا مرة أخرى ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾[12] فذكر مراحل الخلق في هذه الآية، التراب يعنى منشأ الخلق بالنسبة لبني آدم من التراب من الطين، ثم سبحانه وتعالى بقدرته قد خلق من هذا التراب هذه النطفة منها التي منها تكون العلقة التي تعلق في رحم المرأة، ثم تتحول هذه العلقة إلى المضغة إلى شيء مُخَلــَّق ؛ لكن ليس له ملامح ، هذه هي المضغة ، ثم يصور الله هذه المضغة ويجعلها طفلا، ثم إذا خرج هذا الطفل من بطن أمه يمرّ يعني بأطوار العمر حتى يصل إلى مرحلة أرذل العمر إذا قدر الله له هذا، أو قد يموت قبل هذا ، وهذا يُعَد من الإعجاز الذي يعجز عنه كل الذين تحدوا الله عز وجل وجحدوا صفات الله وجحدوا قدرة الله من الكافرين و من الملحدين، ولذلك لا يستطيع أحد أن يحرك ساكنًا أمام هذا الإعجاز الذي هو اعترف به وثبت عنده بالأبحاث العلمية في الحديث ، مراحل

---

[10] [السجدة:7]

[11] [الحجر:26]

[12] [الحج:5]

الخلق، فقد أحسن المصنف هنا بتعريفه بالله سبحانه وتعالى في هذه المسألة الأولى بقوله (أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا) حتى تكون الحجة قائمة على كل من يشرك في عبادة الله كما سوف يذكر في المسائل التالية.

ثم قال رحمه الله (ورزقنا) الرِّزق بالكسر كما قال ابن منظور في لسان العرب: "هو ما يُنتفع به "، والرَّزق بالفتح هو العطاء كما قال ابن منظور أيضا، والرِّزق أو الإقرار بأن الله هو الذي يرزق، فهذه هي المفردة الثانية من مفردات الربوبية التي يجب على كل مسلم أن يقرَّ بها، المفردة الأولى الخلق أن تُقرّ بأن الله هو الذي خلق، خلق كل شيء وأحسن كل شيء خلقه ، هذا من الإقرار بالربوبية ثم أن تقر بأن الله هو الذي يرزق هذا الخلق الذي خلقه، ولذلك الله عز وجل يقيم الحجة على عباده في كتابه من هذا الباب كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[13] كما في سورة يونس، و أيضا قال سبحانه ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾[14]

والرزق يصل إلينا أو يصل إلى العبد بطريقين:

الطريق الأول: هو الأهم صدق التوكل على الله عز وجل ، فكلما ازداد العبد توكلا على الله و لم يحمل هم الرزق أتاه الرزق من حيث لا يحتسب ، وكلما ازداد العبد تقوى كلما تيسرت له وسائل الرزق ، وهذا تصديقا لقوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[15] وكما قال الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الحديث الذي أخرجه الترمذي و ابن ماجه والحاكم في المستدرك بسند صحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: ((لو كنتم توكّلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خِمَاصًا -يعني تغدو فارغة البطون تغدو خِمَاصًا- وتروح بطانا)) وتعود في آخر النهار ممتلئة البطون، وفي هذا الحديث الإشارة إلى السببين الذي بهما يحصل العبد على الرزق الأول الذي ذكرناه لأنه صدق التوكل.

والثاني: الأخذ بالأسباب فالطير لم تمتلئ بطونها إلابعد أن غدت خرجت لتحصّل رزقها، لم تجلس مكانها لا تطير؛ بل طارت أي أخذت بالأسباب التي فطرها الله عليها وجبلها عليها، فكذلك العبد إذا صدق في

[13] [يونس:31]
[14] [سبأ:24]
[15] [الطلاق :2 3]

توكله على الله وأخذ بالأسباب المُتاحة والأسباب الشرعية و لم يأخذ بالأسباب المحرمة بحجة الأخذ بالسبب، لا، فإنه يرزق كما ترزق الطير، كما وعد الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم.

وقد نهى الله سبحانه وتعالى وعاتب الكافرين الذين يعبدون غيره وهم يعلمون أنه سبحانه الذي يرزقهم كما قال سبحانه ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (73)﴾[16] يعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا وهم يعلمون أن ه ذه المعبودات الباطلة من الأشجار أو من الأصنام أو من المقامات والقبور والتماثيل لا تملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا، لا تملك أي شيء لا مثقال ذرة ولا تستطيع أن تفعل شيئا من الرزق ، وأيضا قال سبحانه ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (82)﴾[17] قال ابن عطية في تفسيره: "أجمع المفسرون على أن هذه الآية توبيخ للقائلين في المطر الذي يُنزلها الله للعباد هذا بِنَوْء كذا وبنوء كذا " يعنى مُطرنا بنوء كذا؛ ولذلك كان من إحدى المعاني التي ذكرها ابن منظور في تفسير أو في تأويل الرزق أن الرزق يأتي أحيانا في كلام العرب بمعنى المطر أو بالمطر، الرزق عندهم، عند العرب، هو المطر ولذلك جاءت هذه الآية موافقة للسان العرب ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾. أخرج ابن جرير بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما مُطِرَ قومٌ قطّ إلا أصبح بعضهم كافرا يقولون مُطرنا بنوء كذا وبنوء كذا وقرأ ابن عباس ﴿وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ هذه إحدى القراءات في هذه الآية والتي ثبتت عن ابن عباس أنه جعل مكان " رِزْقَكُمْ " "شُكْرَكُمْ"، ﴿وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ أي هل هذا جزاء نِعْمَة الله أنه أنزل عليكم المطر أنكم تجعلون مكان الشكر التكذيب؟! وهذا المعنى الذي ثبت في حديث زيد بن خالد الجُهَنِيّ الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما حيث قال زيد: صلى بنا رسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم على إثر سماء في الحديبية فلما انصرف من الصلاة قال : ((**ألا تدرون ماذا قال ربكم الليلة؟**)) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ((**قال ربكم: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر؛ فمن قال مُطِرنا بفضل الله ونعمته فهو مؤمن بي كافر بالكوكب ومن قال مطرنا بنوء كذا**

---

[16] [النحل:73]

[17] [الواقعة:82]

وكذا فهو كافر بي مؤمن بالكوكب ››، ولذلك كان من هدي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه إذا نزل مطر يتعرض له ويقول: ‹‹**اللهم صيباً نافعاً**››. وإذا سئل لماذا يتعرض للمطر ؟ كان يقول كما سألته عائشة فقال ‹‹**إنه حديث عهد بربه**››.

وأيضاً على العبد أن يؤمن أن يوقن أنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي يُطعم كما قال سبحانه في سورة الأنعام ﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ**﴾[18] هو سبحانه الذي يطعم فلم يعدم الإنسان و لم يَعدِمِ الجانّ الطعام والشراب، أنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي يطعم ولا يطعم، وهذا من تمام أو من كمال اسمه "الرزاق" ولا يكون هذا إلا لله سبحانه وتعالى فهو الذي رزق هذا الكلب الذي كان يلهث ويأكل الثرى من العطش فسخّر له هذه البغيّ حتى تسقيه سبحانه وتعالى؛ فهو سبحانه وتعالى عليه رزق كل شيء ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[19] وهذا الذي يسمّى بالرزق العامّ وذكر العلماء أن الرزق على مرتبتين:

* **الرزق العام:** الذي يكون لكلّ المخلوقات والدّواب.

* **والمرتبة الثانية الرزق الخاص:** وهو الطيبات من الرزق التي اختص الله بها عباده المؤمنين لقوله تعالى ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾[20].

ثم قال المصنف: (وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً)

"**الهمل**" كما قال ابن منظور: هو السُّدى المتروك ليلا أو نهارا، ومن ذلك يقال للإبل أنها هوامل، أي أنها مسيّبة لا راعي لها، إذا كانت الإبل لا راعي لها يُقال إنها هوامل مسيبة لا راعي لها ، لذلك كان الحُكم الذي يخصّ الإبل في اللــُقــَطــَة أنها إذا وُجــِدت تُركت معها حذاؤها وسقاؤها حتى يجدها ربها أي صاحبها فهي مسيّبة.

---

[18] [الأنعام:14]

[19] [هود:6]

[20] [الأعراف:32]

والله سبحانه وتعالى يُنـــَزَّه أن يَترك عبادَه هملاً أي أن يتركهم سد ى بلا راعي وبلا أمر ولا نهي أو بلا تشريع وذلك لقوله تعالى ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾[21] ولقوله تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[22]

ثم قال المصنف: (بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً)

فكونه لم يتركنا هملاً ترتّب عليه أن يرسل إلينا رسولاً من أنفسنا حتى يبلغّنا بالأمر والنهي ، وحتى تقام علينا حجة الله فلا نكون كالإبل الهوامل، التي ليست مكلفة وليس لها شرع؛ بل أرسل إلينا رسولا.

والرسول هو الذي يُرسَل برسالة أي بشريعة من عند الله كي يبلغها إلى من أرْسِلَ إليه، كما قال سبحانه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾؛[23] وقوله ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[24] هذه سنة من سنن الله سبحانه وتعالى التي بها يُقيم الحجة على عباده.

(فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ) من الطاع هنا على مرتبتين:

* **الطاعة في أصل الدين**: أي في التوحيد وهي التي إذا مات العبد عليها فهو موعود بدخول الجنة عاجلاً أم آجلاً .

***والمرتبة الثانية الطاعة في الأوامر والنواهي**: التي تلي التوحيد وهي التي بها تكون مراتب الإعداد في الجنة والتي بها يكون السابقون الذين يدخلون الجنة من أول وهلة من غير سابقة حساب ولا عذاب ويأتي بعدهم من يُعذّب في النار لفترة ثم يكون مآله إلى الجنة.

والدليل على هذا القول: (فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ) قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[25] وقوله سبحانه ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[26]، الذين يفوزون بالجنة وأيضا قول الله سبحانه ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ

---

[21] [القيامة:36]
[22] [المؤمنون:115]
[23] [الأنبياء:25]
[24] [فاطر:24]
[25] [آل عمران:132]
[26] [النور:52]

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[27] وكما قال سبحانه ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[28] هذا وعدٌ من الله أنّ من أطاع الرسول ومات على هذا دخل الجنة.

(وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ) والمعصية على قسمين أيضًا:

*المعصية الكبرى: وهي أن يعصيه في أصل الدين، في التوحيد، وهي الشرك الأكبر أو الكفر الأكبر فهذا مآله إلى النار خالدًا مُخلدًا فيها.

*وأما من عصى الرسول فيما دون التوحيد أي في ترك الأوامر أو في الوقوع في النواهي فهذا كما بينا قد يعذب في النار لفترة ثم يدخل إلى الجنة وقد يعفو الله عنه ويدخل الجنة ابتداءً بغير عذاب فهو في مشيئة الله إن مات على التوحيد ، والدليل على هذا قوله تعالى كما في سورة النساء ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا ﴾[29] هذه الآية يحتج بها الخوارج على تخليد العُصَاة في النار ولا حجة فيها طبعًا ، لأن الآية إن حُمِلت على الإطلاق فهي تتعلق بالمعصية الكبرى كما بينا أي تتعلق بمن تعدى حدود الله في الإيمان ووقع في الشرك الأكبر . وأيضا من هذه الآيات ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ ونحو قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ وهذه أيضا الآية ونحوها يحتج بها الخوارج على تكفير العصاة أو على تخليد العصاة في النار، وكما بينا لا حجة فيها هنا إذا تعلقت بالخلود في النار فهي تتنزل على المعصية الكبرى على الشرك بالله أو على الكفر بالله، لأن كلام الله لا يتعارض وكلام رسوله أيضًا لا يتعارض.

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً (15) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلًا﴾[30].

[27] [النساء:13]
[28] [النساء:122]
[29] [النساء:14]
[30] [المزمل: 15، 16]

وهذه الآية تدل على أن الرسول من مهماته الشهادة، أن يكون شهيدًا على من بُعِث فيهم، ولذلك ثبت في حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال له أو أمره أن يقرأ عليه فقال: يا رسول الله أأقرأ عليك وعليك أُنزل؟، فقرأ من سورة النساء حتى وصل إلى قوله تعالى ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ فقال له الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((حسبك))، فرفع ابن مسعود عينه إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فوجد عينيه تذرفان ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم يشهد على كل من سبقه من الرسل أنهم قد بلغوا وأدو الأمانة، يشهد عليهم أمام أممهم ، ولذلك قال سبحانه ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴾، وهنا الرسول الذي أُرسل إلى فرعون هو كليم الله موسى عليه السلام ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً (15) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾، أيضا هنا المعصية تتزل أساسًا على المعصية الكبرى، المعصية في التوحيد، عصى فرعونُ موسى في الإقرار بتوحيد الله عز وجل في الإلهية.

﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلًا﴾ فكانت العقوبة من جنس العمل ، و "وبيلا" كما ثبت عن مُجاهد وقتادة فيما أخرجه ابن جرير في تفسيره أي شديدًا، أخذا وبيلا أي : أخذا شديدا، وقال ابن زيد: الوبيل الشر ، والعرب تقول لمن تتابع عليه الشرّ أوْبَلَ عليه، فكأنّ من عقوبة فرعون أن الشر يتتابع عليه في قبره وإلى يوم القيامة وفي يوم القيامة، ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾[31]، فهذا من تتابع العذاب والشر على فرعون وعلى آله الذين كفروا ويخرج من هذا طبعا امرأة فرعون التي آمنت.

ومن مهمات الرسول أيضا التي أشار إليها العلامة عبيد الجابري حفظه الله في شرحه البشارة والنذارة ، وقلنا من مهماته أنه شاهد، شاهد للخلق وشاهد عليهم.

والمهمة الثانية: البشارة والنذارة ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

[31] [غافر:46]

والمهمة الثالثة: الحُكم بين الناس، أن يحكم بين الناس كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾[32].

والمهمة الرابعة: التبليغ والتعليم، أن يبلّغ الشرع وأن يعلمه لأصحابه، وهذه أهم وظائف الرسل.

ويدل على، أيضا، ما سبق من أنه من أطاع الرسول دخل الجنة ومن عصاه دخل النار الحديث الذي أخرجه البخاري رحمه الله تعالى من حديث أبي هريرة في صحيحه أن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ((**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**)) قالوا: ومن يأبى يا رسول الله! قال: ((**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني قد أبى**)).

ومن الفوائد أيضا التي أشار إليها العلامة عبيد الجابري في شرحه أنّ في قول المصنف: (أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا) ذِكـْـرُ ثلاث نــِعـــَم:

النعمة الأولى: نعمة الإيجاد وهو الخلق.

والنعمة الثانية: هي نعمة الإمداد وهي الرزق، أوْجَدَنَا أي خَلَقَنَا؛ وأمَدّنـــَا أي رَزَقَنَا.

والنعمة الثالثة: هي نعمة الإعداد أنه أعَدَّنا للجنة بأن أرسل إلينا رسولا يبلغنا بما يحبه الله ويرضاه حتى نُعِد أنفسنا أو حتى نكون مؤهلين لدخول جنة الله.

نعمة الإيجاد؛ ونعمة الإمداد؛ ونعمة الإعداد.

(**الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لا يَرْضَ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدُ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾**[33]

الله سبحانه وتعالى لا يَرْضى: والرضا من صفات الله الثابتة له، لا نتأوّلها ، لا نقول الرضا بمعنى كذا أو كذا بل يرضى حقيقة سبحانه وتعالى، والمقابل لها أنه لا يرض ى فيرضى عن بعض العباد ولا يرض عن البعض الآخر.

---

[32] [النساء: 105]

[33] [الجن: 18]

فالله سبحانه وتعالى لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدُ فِي عِبَادَتِهِ ، فإن الله أغنى الأغنياء عن الشرك كما قال الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم «**فمن عمل عملاً لغير الله فإن الله يتركه ومن أشرك به**» ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه عزّ وجلّ، وهذا هو معنى كلمة التوحيد أي لا معبود بحق إلا الله فإن الله لا يرض أن يُعْبَـــدَ أحدٌ سواه، وإن أذِنَ قدَرًا -لا شرْعًا- إن أذن بأن يُعبد معه غيره قدرًا لا يعني هذا أنه يرضى عنه، لأن المشركين يحتجون على الله سبحانه بهذا، يحتجون عليه بالقدر الكوني لأنه سبحانه وتعالى قدّر لهم أن يشركوا كوناً ، وقالوا ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ﴾[34]، فاحتجوا على الله بالمشيئة الكونية؛ ولكنّ الله سبحانه وتعالى بيّن أنّه لا يرض لعباده الكفر، فليس معنى أنه أذن كونا أن يُعبد غيره معه في هذا الكون أي أنه أذن فيه شرعا أو أنه يرضى عنه أو أنه يحبه سبحانه وتعالى، فلا نخلط بين المشيئة الكونية وبين الإرادة الشرعية والتي بها نعرف الحق من الباطل فالله سبحانه وتعالى أنزل إلينا شرعا يُبين لنا فيه ما يحبه وما يرضاه من الأقوال ومن الأفعال فلا نحتجّ على الله بمشيئته الكونية.

(**لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ**) الملائكة هم خلْق من خلق الله خُلــِقـــُوا من النور كما بينا، ومنهم المقربون الذين يكونون مقربين من الله سبحانه، فالله سبحانه وتعالى لا يرض ى لأحد من عباده أن يعبد جبريل وهو من الملائكة المقربين أو أن يعبد ميكائيل أو أن يتخذ الملائكة وسيلة أو واسطة إلى الله.

(**وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ**) النبي المرسل، ما هو الفارق بين النبيّ وبين الرسول؟

النبي: هو الذي يُنَــبـِّئ أي يُخبر لــُغَةً، ومأخوذ من النبوءة أي المكان المرتفع ، أو النباوة؛ فهو إما أن يكون مأخوذا من النباوة أي المكان المرتفع أو من النبأ أي الخبر العظيم ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾[35] و اختُلِف في معناه من ناحية الاصطلاح فكما قال الشيخ عبيد الجابري هنا في شرحه : "**هو رجل من بني آدم أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه أو جاء بتقرير شريعة سابقة**"

وأما التعريف المشهور عند بعض الناس من أن النبي لم يؤمر بالتبليغ فهذا خطأ بلا شك ، فقالوا أنه يفرق بين الرسول والنبي بأنّ النبي لم يؤمر بالتبليغ وهذا يخالف مهمة النبي، ولذلك نقله الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله في شرحه في تعريفه للنبي أنه قال: "**إنّ النبي هو الذي بعث إلى قوم موافقين له في أصل الدين كي يبلغهم أولا يبلغهم**"، وأيضا قال أنه يحتمل أن النبي يؤمر بالبلاغ ويحتمل أنه لا يؤمر بالبلاغ،

[34] [الأنعام:148]

[35] [النبأ: 1 :2]

ويستأنس بالحديث الذي جاء فيه أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّمَ- قال انه يأتي يوم القيامة النبي وليس معه أحد ، فقال "قد يُحْمَل قوله هنا ليس معه أحد أنه لم يؤمر بالتبليغ "، والذي يظهر أنه تأويل بعيد وأن كوْن النبي لم يؤمر بالتبليغ هذا بعيد عن المعنى اللغوي وعن المعنى الذي ثبت في كتاب الله، وقد احتجّ العلامة عبيد الجابري حفظه الله على أن النبي مرسل مثل الرسول ومأمور بالتبليغ لقوله تعالى في سورة الحجّ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[36] فقال الشيخ عبيد فالآية نصّ على أنّ النبي مُرسل مثل الرسول لقوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ فجعل هذا للرسول وللنبي ؛ ولكن القيد الذي أشار إليه الشيخ صالح آل الشيخ قد يكون مُعتبَرًا وقد يكون هذا هو الفارق الرئيسي فعلا بين النبي والرسول أن النبي في الغالب: يرسل إلى قوم لهم رسالة سابقة يوافقونه أو يخالفونهم؛ ولكنهم قد كلفوا برسالة سابقة فأتى هذا النبي إما بالرسالة نفسها لتجديد الدعوة إليها ، و إما أنه أتى بتشريعات جديدة من عند الله تـــكـــمّـــل هذه الرسالة، وهذا نحو أنبياء بني إسرائيل الذين أتوا بعد موسى عليه السلام ، وكما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء فكلما هلك نبي خلفه نبي بعده**».

وقول المصنف بعد ذاك:

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[37]

أي أن الدليل على ما قاله: أَنَّ اللهَ لا يَرْضَ ى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدُ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ﴿أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾، هذه المساجد بُنـــيت كي يُوَحَّدَ اللهُ عزّ وجلّ ، ولذلك جاء في أكثر من حديث في الصحيحين وفي غيرهما أن النبي صلى الله عليه و على آله وسلم نهى عن اتخاذ القبور مساجد، ونهى عن بناء المسجد على القبر أو إدخال القبر في المسجد حتى تكون المساجد لله وحده، لا تكون لغير الله ، وهذا الذي حدث بعد فُشُوُّ هذه البدعة في الأمّة لّما أُدخلت القبور وهذه المقامات إلى المساجد أو بنيت المساجد عليها لم تَصِرِ المساجد لله وحده ؛ بل صارت لله ولهذا المقبور ،

---
[36] [الحج:52]
[37] [الجن: 18]

فالجهّال يشدّون الرّحال إلى هذه المساجد ليس لله وحده إنما يشدّون الرّحال لهذا المقبور لنيل البركة منه ولالتماس الوسيلة عنده كي يوصِّلهم إلى الله سبحانه وتعالى، ولذلك ثبت في حديث جُنْدُب بن عبد الله الذي أخرجه مسلم أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبل أن يموت بخمس، أي من آخر وصاياه أنّه وصّى بهذا ((**ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ألا فإني أنهاكم عن ذلك**))، فهذه من آخر وصايا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

"الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[المجادلة: 22]."

فَهَذِهِ المَسْأَلَة الثَّالِثَةُ التي أشَارَ المُصَنِّف إلَى أهَمِّيَةِ تَعْلِيمِهَا، وَهَذِهِ المَسْأَلَة وَهِيَ تَتَعَلَّقُ بِعَقِيدَةِ الوَلاء وَالبَرَاء، وَقَالَ المُصَنِّف:

" أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ "

طَاعَةُ الرَّسُول قَدْ بَيَّنَّاهَا وَذَكَرْنَا الأدِلَّةَ عَلَيْهَا فِي المَجْلِسِ الأَخِير.

وَوَحَّدَ الله أيْ عَبَدَ الله وَحْدَهُ لَمْ يُشْرِك فِي عِبَادَةِ الله أحَدًا، وَلَيْسَ مَعْنَى وَحَّدَ الله أنَّهُ أقَرَّ بِأَنَّ الله هُوَ الخَالِقُ دُونَ أنْ يُفْرِدَ الله بِالعِبَادَة حَيْثُ إنَّ بَعْضَ المُسْلِمِين الذِينَ يَذْهَبُون لِزِيَارَةِ هَذِهِ الأضْرِحَة وَالمَقَامَاتِ وَيَتَوَسَّلُونَ بِأَصْحَابِهَا مِنَ الأمْوَاتِ وَيَطْلُبُونَ مِنْهُمْ الحَاجَات وَتَفْرِيجِ الكُرُبَات، إذَا سَأَلْتَهُ وَقُلْتَ لَهُ: أَلَسْتَ تَقُول: لا إلَهَ إلا الله؟ أَلَسْتَ مُوَحِّدًا؟ قالَ: نَعَم أنَا مُوَحِّد حَيْثُ إنِّي أعْتَقِدُ أنَّ الله هُوَ الذِي خَلَقَنِي وَحْدَهُ، هُوَ الذِي يَرْزُقُنِي، هُوَ الذِي يُمِيتُنِي وَيُحْيِينِي؛ فَظَنَّ أنَّهُ بِهَذَا فَقَطْ قَدْ وَحَّدَ الله وَلَمْ يَدْرِ أنَّهُ بِدُعَائِهِ لِغَيْرِ الله، وَبِذَبْحِهِ لِغَيْرِ الله قَدْ أشْرَكَ بِاللهِ العَظِيم، فَمَنْ أطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ الله بِأنْ أفْرَدَ اللهَ بِالعِبَادَة

هَذَا لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيب.

وَالْمُوَالاة أو التَّوَلِي عَلَى ثَلاثَةِ أقْسَام:

1 القِسْمُ الأوَّل:

المُوَالاة أو التَّوَلِّي فِي الدِّين: وَهَذَا يَشْمَل مَحَبَّةَ دِين الكَافِرين أوْ مُنَاصَرَةُ الكَافِرين عَلَى المُسْلِمِين رَغْبَةً فِي ظُهُورِ دِينهم البَاطِل وَهَذَا هُوَ الذِي مِنَ الكُفْرِ الأَكْبَر، هَذَا هُوَ التَّوَلِّي المُكَفِّر الذِي إذَا وَقَعَ فِيهِ مُسْلِمٌ فَقَد ارْتَدَّ عَلَى الإسْلام، إمَّا أنْ يُحِبَّ دِينَ الكَافِرين؛ يَعْنِي مِنَ اليَهُودِيَّة أوْ النَّصْرَانيَّة أوْ المَجُوسِيَّة أوْ دِينَ الرَّافِضَة؛ إنْ أحبَّ هَذَا الدِّين وَاعْتَقَدَ أَحَقِّيَّتَهُ بالإتِّبَاع وَأنَّهُ يُقَدَّمُ وَيُفَضَّلُ عَلَى دِينِ الإسْلام فَقَد ارْتَدّ، وَمَن أَيْضًا آزَرَ وَنَصَرَ أصْحَابُ المِلَل الكَافِرَة التِي ذَكَرْنَا بَعْضَهَا الآن، نَاصَرَهُمْ بمَالِهِ وَبنَفْسِهِ أوْ بتَزْيِين مُعْتَقَدِهِم البَاطِل هَذَا أيْضًا مِنَ التَّوَلِّي المُكَفِّر.

2 وَالقِسْمُ الثَّانِي:

المُوَالاةُ فِي الدُّنْيَا: أيْ مَحَبَّةُ الكَافِرين لِدُنْيَاهُم لا لِدِينهِمْ أيْ مُوَالاة الكَافِرِينَ مِنْ أجْلِ أنْ يُحَقِّقَ مَصْلَحَةً دُنْيَويَّةً أوْ شَخْصِيَّة لَهُ دُونَ أنْ يُظْهِرَ المَحَبَّة لِدِينهم فَهَذِهِ المُوَالاة مُحَرَّمَة لَكِنَّهَا لَيْسَتْ مُكَفِّرَة وَهَذَا النَّوْعُ هُوَ الذِي قَدْ وَقَعَ فِيهِ حَاطِبُ بْنُ أبِي بَلْتَعَة – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – حَيْثُ إنَّهُ أرْسَلَ مَعَ هَذِهِ الضعينة رِسَالَةً إلَى كُفَّارِ قُرَيْش يُخْبِرُهُمْ فِيهَا ببَعْضِ أمْرِ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم فَلَمَّا كَشَفَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم هذا الأمر وَأتَى بحَاطِب فَسَألَهُ: لِمَا فَعَلْتَ ذَلِك؟ فَأَجَابَ حَاطِب: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا فَعَلْتُ هَذَا رَغْبَةً عَنِ الإسْلام أوْ حُبًا لِلْكُفْرِ إنَّمَا كُنْتُ امْرِئً مُلْصَقًا فِي قُرَش وَلَمْ أكُنْ مِنْ أنْفُسِهِم وَكَانَ المُهَاجِرُونَ لَهُمْ قَرَابَات – يَعْنِي فِي قُرَيْش – فَأَحْبَبْتُ لَمَّا فَاتَنِي هَذَا النَسَب فِيهِم أنْ تَكُونَ لِي يَدٌ يَحْمُونَ بهَا قَرَابَتِي، فَقَال عُمَر – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– : يَا رَسُولَ اللهِ دَعْنِي أضْرِبُ عُنُقَ هَذَا المُنَافِق، فَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم: دَعْهُ فَقَد صَدَقَكُمْ إنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا أوَلا تَدْرِي أنَّ الله قَد اطَّلَعَ عَلَى أهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ؟.

فَالرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم قَدْ أقَرَّ حَاطِبًا عَلَى أنَّهُ لَمْ يَفْعَل هَذَا حُبًّا أوْ نُصْرَةً لِدِينِ الكَافِرين وَلَمْ يَفْعَلْهُ رَغْبَةً عَنِ الإسْلام إنَّمَا فعَلَهُ لِتَحْقِيق مَصْلَحَة تَخُصُّهُ وَكَانَ هَذَا مِنْهُ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– مِنْ بَابِ الخَوْفِ عَلَى أهْلِهِ وَعَلَى قَرَابَتِهِ بمَكَّة وَلَكِنَّهُ وَقَعَ فِي مُحَرَّم وَاللهُ – عَزَّ وَجَلَّ– قَدْ وَعَدَ أهْلَ بَدْرٍ أنْ يَغْفِرَ لَهُم فَهَذَا لَيْسَ مِنَ الكُفْرِ الأكْبَرِ؛ المُوَالاة فِي الدُّنْيَا أوْ نُصْرَةُ الكَافِرين مِنْ أجْلِ تَحْقِيقِ مَصْلَحَةٍ دُنْيَويَّة أوْ

جَاه أوْ مَال وَإنْ كَانَ مِنَ الكَبَائِرِ وَلَكِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الكُفْرِ الأكْبَر .

وعدم التفرقة بين هذين النوعين هو الذي أوقع الخوارج في تكفير حُكَّام المسلمين وعُصَاة المسلمين بغير هذا التفصيل حيث إنهم قد يجدون أحيانا بعض حُكَّام المسلمين يعني يمدحون أو يثنون على بعض مظاهر الكافرين الدنيوية أو على بعض معاملاتهم فهذا يقع فيه بعض عامة المسلمين ليس الحكام فقط، فيعتبرون هذا من التولي المكفر أو يقولون إن الحُكّام يوالون الكفّار من هذا الباب، نعم هو قد يكون فيه نوع من الموالاة المحرمة ولكنّها ليست من الموالاة المكفرة إلا أن يُظهر الرضا لدينهم ويُظهر النصرة لمعتقدهم ويُؤَلِّب الكُفَّار على المسلمين بغضا منه للإسلام وحبًّا لظهور دين الكافرين، هذا هو التولي المكفر، بارك الله فيكم.

3 والقسم الثالث من أقسام الموالاة:

الموالاة التي بمعنى المعاملة مع الكافرين: والتي يدخل فيها التجارة معهم وعقد الهُدنة وعقد الصُّلح وكذلك عقد الذِّمة والنكاح، نكاح الكتابيات إلى آخره، أي المعاملات الدنيوية الغير محرمة التي أباحها الله عز وجل مع الكافرين ويدخل في هذا أيضا الأكل من ذبائحهم فهذه المعاملات ونحوها ليست من الموالاة المكفرة ولا الموالاة المحرمة بل هي من المعاملات الجائزة التي أباحها الشارع وأيضا يدخل في هذا القسم المباح أن تُظهر لهم الموالاة من باب التَّقِيَّة خوفا منهم أو خوفا من بطشهم ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾[آل عمران: 28] والأدلة في كتاب الله عز وجل على هذه الأقسام كثيرة ومنها قول الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾[آل عمران: 118] وقول الله – عز وجل– :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾[المائدة: 51]؛ ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ ﴾ أي إن كانت الموالاة لدينهم أي نصرة لدينهم وبغضا للإسلام فانه منهم صار منهم ارتد وصار منهم وأمّا من تولاهم كما قلنا في دنياهم وتحقيقا لمصلحة له فانه منهم أي قد شابه طريقتهم ولكنه ليس منهم في الدين

وكذلك نحو قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ﴾[المائدة: 51] هذه الأدلة ونحوها تدل على القسمين الأول والثاني وإن كانت بالأصالة تتوجه أو تتنزل على القسم الأول وهو التولي يعني المكفر، والآية التي استشهد بها هنا المصنف أيضا هي تدل على هذا حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

﴿ لاَ تَجِدُ ﴾كما قال الشيخ الفوزان حفظه الله في شرحه: أي لا يقع هذا ولا يكون موجودا أبدا أن يكون مؤمنٌ بالله ورسوله يحب الكفار، إن أحبهم فإنه ليس بمؤمن ولو كان يدعي ذلك أي أحب دينهم أو أحبهم لدينهم، كما قال ابن القيم –رحمه الله تعالى– في النونية:

أتـــُحِبُّ أعْدَاءَ الحَبِيبِ وَتَدَّعِي *** حُـــبًّا لَهُ مَا ذَاكَ فِي إمْكَـــانِ
وَكَذَا تُعَادِي جَاهِدًا أحْبَـــابَـــهُ *** أيْنَ المَحَبَّة يَا أخَا الشَّـــيْطَـــانِ

وقال الآلوسي في تفسيره أي المراد لا تَجِدُ قَوْمًا كَامِلِي الإيمان على هذه الحال؛ فالنفي باق على حقيقته، والمراد بموادة المُحَادِّين موالاتهم ومظاهرتهم؛ المظاهرة أي المناصرة؛ فهنا الآية تتنزل على القسمين الأول والثاني فإن كان القسم الأول فيكون هنا النفي على حقيقته أي نفي الإيمان بالكلية: ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي المودة في الدين، أو إن كان على القسم الثاني فلا تجد قوما كاملي الإيمان يكون النفي هنا: نفي لكمال الإيمان ليس نفيا لأصل الإيمان.

﴿ يُوَادُّونَ ﴾ المودة هي المحبة، يُوَادُّونَ أي يحبون ويناصرون ويظاهرون.

﴿ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ كما قال الإمام ابن باز –رحمه الله تعالى– في شرحه: فلا بد من البغضاء والعداوة لأعداء الله ومودة المؤمنين ومحبتهم هكذا المؤمن يحب أولياء الله وهذا في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم في الصحيحين: ((ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمَانِ أنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ

مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّه إلا لله وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)) فهذا الحديث يُعَدّ ميثاقا للمؤمن أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله، فمن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان كما ثبت هذا في الحديث الآخر الذي صحَّحه العلامة الألباني رحمه الله تعالى.

ثم قال الإمام ابن باز -رحمه الله- : ويكره أعداء الله ويبغضهم ويعاديهم في الله وإن دعاهم إلى الله و إن أقرّهم في بلاده وأخذ منهم الجزية كَوَلِيِّ الأمر فإنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أخَذَ الجزية من اليهود والنصارى والمجوس، وأخْذُ الجزية منهم في رعاية من المسلمين لا محبّة لهم، وتُؤْخَذ الجزية منهم إذا لم يكونوا في الإسلام ولا يقاتلوهم بل يقروهم مع بغضهم في الله وعدم موالاتهم وأيضا يدخل في هذا الباب الاستعانة بالمشركين أحيانا لفضِّ العدوان هذا أيضا ليس من الموالاة المكفرة ولا الموالاة المحرمة و إن كان المسألة فيها خلاف ولكنّ الأمر على ما ذكرنا فالاستعانة أحيانا ببغض المشركين في الحرب أو في الجهاد لمصلحة يراها إمام المسلمين أو يقدرها الإمام هذا لا يدخل في القسمين الأول والثاني.

وقال العلامة عبيد الجابري -حفظه الله- : وهنا سؤال: هذه الآية من أعظم الأدلة على الحذر من البدع وإنكارها والتنكر لها فكيف يكون التعامل مع المبتدعة ؟

لأنه بلا شك المبتدع فيه نوع من المحادة لله ورسوله وإن كان بلا شك ليس كالكافر ولكنه يدخل في عموم الآية، أنه لا يجوز للمؤمن أن يُظهِر المودة والمحبة لأهل البدع ولا أن يصاحبهم ولا أن يجالسهم وأن يؤاكلهم مؤاكلة الساكت على بدعتهم أو الُمقر لهم على ما هم فيه من مخالفة السنة، هذا يُحَرَّم وهذه تدخل في المداهنة المحرمة ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم: 9]، وكذلك لا يجوز الانتقام لهم أو نصرتهم على السنّي السلفي وإن كان فاسقا وإن كان على معصية يعني لو كان سلفي على معصية أو على سوء خلق لو فرضنا مثلا أنه على معصية أو على سوء خلق ولكنه على عقيدة سنية سلفية لا يجوز أن تنصر عليه صاحب البدعة خاصة إن كانت من البدعة الكبرى، أو أنْ تُفَضِّلَهُ عليه فالسني الفاسق أو العاصي أفضل عند الله -عز وجل- من المبتدع وأقرب إلى رحمة الله من المبتدع ولذلك قال الشيخ عبيد بعد ذلك: والبدعة ثلاثة أصناف:

* أولا: البدعة المكفرة:

كبدعة الرفض والتجهم والحلول ووحدة الوجود هذه البدع من البدع المكفرة ويدخل أصحابها في

عموم الكافرين.

* ثانيا: المُفَسِّقَة:

كبدعة الاعتزال والتمشعر أي الأشعرية وضَالَّة هذا تأويل صفات الله سواء كان بنفي بعض الصفات أو بتعطيل بعض الصفات أو بتحريف بعض الصفات هذا يدخل في البدعة المفسقة وأيضا يدخل في هذا بدعة الخوارج الذين يكفرون عُصَاة المسلمين ويَسْتَحِلُّونَ دماءهم وأموالهم والذين يكفرون المُصِرَّ على المعصية.

* ثالثا: ما دون ذلك من البدع الكبار:

كالذكر الجماعي وكالتسبيح بالخطأ وهذه البدع التي قد لا تصل إلى درجة المفَسِّق صاحبها. ومن الأدلة على القسم الثالث الذي ذكرناه وهو القسم المباح أي المعاملة مع الكفار، حديث عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- في الصَّحِيحَيْن أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم قد مات ودرعه مرهونا عند اليهودي، وأيضا ما ثبت في الصحيحين أن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم قد عامل يهود خيبر على الأرض على شطر ما يخرج منها وهذا ما يُسَمَّى بالمزارعة، فالرسول صلى الله عليه وسلم قد أقر يهود خيبر على أرضٍ يزرعونها على أن يأخذ الشِطْر، وأيضا ثبت عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم أنه قد أكل طعاما صنعته يهودية، هذه الشاة المسمومة الذي قيل أنها كانت السبب في موت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم حيث أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: إنِّي لازِلْتُ أجدُ شِدَّتَهَا أو نحو ذلك أو كما قال حتى انقطع أبْهُره هو عرق إذا انقطع يموت الشخص أو يموت الإنسان، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم أكل طعام اليهود وجالس اليهود وكان اليهود يأتونه يسألونه عن بعض الأشياء بل كانوا إذا مروا به قالوا: السَّامُ عليك يا محمد، فكان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم يرد قائلا: وعليكم. السام أي الموت عليك، فالتعامل مع الكفار بالبِرّ والقسط أي العدل لا يدخل في الموالاة المكفرة ولا المحرمة، فلا يجوز لك إن تبايعت مع الكافر أن تستحل سرقته أو أن تستحل حرمة بيته مثلا إذا كان مُعاهَدًا أو إذا كان ذِمِّيًّا أو إذا كان مستأمنا ليس حربيا.

فالكفار على قسمين:

القسم الأول المحاربون: الذين أظهروا العداء والحرب على المسلمين.

والقسم الثاني: أهل الذمة والعهد والأمان:

وأهل الهدنة وأهل هذا القسم هم مَعْصُومُوا الدم والمال، وقد ثبت أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم قد قال: ((مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرُحْ رَائِحَةَ الجَنَّة)) كما أخرج هذا البخاري في صحيحه.

وقد عقّب العلامة الشنقيطي -رحمه الله تعالى- في تفسيره " أضواء البيان" فصلا كبيرا كما في المجلد الثامن، وهذا البحث للشيخ عطية السالم الذي أتمَّ " أضواء البيان" وليس للشيخ الشنقيطي الذي هو صاحب " أضواء البيان" إن الشيخ عطية السالم المصري هو تلميذ الشنقيطي قد أتمّ تفسير " أضواء البيان" فله بحث طيب في تتمته، هذا البحث يتعلق بتفسير قوله تعالى :﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8)إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الممتحنة: 8 - 9]، فذكر الشيخ عطية السالم الخلاف في هذه الآية هل هي مُحْكَمَة أم منسوخة حيث إن البعض قد قال أن هذه الآية منسوخة بآية السيف التي قال فيها سبحانه:﴿ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: 36]، وبنحو قوله: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾[التوبة: 5] وانتشر بقول القائلين بأنها مُحْكَمَة ، وهي بلا شك مُحْكَمَة هذا هو الراجح كما قال هذا القرطبي في تفسيره، وعاد هذا إلى أكثر أهل التأويل، ويؤيد عدم النسخ ما نقله القرطبي عن أكثر أهل التأويل أنه اكتمل، وكذلك كلام الشيخ الشنقيطي -رحمه الله تعالى- عند قوله تعالى: "﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ فإن ذلك رخصة في حالة الخوف والضعف مع اشتراط سلامة الداخل في القلب، فإن مفهومه أنها محكمة وباق العمل بها عند اللزوم، ومفهوم أن المؤمنين إذا كانوا في حالة قوة وعدم خوف وفي مأمن منهم أي من الكافرين وليس بينهم قتال فلا مانع من برِّهِم بالعَدْلِ والإقْسَاط معهم وهذا مما يرفع شأن الإسلام والمسلمين وبه يعلم أنّ الإسلام بحسن المعاملة وتأليف القلوب بالإحسان إلى من أحسن إليه وعدم معاداة من لم يعاده إلى آخره.

ثم قال الشيخ عطية السالم: وقصة الضعينة في صحيح البخاري صاحبة المزادتين لم يقاتلوها و لم يأسِروها أو يستبيحوا ماءها بل ساقوها بمائها إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم فأخذ من مزادتيها قليلا ودعا فيه وردها وقد أكرمها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم وأحسن إليها وإلى آخره،

وكذلك قصة أُمَامَة لما أُسر وربطه أو أمر بربطه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم ساريا إلى المسجد فكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم يحسن إلى أمامة بل أحسن إليه الإحسان الأكبر لما أطلق سراحه أو منّ عليه بإطلاق سراحه في اليوم الثالث مما كان السبب في دخول أمامة في الإسلام، ولذلك قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في "فتح الباري" في بيان أو عند هذه الآية آية المجادلة: ثم إن البرّ والصلة والإحسان، لا يستلزم التحابب والتوادد المنهيّ عنه في قوله تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل يعني، أما أيضا الإحسان يكون أحيانا إلى الحربي المقاتل إذا أُسر أو إذا مثلا أُخذ بعد أن أظهر المحاربة والعداوة فقد يُحسَن إليه هذا ليس من الموالاة المحرمة ولا من التولي المكفر كما في قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ يدخل في هذا إطعام الأسير الكافر، وأيضا إذا صار عبدا؛ يعني الكافر إذا أُسر ثم صار عبدا عند مسلم من المسلمين؛ فان أيضا الإحسان إليه يستحب بل قد تجد بعض صوره فإن المملوك أو العبد الكافر يجب على سيده المسلم أن يطعمه مما يطعم وأن يسقيه مما يستسقي وأن لا يُحَمِّلَه ما لا يطيق لحديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم ، وأيضا ولا يتنّزل هذا على العبد المسلم ولكن يدخل فيه العبد المملوك ولو كان كافرا، فالإحسان إلى الكافر إذا كان أسيرا أو إذا كان عبدا أو إذا كان محاربا هذا أيضا مطلوب ولكن طبعا المحارب الذي يكون في حالة حرب هذا لا يُحْسَن إليه طبعا هذا يُقاتَل لكن نقصد أن هذا الحربي المُقاتل إذا أُسر هل يُحَرَّم الإحسان إليه أم لا يحرَّم هو يُترَك للإمام وهو مخير فيه بين أن يقتله أو أن يفديَه بأن يقبل منه الفدية ثم يطرق سراحه أو أن يَمُنَّ عليه بإطلاق السراح دون أن يدفع الفدية، الإمام مخير بين هذه الأمور الثلاثة في حق الحربي الكافر إذا أُسر.

ولذلك قد اتفقت أيضا كلمة المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ على جواز المجاراة مع الكفار أو استغلال التقية في حالة الخوف أو في حالة الضعف أو الاستضعاف فكما قال ابن العربي في أحكام القرآن في هذه الآية قولان:

أحدهما: إلا أن تخافوا منهم؛ إن خفتم منهم فساعدوهم ووالوهم وقولوا ما يصرف عنكم من شرهم وأذاهم بظاهرٍ منكم لا باعتقاد، يُبيِّن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾.

الثاني: أنّ المراد به إما أن يكون بينكم وبينهم قرابة فصلوها بالعطية وهذا وإن كان جائزا في

الدِّين فليس بقويٍ بمعنى الآية وإنما فائدتها ما تقدم في القول الأول.

وقال القرطبي في تفسيره: وقيل إن المؤمن إذا كان قائما بين الكفار فله أن يجاريهم باللسان إذا كان خائفا على نفسه وقلبه مطمئن بالإيمان والتقيّة لا تحلُّ إلا مع خوف القتل أو القطع أو الإيذاء منهم يعني هذا هو الضابط في جواز استخدام التقية مع الكافرين أن تخشى على نفسك القتل أو الإيذاء الغير المُتَحَمَّل الذي قد لا تتحمله ولكن لك في هذه الحالة أيضا عليك إن كنت مقيما بين ظهراني الكافرين أن تسارع في الأخذ بالأسباب التي تمكنك من ترك ديار الكافرين والهجرة إلى ديار الإسلام هذا واجب على كل مسلم مقيم في ديار الكافرين أن يُعَجِّل بالهجرة إلى بلد الإسلام ولا يجوز له أن يبقى في ديار الكافرين لغير ضرورة تبيح ذلك هذه من الأشياء التي ذكرها أهل العلم.

وقال ابن القيم في "بدائع الفوائد" : معلومٌ أنَّ التقاة –أي التقية– ليست بموالاة ولكن لّما نهاهم عن موالاة الكفّار اقتضى ذلك مُعَادَاتُهُم والبراءة منهم ومُهَاجرتهم بالعدوان في كل حال إلا إذا خافوا من شرهم فأباح لهم التقية وليست التقية موالاةً لهم إلى آخره، هذا ما تيسر بفضل الله في مسألة الموالاة والتولي.

[اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله مخلصا له الدين وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها, كما قال تعالى:ـــ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56] ومعنى يعبدون: أي يوحدون, وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة, وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه, والدليل قوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: 36]]

[اعلم] فهي صيغة تنبيه إلى أهمية ما سوف سيذكر بعد ذلك, وقوله: **[رحمك الله]** دعاء بالرحمة, وهذا كما بيّنا في ما سبق من باب التلطف بالإنسان والإشعار بحرص المصنف على هداية المدعوين, وعلى أن تتنزل عليهم رحمة الله؛ قال : **[اعلم رحمك الله أن الحنيفية ملة إبراهيم]** الحنيفية من الحَنَفْ.

والحَنَفُ لغة كما جاء في لسان العرب لابن منظور أي: الميل, الحنف أي الميل, وقيل أن الحنف هو الإعوجاج في الرِّجل, وهو أن تُقْبِلَ إحدى إبهامَيّ الرجلين على الأخرى, وقال ابن عبد البر في التنويه: الحنيف في كلام العرب هو المستقيم السالم.

وأما معنى الحنيف اصطلاحا: "فهو المائل من الشرك قصداً إلى التوحيد, وقيل هو الذي مال وابتعد عن الأديان الباطلة إلى دين الإسلام, ولذلك قيل: "إن إبراهيم حنف إلى دين الإسلام", وقد جاء في كتاب الله الأمر بإتباع ملة إبراهيم الحنيفية في حوالي ثلاثة مواضع؛ من هذه المواضع ما جاء في سورة آل عمران:

الموضع الأول: في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة:135]

يعني لن نتبع ملة اليهود ولا ملة النصارى, أو لم يؤمر الناس باتباع ملة اليهود أو ملة النصارى بل أَمَرَ باتباع الحنيفية ملة إبراهيم ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

الموضع الثاني: في قوله تعالى: ﴿ قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران:95]

والموضع الثالث: في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا ﴾[النساء:125]

وهذا الموضع يشتمل على الأمر باتباع ملة إبراهيم والثناء على من اتبع هذه الملة, فالعبادة كما جاء في حدها: (هي كل ما أمر الله به أو أثنى على فاعله), إذا أثنى الله على شيء فهو يقتضي الأمر به؛ يعني يدخل في حد العبادة, فهنا في بعض الآيات أمر أمرا صريحا باتباع ملة إبراهيم, وفي مواضع أخرى أثنى على من يتبع ملة إبراهيم نحو هذا الموضع.

وأيضا جاء الأمر باتباع ملة إبراهيم في سورةالنحل﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:123]

ومن المواضع أيضا التي أثنى الله فيها على من يتبع ملة إبراهيم في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة:135]

فبرأ الله إبراهيم – عليه السلام – من اليهودية والنصرانية وأثنى عليه بأنه كان حنيفا مسلما وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:120], وأيضا من باب الثناء على إبراهيم –عليه السلام– وعلى ملته الحنيفية, وقد أبَانَ إبراهيمُ – عليه السلام – عن اتباعه للحنيفية كما في قوله تعالى:﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 79] فهذا على لسان إبراهيم –عليه السلام– إنه أعلن أنه حنيفٌ أي مائل من الشرك إلى التوحيد, يعني ترك عبادة الأوثان التي كان يعبدها أبوه وقومه وتوجه بوجهه إلى الذي فطر السماوات والأرض, وأثنى سبحانه أيضا على الحنيف في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام:161], فكل هذه الآيات تدل على أن الحنيفية هي دين الإسلام الذي أمر الله, باتباعه ولقد ثبت في الحديث الذي حسّنه العلامة الألباني بمجموع طرقه أنه – صَلّى اللهُ عَلْيهِ وعَلى آلهِ وسَلَّم – قال: ((إنَمَا بُعِثتُ باِلحَنِيفِيةِ السَّمْحَةِ)).ولذلك أنكر سبحانه على من انحرف عن ملة إبراهيم ورغب عنها وقال سبحانه كما في سورة البقرة: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة:130] فالذي يرغب أو ينحرف عن ملة إبراهيم قد سفَّه نفسه ورضيَ أن يكون أضل من الأنعام, الذي يرغب عن التوحيد ويرضى بعبادة الأوثان.

وكما جاء أيضاً في الحديث, حديث عياض بن حمار المجاشعي– رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه أنه – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – قال: ((إني خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ فَاجْتَالَتْهُم الشَيَاطِينُ عَنْ دِينِهِم)) فهنا معنى حنفاء كما قال النووي في شرحه على مسلم: "قيل إن معناها أنه خلقهم مسلمين؛ أي حنفاء أي مسلمين, وقيل أي طاهرين من المعاصي, وقيل أي مستقيمين

قابلين للهداية "والذي يظهر أن هذا الحديث يفسر بحديث أبي هريرة الآخر في الصحيحين في قوله– صلى الله عليه وعلى آله وسلم– ((كُلُ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلى الفِطْرة)) فهذا يعني أن الله سبحانه فطر العباد على توحيده والإقرار به كما سوف يأتي إن شاء الله.

ولقد بين المصنف معنى الحنيفية هنا بقوله: [أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين] ولا اختلاف في المعنى, فكل هذه المعاني تدور حول معنى واحد؛ هو إخلاص العبادة لله ونبذ الشرك بكل صوره, وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها .

وقد جاء الأمر لجميع الناس في أول أمر في سورة البقرة في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة:21], أي أن الله خلق الخلق لعبادته وحده, لم يخلق الخلق من أجل الرسول – صلى الله عليه وعلى آله وسلم– كما روي في الحديث الموضوع ((إني خلقت الخلق من أجلك)) وهذا كذب؛ بل إن الله خلق الخلق لعبادته, والدليل قوله تعالى :﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:56]

قال المصنف: [ومعنى يعبدون أي يوحدون] وهذا ثبت عن السلف –رحمهم الله ـــ وكما قال الإمام ابن باز – رحمه الله – في شرحه في تعريف الحنيف: **"هو الذي أقبل على الله وأعرض عما سواه"** , وهي أيضاً من تعريفات الحنيف, وهي كلها تدور على معنى واحد كما بيّنا.

وقال الإمام ابن باز ـــ رحمه الله – في قوله تعالى: :﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:56] يعني **"يوحدوني في العبادة ويخصوني بها"**.

والله سبحانه اختص بالعبادات هذه من الخصائص التي اختص الله بها ولا تجوز لغيره, لا تجوز العبادة لغير الله, ويخُصُّوني بها بفعل الأوامر وترك النواهي إلى غير ذلك .

[وأعظم ما أمر الله به التوحيد]: فإن أعظم الأوامر التي جاءت في كتاب الله وفي سّنة رسول الله التوحيد وهو رأس هذا الدين وهو مسألة المسائل وأعظم المهمات, وفي هذا ردٌّ على كل طوائف أهل البدع الذين حرفوا في هذا الأصل؛ فالإمامية الرافضة جعلوا أصل الأصول ورأس الدين هي الإمامة, وكما قال أحد أذناب الرافضة في هذا الزمان وهو المودودي قال: **"إن مسألة المسائل وأعظم المهمات**

هي الإمامة" هذا قول الرافضة الإمامية, والمتكلمون من الأشاعرة وغيرهم جعلوا أعظم الأوامر بل جعلوا أول الأوامر التي يكلف بها العبد؛ النظر, النظر في الآيات الكونية والعقلية.

وأمَّا عند السلفيين؛ أهل السنة والجماعة أصحاب الحديث والأثر أول واجب على العبيد معرفة الرحمن بالتوحيد؛ إذ هو من كل الأوامر أعظمه, أعظم الأوامر, ولذلك كان هذا هو أول أَمْرٍ أمرَ الله به في كتابه على حسب ترتيب المصحف في سورة البقرة, وكذلك أرشد أو أمر الرسول – صلى الله عليه وعلى آله وسلم– معاذاً لما بعثه إلى اليمن كما في حديث ابن عباس في الصحيحين: **((فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله))** , هذا أول الأوامر وأعظم الأوامر. وليس أول الأوامر الحاكمية, الرسول – صلى الله عليه وعلى آله وسلم– يبعث ليأمر الناس بالحاكمية كما يقول الخوارج؛ حيث قالوا: **"أن الحاكمية هي أخص خصائص التوحيد؛ بل هي محور الصراع بين الرسل وأقوامهم"** هكذا قال أو دندن حول هذا المعنى سيد قطب رأس الخوارج في هذا العصر, وجرى على مجراه من صار على سبيله من أذنابه؛ من أدعياء السلفية نحو محمد حسان والحويني؛ومدرسة الإسكندرية المصرية التي يرأسها(...) برهان, و محمد إسماعيل المقدم, وإلى آخر هذه السلسلة المنكوثة من أدعياء السلفية, وهم على نهج الخوارج.

[وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة, وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه].

يعني إن أعظم المناهي على الإطلاق؛ الشرك بكل صوره, الشرك الأكبر والشرك الأصغر, ولذلك ثبت أو يدل الدليل على هذا من السنة حديث ابن مسعود – رضي الله عنه– في الصحيحين أن النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم– سُئل أي الذنب أعظم يا رسول الله؟ فأجاب الرسول – صلى الله عليه وسلم– : **((أن تجعل لله نداً وهو خلقك))** أي: أن تجعل لله نداً في العبادة؛ أن تشرك بالله في العبادة.

[وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه والدليل قوله تعالى ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾]

وقد فسر المصنفون العبادة بالدعاء, وهذا هو تفسير النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – كما في حديث النعمان بن بشير ((**الدعاء هو العبادة**)) وقرأ قوله تعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ **[غافر:60]** فجعل الدعاء هو العبادة, لذلك أعظم صور الشرك دعاء غير الله.

والدعاء على نوعين:

- **دعاء مسألة.**
- **ودعاء ثناء.**

[فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ؟ فقل: معرفة العبد ربه, ودينه, ونبيه محمد – صلى الله عليه وعلى آله وسلم–]

كأن المصنف سوف يبدأ من هنا في بيان الأصول الثلاثة التي عَنْوَنَ بها رسالته, والبعض من أهل العلم اعتبر أن الرسالة هذه مقسمة إلى رسالتين, وأن الرسالة الثانية تبدأ من هنا, أو اعتبر أن هناك رسالتين بعنوان الأصول الثلاثة, اعتبر الشق الأول الذي انتهينا منه الآن هو يمثل رسالة مستقلة, وأن الشق الثاني هذا الذي سوف نبدأ فيه الآن يمثل رسالة أخرى, والذي يعنينا أن الأصول الثلاثة التي بنى عليها المصنف رسالته قد أخذها من الأحاديث التي بينت الأسئلة التي يُسأل عنها العبد في قبره؛ من ربك؟, وما دينك؟, وما تقول في هذا الرجل الذي هو بُعث فيكم؟. فمن تعلّم هذه الأصول الثلاثة وعرف حقيقة معناها وآمن بها على الوجه الصحيح فحريٌّ بهذا أن يثبت عند السؤال في القبر. ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ ﴾ **[إبراهيم:27]**, وكما بيّنا فيما قبل إن المعرفة يعني الإيمان, يقصد بمعرفة العبد ربه؛ أي أن يؤمن بربه الإيمان الشرعي الذي يعني إعتقاد القلب وتصديق أو إقرار اللسان وعمل الجوارح.

وقد اتفق أهل السنة أن أول واجبٍ على العبد أن يعرفه وأن يتعلمه؛ الشهادتان, وليس أول واجبٍ النظر, ولذلك قال المتكلمون: "**إن معرفة الرّبّ هي معرفة كَسّبِيَة نظرية أي؛ إن العبد عليه أن ينظر في آيات الكون حتى يكتسب العلم بأن الله هو الخالق الرازق المدبر لهذا الكون**"

ولكن أهل السّنة قالوا: "**إن معرفة الربِّ هي معرفة ضرورية فطرية فطر الله عليها العباد**" كما أشرنا إلى هذا في الأحاديث السابقة على معرفته وتوحيده, ولكن كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية "**إن هذه الفطرة الضرورية قد يعتريها الغَلَش والخلل**" كما جاء في الحديث ((**فأبواه يهودانه أو ينصرانه أويمجسانه**)) حديث أبي هريرة السابق,فعلى من اعترت فطرته الشركيات والأهواء أن ينظر في آيات الله الشرعية وآياته الكونية حتى يعود إلى فطرته وحتى يقر بالتوحيد وبالرسالة, وهذا أيضا مصداق حديث عياض السابق ((**إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم**)) إن الله خلق العباد على الفطرة ؛على فطرة التوحيد وعلى الإقرار بربوبية الله .

[فإذا قيل لك من ربك ؟ فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه وهو معبودي ليس لي معبود سواه والدليل قوله تعالى﴿الحمد لله رب العالمين ﴾ وكل ما سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم].

الرَّبُّ هو السيدُ والمالكُ والمربيّ والْمُنْعِمُ والمدبرُ, هذه كلها معاني للرَّبّ كما جاء هذا في كتب اللغة وكذلك في كتب الإعتقاد, وكما قال العلامة عبيد الجابري – حفظه الله–: "**الرب يطلق على المالك والسيد والمعبود, ولا تجتمع كلها إلاّ في الله**", المخلوق قد يكون رباً بمعنى سيداً؛ وكما قال سبحانه وتعالى في سورة يوسف ﴿**وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى البَابِ** ﴾ **[يوسف: 25]** فأطلق السيد على الزوج, على العبيد زوج هذه المرأة التي أرادت أن تفتِن يوسف – عليه السلام ــ فالسيد يطلق أحيانا العبد, على الزوج وعلى راعي البيت ويطلق على الحاكم وهو السيد. فالمخلوق قد يكون رباً بمعنى سيداً, أو بمعنى مالك, وأيضاً المالك يطلق على المخلوق, ولكن لا تجتمع مع المعبود؛ يعني يستحيل أن يجتمع في حق المخلوق؛ أنه مالك وسيد ومعبود, فقد يكون مالكاً وقد يكون سيداً؛ ولكن يستحيل أن يكون معبوداً مع كونه سيدا ومالكا, فالثلاثة لا تجتمع بحق إلا في الله, نعم قد يعبد هذا المخلوق ولكنه يعبد بالباطل لا

يعبد بحق, بحيث لا يعبد بحق إلاّ الله عز وجل .

فمعاني الربوبية تدور على المُلك والتصريف و التدبير والرزق والإحياء والإماتة, فهذه كلها تسمى بمفردات الربوبية.

وقد ذكر بعضها موسى ــ عليه السلام ــ كما في قوله تعالى لما سأله فرعون ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ [طه:49] قال: موسى ــ عليه السلام ــ ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾[طه:50]

وقال المصنف في تعرفيه هنا للرب: [ربي الله الذي رباني ورب جميع العالمين بنعمته], فكما ذكرنا من معاني الرب أي: (**المربي**) فالمصنف هنا ذكر إحدى هذه المعاني وهي التربية أو أنه سبحانه المربي, والرب يربي عباده بنعمه الدينية الشرعية, أي بإنزال الكتب وبإرسال الرسل, ويربي عباده أيضا بنعمه المادية من الطعام ومن الشراب ومن الرزق, فهو سبحانه ربى جميع العالمين بنعمته بالنعم الدينية وبالنعم المادية.

[وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواه] والرّبُّ أيضا هو المعبود, وهذا رويَ عن ابن عباس – رضي الله عنه– كما أخرجه ابن جرير في تفسيره: أن الرب هو المعبود, والدليل قوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة:1] الحمد لله أي الثناء كله لله, وكما قال الشيخ عبيد: "**وموجب الحمدِ نعَمُه الظاهرة والباطنة**". ويفرق بين الحمد والشكر, لأن الحمد يكون على النعمة ويكون على المصيبة, وأن الحمد يكون باللسان فقط, وأما الشكر فلا يكون إلاّ على النعمة ويكون باللسان والقلب والجوارح, وقد بدأ الله سبحانه خمس سور في كتابة الحمد:

أول هذه السور الفاتحة ﴿الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة:1]

وبدأ أيضا سورة الأنعام ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام:1], فجعل موجب الحمد خَلْقَه سبحانه السموات والأرض وأنه سبحانه الذي جعل الظلمات والنور.

وبدأ أيضا سبحانه سورة الكهف بالحمد ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (3) ﴾ [الكهف:1،2،3], فجعل موجب الحمد أنه سبحانه أنزل الكتاب فيستحق أن يُحمد على هذا؛ بل أنزله دون اعوجاج و دون ميل إلى باطل, فكتاب الله متره عن الميل وعن الإعوجاج وعن الإنحراف إلى الباطل ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:42] .

والموضع الرابع الذي بدأ الله به الحمد في سورة سبأ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [سبأ:1]

وأخيراً الموضع الخامس في سورة فاطر ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾ [فاطر:1], و أيضا جعل موجب الحمد هنا أنه سبحانه الذي فطر؛ أي خلق الخلق وأنشأ السماوات والأرض, وأيضا جعل الملائكة رسلا [وكل من سوى الله عالم] أي إن كل ما سوى الله مخلوق, مربوب مقهور.

يدخل في هذا الملائكة والرسل والعرش والسماوات والأرض بما فيهن من المخلوقات, والجن والطير كل هذه من العوالم [وكل ما سوى الله عالم], وفي هذا ردٌّ على القائلين بوحدة الوجود الذين يقولون: "إن الوجود وحْدَةٌ واحدة اتحد فيها الخالق بالمخلوق والرب بالمربوب فلا وجود إلا سواه ولا حقيقة إلاّ حقيقته" كما قال سيد قطب في تفسيره لسورة الإخلاص في الظلال, فكأن المصنف هنا يرد على أمثال السيد قطب ومن القائلين بوحدة الوجود. [وأنا واحد من ذلك العالم]؛ يعني أنت تقر لنفسك أنك مجرد فرد من مئات؛ بل من آلاف؛ بل من ملايين المخلوقات في هذا العالم, وكأن المصنف يريد أن يشعر القارئ بفقره وبضعفه وأنه محتاج إلى توحيد الله وإلى رحمة الله, يعني محتاج إلى توحيد الله حتى يرحمه الله, لأنه لَمّا يكون واحداً فقط في كل هذه العوالم التي خلقها الله سبحانه وأنشأها من العدم؛ فَلِمَ يستكبر على الله ويعظم نفسه ويرفع من شأنها مما يؤدي إلى جحوده إلى أوامر الله أو إلى إستكباره واستنكافه عن الإمتثال له؟!

[فإذا قيل لك بماعرفت ربك فقل بآياته ومخلوقاته ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما]

هنا يسترسل المصنف في بيان كيفية معرفة الرب, ومن هذا الكلام تعرف كيف تجيب على هذا السؤال الذي سوف تسأل عنه في قبرك؛ من ربك؟ فتقول أنا عرفت ربي بآياته ومخلوقاته, الآية هي العلامة وهي التي تدل على المقصود, والآيات هنا على ثلاثة أنواع:

- **آياتٌ شرعية**
- **وآياتٌ كونية**: وهي الآيات التي بثها الله سبحانه في كونه مثل الشمس والقمر والنجوم والجبال إلى آخره...،
- **والقسم الثالث الآيات نفسية**: وهي التي تكون في نفسك ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ ﴾[فصلت:53]

لذلك أيضا قيل إن الآيات الكونية أيضا تسمى بالآيات **الآفاقية**, وهنا عَطَفَ المخلوقات على الآيات وهذا من عطف الخاص على العام؛ لأن المخلوقات هي من جملة الآيات, المخلوقات هي القسمان الثاني والثالث من الآيات, الآيات الآفاقية الكونية والآيات النفسية كل هذه مخلوقة؛ وأما الآيات الشرعية هي كلام الله في كتابه ليس مخلوقة.

[ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما والدليل قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت:37] وقوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف:54]]

لماذا خص المصنف هنا ذكر السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن وما بينهما بالذكر؟ لأن هذه المخلوقات هي تشمل أغلب المخلوقات والتي يطّلعُ على بعضها الإنس والجن, فالإنسُ يطّلعون على الأرض وما فيها من زرعٍ ونباتٍ وماءٍ ونار إلى آخر المخلوقات التي هي من الآيات وأيضاً يطّلعون على بعض ما في السموات من النجوم ومن الكواكب وكلما تقدم الزمن كلما زاد اطّلاع الإنس على المزيد من الآيات في السموات بعد هذه الوسائل الحديثة التي وصل إليها الإنسان, والجن يطلعون على ما في باطن الأرض وعلى ما في السماء الدنيا, بل إنهم يسترقون السمع من السماء الدنيا ويطلعون على هذه الآيات العظيمة التي في السماء, وفي كل هذا الحجة على الجن والإنس؛ الإطلاع على هذه الآيات؛ الآيات الآفاقية الحجة على الجن والإنس على عدم إذعانهم للآيات الشرعية التي بيها يُكَلَّفون .

واستشهد المصنف هنا بقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ **[فصلت:37]**, هنا خص الله سبحانه هذه الآيات الأربعة بالذكر الليل والنهار والشمس والقمر لأنها من أعظم الآيات التي يطّلع عليها كل المكلفين من الجن والإنس, فالليل والنهار آيتان من آيات الله, وكما قال الشيخ عبيد الجابري –حفظه الله–: " **تخصيص هذه الأربع لعظمها وهي أبرز الآيات المخلوقة المشاهدة فالليل والنهار بينهما اختلاف طولا وقِصرا وفيهما العبرة كما قال سبحانه:** ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾ " **[الفرقان:62]**

وأيضا قد يكون الحكمة من ذكر أو تخصيص هذه الآيات, أنها من الآيات المتجددة؛ إن الليل يذهب ثم يأتي النهار ثم يذهب ثم يأتي الليل, فتجدد أو تكرار هذه الآية باستمرار تبعث في النفس التفكر والتدبر وكذلك الشمس والقمر, الشمس تشرق ثم تغرب وتذهب ثم يأتي القمر في بعض الليالي ثم أيضا يُحْجَب نوره في بعض اليالي أو يُحْجَب بعضه هذا التكرار في الحدوث لهذه الآيات الأربع يكون سببا في دوام التذكر, ولذلك خص هذه الآيات الأربع بالذكر.

﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾ السجود عبادة لا تكون إلاّ لله وحده, ولماذا خص الشمس والقمر؟ لأن الكثير من الخلق قد أشركوا بالله في هاتين الآيتين, وكما جاء في حديث عمر بن عَبَسَة

الذي أخرجه مسلم وهو حديث طويل والمشهور بحديث اسلام عمر بن عبسة, في بيانه – صلى الله عليه وعلى وآله وسلم– في الأوقات التي تكره فيها الصلاة, فذكر من ضمن هذه الأوقات في قوله: **((ثم أقصر عن الصلاة))** أي بعد الفجر أو بعد الصبح **((حتى تطلع الشمس حتى ترتفع؛ فإنها تطلع حين تطلع بين قرني الشيطان وحينئذٍ يسجد لها الكفار))**

وأطلق القول أن الكفار يسجدون للشمس في هذا الوقت, وهي تطلع بين قرني الشيطان, كما أخبر ــ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ــ وأيضا ذكر نحو هذا في الغروب فقال: **((وأقصر عن الصلاة))** يعني توقف عن الصلاة **((حتى تغرب الشمس فإنها تغرب حين تغرب بين قرني شيطان وحينئذٍ يسجد لها الكفار))** ولا نعجب فإنه حتى وقتنا هذا يعبد الكفار الشمس في أعظم الدول حضارة من الناحية المادية الدنيوية؛ في أمريكا ما زالوا يعبدون الشمس وبعض هؤلاء المخرفين الذين فقدوا عقولهم وصاروا كالأنعام بل أضل, يأتون إلى هذا التمثال المنصوب بمدينة الأقصر؛ هذه التي بجنوب مصر, حيث إن الشمس تشرق عليه مرتين في العام؛ يعني بطريقة هندسية معينة قام بها المصريون من الفراعنة, تجعل الشمس تشرق على رأس تمثال رمسيس هذا مرتين في كل عام , فيأتي هؤلاء كي يقدموا طقوس العبادة للشمس في معبد رمسيس الثاني, ويعني عبادة الشمس من أكبر الأدلة على أن هؤلاء في قرارة أنفسهم, يعلمون أن لهم ربا قويا قادرا عظيما, ومن ثم لما نظروا في الآيات التي حولهم وجدوا أن الشمس هي من أعظم الآيات ومن أكبر المخلوقات في نظرهم, فظنوا أنها المستحقة للعبادة وأنها هي الإله الذي يستحق أن يعبد, الحمد لله الذي عافانا بما إبتلىَ به هؤلاء .

فلذلك وجه سبحانه هذا النهي إلى هؤلاء ﴿ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ **[فصلت:37]**

ونكتفي بهذا إن شاء الله تعالى ــ وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم ــ, وأنبه إن شاء الله تعالى إلى أن المجلس القادم أو أعتذر عن المجلس القادم, وفي المقابل في الجهة الأخرى سوف نعقد إختبارا إن شاء الله تعالى في السبت بعد القادم في ما سبق من الأصول الثلاثة, أو في ما سبق من الشرح أو التلخيص, يكون الإختبار السبت بعد القادم بعد صلاة الظهر إن شاء الله, حتى نرى الثمرة من هذه

المجالس, حتى يثبت أنك قد استوعبت وفهمت وعرفت الأدلة, وهذا لن يعرف إلا بالإختبار, ويكون الإختبار؛ إختبارا تحريريا, وسيكون الإختبار بسيطا إن شاء الله, ففرصة لكم إن شاء الله أن تجتهدوا في المراجعة والمذاكرة من المجالس السابقة في خلال هذين الأسبوعين.

(إذا أراد النساء المشاركة في الإختبار إن شاء الله سوف يكون اختبارهن في مقر دار الحديث هنا على بعد خطوتين من المسجد, والرجال هنا في المسجد).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف : 54)

فكما بيّنا في آخر مجلس أن المصنّف أورد هذه الآيات من أجل أن يستدل بها على معرفة الربّ عز وجلّ، فإنّ أغلب البشر يُقِرّون بأن الله هو الذي خلق السماوات والأرض وأنّه -سبحانه وتعالى- هو الذي يُغْشي الليل والنّهار هو الذي خلق الشمس والقمر ، يعني قلّ ما أن تجد مشرِكًا ينكر هذا ، ومن أجل هذا أقام الله الحجّة على هؤلاء المشركين بما أقرّوا به في فطرهم وكذلك بما يرونه من حولهم من هذه الآيات المتجددة الظاهرة ولذلك ختم سبحانه هذه الآيات بقوله: ﴿ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ﴾ أي أنّ هذه المخلوقات التي أقرّ بها هؤلاء من الذي سخّرها؟ هذا الرب.ومِن أجل هذا عقّب على ذلك بقوله -عزّ وجلّ-: ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ فكما أقررتم بأنه هو الذي له الخلق فيلزمكم أن تُقرّوا أن له الأمر أيضا وهذا من البديهيات أن الذي خلق هو الذي يأمر وينهى في خلقه ﴿ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

قال -رحمه الله- : والرب هو المعبود والدليل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : 21-22)

في قول الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى - هنا: الربُّ هو المعبود أي أن الرب هو المستحق للعبادة، لا يقصد أو لا يعني أن معنى الربّ بمعنى الإله ، لا، إنما قصد أن الرب هو الذي يستحق أن يُعبَد وكما بيّنا فيما سبق أن الرب هو الخالق المدبر الذي يحيي ويميت وهو الرزاق -سبحانه وتعالى- هذه مفردات الربوبية الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة، وكما قال بعض أهل العلم إنّ الرب والإله من الألفاظ التي إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت، يعني الربّ إذا جاء ذكره مفرداً في بعض النصوص يدخل فيه أو يتضمن معنى الإله فالربوبية تستلزم الألوهية والألوهية تتضمن الربوبية فمن أقرّ بالربّ الخالق المدبر الذي يحيي ويميت يلزمه أن يقر بأنه هو الإله الحق ، أي أن يقر بأنه هو المستحق للعبادة المعبود بحقّ ومن أقرّ بالإله الحق فتضمن إقراره هذا الإقرار بالربوبية فهذا هو ما قصده المصنّف.

واستدلّ بقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ هذا أوّل نداء في كتاب الله على حسب ترتيب الآيات في المصحف أول أمر وأول نداء وُجِّه إلى كافة الناس أن يعبدوا ربّهم الذي خلقهم والذين من قبلهم وعلّل هذا بقوله ﴿لعلكم تتقون﴾ أي أن تتقوا عذاب الله -عز وجلّ- أي أن تجعلوا بينكم وبين عذاب الله حاجزا ومانعا من الطاعات ومن ترك المعاصي والشرك ثمّ أخذ -سبحانه وتعالى- يُعدد نعمه العظيمة من النِّعم العامة التي تعمّ كل المكلفين من الإنس والجن فإنّه سبحانه جعل لنا أو للمكلفين ﴿ الأرض فراشا﴾ أي مُمَهَّدة مُذَلَّلة مُسَخَّرة كالفراش وهذا من عظيم البلاغة في كتاب الله أنه سبحانه شبّه الأرض بالفراش الفراش الذي ينام عليه الإنسان ، والإنسان في الغالب لا ينام على فراش إلا إذا كان مُمَهدا مُذَلّلا، وأيضا ذكر سبحانه نعمة السماء وجعل السماء بناء والمقصود بالسماء هي العُلُوّ، فكل ما علا فهو سماء والله -سبحانه وتعالى- خلق سبع سماوات كل سماء فوق التي تليها وجعلها كالبناء أو كالسقف جعلها سقفا محفوظا سبحانه وتعالى، وأنزل من هذه السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وهذه أيضا من النعم العظيمة العامة التي يعترف بها كل العباد سواء من المؤمنين أو من الكافرين أو المشركين أن هذا الماء الذي نزل من السماء إنّما نزل بقدرة الله وأنّ الربّ هو الذي أنزله؛ المشركون يعرفون حقّ المعرفة أن الآلهة التي أشركوا بها مع الله لم تنزل هذا الماء من السماء، هم يعلمون أنّ عيسى المسيح -عليه السلام- لم يُنزِل هذا الماء، وأن مريم -عليها السلام - لم تنزل هذا الماء، وأن موسى -عليه السلام- لم ينزل هذا الماء، وكذلك من وقع في الشرك بجهالة من

المسلمين يعلمون علم اليقين أنّ الحسين لا يتزل الماء من السماء، وأن زينب لا تتزل الماء من السماء، وأنّ البدوي لا يتزل الماء من السماء ، وأن كل هذه المعبودات لا تملك أن تُخرج الثّمر من الأرض بعد أن يتزل عليه الماء ؛وقد يُستثنى من هؤلاء المغفلون السفهاء من الرافضة الشيعة الذين يعتقد بعضهم أنّ عليًّا -رضي الله عنه- هو الذي يتزل الماء وهو الذي يُجري السحاب ففاقوا اليهود والنصارى في الجهل وفي الكفر والشرك حيث أشركوا في الربوبية كما أشركوا في الألوهية.

﴿أَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ ﴾ أي أنّ هذه الثمرات هي من الرزق الذي يعمّ كل الخلق .

﴿ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي وأنتم تعلمون هذه النِّعَم وتقرون بها فلم تتخذون الشركاء والنظراء مع الله الذي أقررتم أنه أنزل أو مَنَّ عليكم بهذه النّعم ، فهذا يُعَدّ من أعظم الظلم أن تسوّوا بين الخالق الرازق الذي منّ عليكم بكل هذه النّعَم وبين هذه المعبودات التي لم تمنّ عليكم بأي بنعمة من هذه النّعم ولذلك صدق الله حينما قال: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(لقمان:13).

قال الشيخ -رحمه الله- : قال ابن كثير -رحمه الله تعالى- "الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة " وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى والدليل قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ (الجن: 18) فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر.

يؤكد المصنف ما قرّره من قبل بنقله لقول الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالى- هو إسماعيل بن عمر الدمشقي من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- صاحب التفسير المشهور وصاحب كتاب البداية والنهاية أنه قال: **الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة** كما بيّنا فيما سبق.

ثم أخذ المصنف يعدد أنواع العبادة، **والعبادة** كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية هي: **(اسم جامع لكل الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة التي يحبها الله ويرضاها)** وهذا تعريف جامع مانع من شيخ الإسلام وهناك من **الأصوليين من قال في تعريف العبادة (أنها كل ما أمر الله به من غير اقت داء عقلي ولا اضطراب عُرفي)** ونقل هذا التعريف الشيخ صالح آل الشيخ والشيخ صالح الفوزان -حفظهما الله- في

شرحهما على الأصول الثلاثة.

أي أن العبادة هي كل ما أمر الله به دون أن يكون للعقل أو للعرف دخلا في هذا فالعبادة تُعرَف عن طريق الوحي، كيف نُعرف أوامر الله ؟ عن طريق الوحي الْمُنَزّل، لا تكون العبادة بالعقل ولا بالعُرْف هذا معنى تعريف هؤلاء من الأصوليين.

وذكر المصنّف أن أنواع العبادة التي أمر الله بها الإسلام والإيمان والإحسان ، ثم أخذ يعدد الأنواع التي تتفرع من هذه الثلاثة، فالدين على مراتب ثلاثة هي هذه المراتب الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان ، وهذه المراتب هي التي ذكرها الرسول –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– في حديث عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– المشهور بحديث جبريل –عليه السلام– وسوف يأت ذكره وشرحه قريبا في هذا المتن إن شاء الله.

وبعد أن عدّد المصنف بعض أنواع العبادة ختم هذا بقوله **كلها لله** أي أن كل هذه الأنواع لله وحده وأن هذه الأنواع التي ذكرها المصنف هي تنقسم على القلب واللسان والجوارح، فمن العبادات ما يكون قوليا، وما يكون قلبيا أي بالقلب، وما يكون عمليا أي بالجوارح أي بعمل الجوارح، وقد تكون العبادة الواحدة على الثلاثة أو على اثنين من الثلاثة.

ثم استدلّ بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾ وكما قال الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله تعالى– هنا وجه الدلالة من هذه الآية أنّ الله تعالى أخبر أنّ المساجد وهي مواضع السجود أو أعضاء السجود لله، يعني المساجد إمّا تُطلَق على مواضع العبادة أي مواضع السجود أو تُطلَق على أعضاء السجود التي يسجد بها العبد وهي الأعراض أو الأعضاء السبعة التي ذُكِرَت في حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– في الصحيحين فهذه الأعضاء السبعة وهذه البقاع التي يُسجد فيها هي لله ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾، ورتّب على ذلك قوله ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾ أي لا تعبدوا معه غيره فتسجدوا له، فالدعاء هنا بمعنى العبادة كما سوف يأتي.

قال –رحمه الله– : والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المؤمنون : 117)

وفي الحديث (الدعاء مخ العبادة) والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر : 60)

الدعاء على نوعين :

1- النوع الأول دعاء المسألة : ومعناه أن تسأل الله سبحانه من خير الدنيا والآخرة ، وأن تسأله من فضله، وأن تسأله أي شيء من نعمه الظاهرة والباطنة .

2- والنوع الثاني دعاء العبادة: وهو الذي يتضمن كل هذه الأنواع من العبادة وهو المعني في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾ الدعاء هنا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة ولكن دعاء العبادة أشمل فدعاء المسألة يدخل في دعاء العبادة؛ دعاء العبادة أَعَمّ ودعاء المسألة أخَصّ.

فكما قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالى- في بيان **معنى دعاء العبادة** (**أن يتعبَّد به للمدعو أي لله سبحانه وتعالى طلبا لثوابه وخوفا من عقابه فهذا لا يصِحُّ لغير الله فصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة**) ولذلك هذا هو معنى حديث النعمان بن بشير -رضي الله عنه- والذي قال فيه الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: (**الدعاء هو العبادة**) هذا هو الحديث الصحيح أمّا لفظ:(الدعاء مخ العبادة) فلا يصحّ أخرجه الترمذي في جامعه وفي إسناده ابن لهيعة وهو سيء الحفظ كذلك أخرجه الطبراني في كتاب الدعاء وفي المعجم الأوسط وأخرجه أيضا أبو طاهر السِّلَفِي في كتاب له أيضا يُسمّى بالدعاء وهو مخطوط لم يُطبَع بعد، وفي حديث النعمان بن بشير أنه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قرأ قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ بعد أن قال الدعاء هو العبادة قرأ قوله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ فبدأ في أول الآية بذكر الدعاء بالأمر بالدعاء ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي ﴾ أمر بالدعاء ثم ختمها بذكر الوعيد على من يترك الدعاء الذي هو العبادة فقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ لم يقل عن دعائي فدل هذا على أنّ الدعاء هنا بمعنى العبادة.

و**دعاء العبادة** يقال عنه أيضا أنه **دعاء الثناء أي الثناء على الله عز وجل بأسمائه وبصفاته** وقد يجتمعان أي يجتمع دعاء المسألة مع دعاء الثناء كما في حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- في الصحيحين في **دعاء الكرب** والذي جاء فيه أنه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قد أمر المكروب أن يقول هذه الكلمات: (**لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله ربّ العرش العظيم لا إله إلا الله رب**

السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم) فكما ترون هذا الدعاء إشتمل على الثناء فقط والرسول –صلى الله عليه وسلم– قد حث على أن يُقال هذا الدعاء عند الكرب أو عند طلب تفريج الكرب من الله، و لم يحتوي إلا على كلمات ثناء فقط ليس فيه مسألة ، ولكنه يتضمن المسألة لأن من يدعو بهذه الكلمات إنما قصد من هذا أن يسأل الله أن يرفع عنه الكرب وأن يفرج عنه الكرب بهذا الدعاء كما جاء في لفظ رواية أخرى للحديث **كلمات المكروب** **لا إله إلا الله العظيم الحليم وإلى آخره** وقلّما أن يواظب عبد على هذا الدعاء في أيّ كرب وإلاّ ويجد الفرج من الله؛ فعلينا أن نحرص على حفظ هذا الدعاء وأن نردده في أي كرب عافانا الله وإياكم من كل كرب.

وأيضا استدل المصنف بقوله تعالى في سورة المؤمنين: ﴿ **وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** ﴾ (المؤمنون : 117) وهنا أيضا الدعاء المقصود به دعاء العبادة والذي يتضمن دعاء المسألة، فمن صرف العبادة لغير الله أي من دعا غير الله يعني عبد غير الله فإن هذا المعبود الذي عبده بلا شك لا برهان له به، فهنا **معنى لا برهان له به** كما قال الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله– أي أنه لا يمكن أن يكون برهانا على تعدد الآلهة فهذه الصفة لا برهان له به صفة كاشفة مبيّنة للأمر وليست صفة مُقيِّدة تُخرِج ما فيه برهان لأنه لا يمكن أن يكون برهانا على أن مع الله إله آخر فليس معنى لا برهان له به أنّ من حصّل برهانا على إلهٍ أنه له الحقّ أن يعبده ليس هذا معنى الآية ، إنما لا برهان له به هي صفة كاشفة ليست صفة مقيِّدة يخرج منها الذي قُيِّد، كما قال أيضا الشيخ العلامة محمد أمان الجامي –رحمه الله تعالى– لا برهان له به: هذه الجملة حالية يعني هي الحال في المعنى وفي المعنى وصف أي صفة كاشفة ، ومعنى الصفة الكاشفة لا مفهوم له ، أي لا يوجد إله يُعبَد من دون الله وللعابد حجّة، فلا برهان له به هذا على سبيل الجزم وليس على سبيل التقييد أي أنه لا يمكن أن يوجَد برهان للمشرك الذي أشرك مع الله عز وجل في هذا المعبود الذي عبده بالباطل لا يمكن أن يكون برهان أنّ مع الله إله آخر ، ومن أجل هذا صدق المصنف لّما قال : **من صرف شيئا من هذه العبادات لغير الله فهو مشرك كافر** طبعا هذا على الإطلاق وأما على التعيين فكما هو معلوم فإنّ الحكم على المعين بالكفر أو بالشرك يحتاج إلى توفّر شروط وإلى انتفاء موانع.

قال –رحمه الله–: **ودليل الخوف قوله تعالى**: ﴿ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران:175)

الخوف هو بمعنى الفزع وهو الذُعر، هو إنفعالٌ يحصل عند توقع ما فيه هلاك أو ضرر إنفعال يحصل للقلب وقد يظهر أثره على الجوارح عند توقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى.

والخوف على ثلاثة أنواع :

1- **النوع الأول ما يُسَمى بخوف السرّ** وهو أن تخاف أن يصيبك المعبود بأذى أو بضرر ، فإن كان المعبود الذي تعبده هو الله وهو المعبود بحقّ سبحانه وتعالى فهذا هو التوحيد، وأما إذا كان المعبود كان من المعبودات الباطلة التي تُعبَد مع الله بغير حق فهذا هو الشرك، شركٌ أكبر.

فالذين يخافون من الأموات المقبورين في القبور أن يصيبهم منهم الأذى والضرر فقد وقعوا في الشرك الأكبر، فهؤلاء الجهال يخافون خوف السرّ يعني في داخل أنفسهم يشعرون بالخوف من هؤلاء الأموات أن يُصابوا منهم بأذى أو بضر حيث يعتقدون أنهم يملكون لهم الأذى والضُّر، وهذا الميت المقبور هو بعيد عن هذا المغفل الجاهل ومن أجل هذا سُمّي بخوف السرّ فكيف يخاف من بعيد أو من غائب لا يملك له شيئا هذا لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى .

2- **والنوع الثاني هو الخوف المحرّم**، الأول هو خوف السرّ أو يُسَمّى بالخوف الشركي الذي يُعَدّ شركا أكبر ؛**النوع الثاني الخوف المحرم** وهو أن يخاف من مخلوق سواء كان حيا أو ميتا أن يصيبه بأذى أو أنه يترك واجبا أويفعل محرما لخوفه من هذا المخلوق لكن دون أن يعتقد في هذا المخلوق أنه يملك له الأذى أو الضرر بدون أسباب ، فهذا هو الفارق بين الخوف الشركي والخوف المحرم، ففي **الخوف الشركي** يعتقد المشرك أو الجاهل أنّ هذا الميت يملك له الضُرّ والأذى بغير أسباب وهو بعيد عنه وهو غائب لا يراه ولا يعرف عنه شيئا، أما **الخوف المحرّم** هو أنه يترك واجبا من أجل أنه قد توهم أنّ فلانا قد يضره وفلان هذا يملك أسباب الضرر ولكنه لن يضره إلا بإذن الله فهو ترك الواجب من أجله بغير ضرورة تقتضي هذا أو وقع في المحرم من أجل هذا الرجل الذي يخاف منه من غير ضرورة تقتضي هذا، فلم يكن مكرها و لم يكن مضطرا إلى فعل المحرم وإلى ترك الواجب هذا يُسَمّى بالخوف المحرم ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ يعني إذا خاف مثلا المسلمون من العدو

الكافر أن يصيبهم بأذى أو بضرر رغم أنّ هذا العدو لا يملك لهم ضرا ولا أذى إلا بإذن الله فهذا الخوف يجعلهم يتقاعسون عن الجهاد رغم أنهم عندهم القدرة على تحصيل أسباب دفع شر هذا العدو فإذا بهم يتقاعسون عن الأخذ بهذه الأسباب وعن مجابهة هذا العدو خوفا منه، فهذا يُعَد من ضعف الإيمان ويدخل في الخوف المحرم.

3- **النوع الثالث وهو ما يسمى بالخوف الطبيعي الجِبِلّي** وهو ما جُبِلَ عليه كل البشر أنّه يخاف من الأشياء التي تخيف، نحو صوت السبع أو الأسد أو أن يخاف من عدوّ أن يبطش به خوفا طبيعيا لا يمنعه من ترك واجب ولا من فعل محرم إنّما يشعر في قلبه بخوف من هذا العدو، هذا لا يؤاخَذ عليه العبد إنما يؤاخذ متى يؤاخذ ؟ إذا حمله هذا الخوف على ترك واجب أو على فعل محرم بغير ضرورة كما بيّنا أما المضطر فله حكمه أو المكره فله حكمه، وهذا الخوف الجبلي قد وقع فيه نبي الله موسى -عليه السلام- كما قال سبحانه عنه: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ ﴾(القصص:18) هذا لا يُنقص من قدر نبي الله موسى -عليه السلام- لأنه بشر وقد وقع في شيء من الأشياء التي يقع فيها البشر ، فهذا الخوف الجبلي مباح فهو ليس محرما وليس مكروها وليس شركا، فأنت إذا رأيت النار خفت أن تقترب من النار، هل خوفك من النار أن تقترب إليها يُعَدّ محرّما أو شركا ؟ لا ليس شركا وليس محرما لأن هذا أمر جبلّي الذي جُبل عليه الناس أن يخاف من الأشياء التي تخيف لكن دون أن يدفعه هذا كما بيّنا إلى فعل محرم أو ترك واجب إلا للضرورة أو لعُسْر .

قال -رحمه الله-: ودليل الوجاء قوله تعالى: ﴿فمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ (الكهف : 110)

الرجاء هو طمع العبد في أمر قريب المنال يعني يسهل الحصول عليه وقد يكون أحيانا في أمر بعيد المنال .

والرجاء أيضا على نوعين:

1- **النوع الأول:** رجاء عبادة هو الذي يتضمن الذل والخضوع للمرجوّ وهذا لا يكون إلا لله وحده .

2- **النوع الثاني:** الرجاء من المخلوق فيما يقدر عليه دون أن يحتكّ بهذا الذل والخضوع لهذا المخلوق ، كأن تقول مثلا لأحد إخوانك أرجو ان تحضر لي هذا الكتاب أو أرجو أن تفعل لي كذا وكذا، هذا

الرجاء ليس فيه شيئا لأنه طلب من مخلوق في شيء يقدر عليه يقدر أن يحصّله لك بأسباب معروفةوهذا الطلب لا يتضمن الذل والخضوع لهذا المرجو ، أما الرجاء الذي هو عبادة فهذا الذي يكون معه الذل والخضوع والإنابة إلى المرجو –سبحانه وتعالى-: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ﴾ فالرجاء يدفع العبد إلى العمل الصالح ويدفعه إلى ترك الشرك، فمن كان يرجو أن يلقى الله –عزّ وجلّ- وأن يدخل جنة الله وإن كان صادقا في رجائه فعليه أن يترك عبادة غير الله وأن يعمل الأعمال الصالحة هذا هو الذي يصدق في رجائه.

قال –رحمه الله-: ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة : 23) وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (الطلاق : 3)

التوكل هو اعتماد القلب على الله –عز وجل- وهو عبادة قلبية، الأصل في التوكل أنه عبادة قلبية، هو اعتماد القلب على الله في جلب المنافع و في دفع المضار، واستدل المصنف بقوله تعالى في سورة المائدة ﴿وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ هذه الآية جاءت في سياق الآيات التي تُخبر عن بني إسرائيل والتي بدأها سبحانه بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّن الْعَالَمِينَ، يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ، قَالُوا ﴾[يعني ردّ بنو إسرائيل على موسى عليه السلام لّما أمرهم بهذا بدخول الأرض المقدسة] ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ (المائدة:20-21-22) وردوا أمر الله –عز وجل- في أول الأمر نظرا لضعف توكلهم فاحتجوا على موسى بأنّ في الأرض المقدسة قوماً من الجبابرة الذين هم يخافون منهم ونسوا الله –عز وجل- فأُقيمَت عليهم الحجة بقول رجلين من الصالحين منهم كما في قوله تعالى بعد ذلك: ﴿قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ [أنعم الله عليهما بصدق التوكل] ﴿ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: 23)

إنّ الرجلين أمرا بني إسرائيل بأخذ الأسباب أولا ، ثم بعد ذلك بتفويض الأمر إلى الله بالتوكل عليه أي

باعتماد القلب عليه، ولذلك التوكل الصحيح الذي يرضاه الله -سبحانه وتعالى- هو الذي يتضمن أمرين:

1- الأمر الأول الأخذ بالأسباب المشروعة .

2- الأمر الثاني تفويض الأمر إلى الله واعتماد القلب عليه سبحانه بعد الأخذ بالأسباب.

أمّا التفويض والاعتماد بغير أخذ بالأسباب السليمة فهذا ليس من التوكل الصحيح وإن هذا يُعَدّ تواكلا لا توكّلا.

وتحقق المراد الذي يرمي إليه أي العبد بتوكله يكون بثلاثة أشياء:

1- الأول : أن يكون هذا الشيء ممّا أحله الله وأن يكون ليس مُحرَّما فمن توكّل على الله لتحصيل محرّم فهذا ليس من التوكل المحمود، وهذا يتضمن أنه إذا أراد تحصيل هذا الشيء الذي أحلّه الله أن يأخذ أيضا بالأسباب المشروعة التي شرعها الله والتي أباحها الله لتحصّيل هذا المراد المشروع ، وأن يُحسن في الأخذ بالأسباب، أي أن يأخذ بالأسباب التي هي دلّ العرف أو دلّت التجربة أو دلّ الواقع على صحّتها، أما أن يأخذ بأي أسباب حتى وإن كانت أسبابا ساقطة قد ثبت فشلها في الواقع أو في التجربة فإنّ هذا يُعَدّ من التقصير أيضا في التوكل ومن التقصير في الأخذ بالأسباب الذي به يصح التوكل.

2- الأمر الثاني الذي به يتحقّق مراد العبد صلاحية المحِلّ لتحقق هذا المراد.

3- الأمر الثالث خلوّ المحِل من الأمر المضاد لتحقق المراد .

وكمثال لهذا أنّ المريض إذا أراد الشفاء فعليه كي يحقق مراده الذي هو الشفاء بهذه الثلاثة:

- أولا: الشفاء لا شك مطلوب شرعا، فعليه أن يأخذ بالدواء الذي أحلّه الله لتحقيق هذا الشفاء ، فلذلك كان الخمر ليس من الأسباب المشروعة التي هو يستشفي بها العبد لأن الله سبحانه وتعالى لم يجعل شفاء هذه الأمة فيما حرّم عليها كما ثبت في حديث عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فإذا أخذ أدوية محرمة فقد أخطأ الأمر الأول الذي يحقق مراده .

- ثم الأمر الثاني الذي يحقق به المراد: صلاحية المحِلّ لهذا السبب أي أن يكون بدنه مهيئا لهذا الدواء كي يأتي بالنتيجة.

- والأمر الثالث: خلوّ المحِلّ أي خلوّ بدنه من الأسباب المضادة لتحقيق المراد أي لتحقيق الشفاء.

وهذان الأخيران هما لله -سبحانه وتعالى- وتحققهما يكون باعتماد القلب على الله، أن يعتمد بقلبه على

الله لأنه سبحانه يهيئ بدنه لتقبّل هذا الدواء الذي يكون به الشفاء ، وأن يخلي بدنه من الأسباب المضادة التي تمنع الشفاء وهذا يتحقق بدعاء العبد لله **(اللهم ربّ الناس أذهب البأس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لايغادر سقما)** وقد أمر الله عباده المؤمنين بالتوكل عليه في غير ما آية من كتابه وبين أنه سبحانه يحب المتوكلين كما في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ [فإذا عزمت بفعل الأسباب التي تؤكد هذا العزم] ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران : 159) فأمر الله رسوله بالعزم أو عند تحقق الأسباب السليمة أن يعتمد بقلبه على الله ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ ﴾ فبيّن أنه سبحانه يحب المتوكلين فهذه العبادة من أجلّ العبادات.

وكما بين الشيخ عبد الرحمن بن قاسم النجدي -رحمه الله- في حاشيته على الأصول الثلاثة: الحَسْبُ معناه الكافي، وذلك في بيان قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي أن من يتوكل على الله فإنه كافيه وهذا أيضا مُبَيَّن في قوله تعالى في سورة الزُّمَرْ ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾ (الزمر:36) فالله هو الحسب هو الكافي الذي يكفي العبد.

فمعنى الآية وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ أي يعتمد عليه في أموره فهو كافيه ، ومن كان الله كافيه فلا مَطْمَع فيه لأحد ولكن كما بيّنا هذا التوكل وهذا الاحتساب يكون بالأسباب المشروعة لا ينبغي أو لا يظن العبد أنه يسيء في الأخذ بالأسباب أو يقع في المحرم ثم هو يقول أنا أتوكل على الله، هذا ليس بصواب وإنما يُحرَم النّصر والتوفيق والهداية من الله فمن يخالف الأسباب المشروعة لا ينال مراده من الله ولا يكفيه اعتماده بقلبه على الله -عز وجل-، فالذين مثلا يُلقون أنفسهم في التهلكة بحجة التوكل على الله هؤلاء ليسوا على السبيل السوي فالذين يدخلون في قتال الكفار بغير أخذ العدّة والعتاد التي أمر الله بها ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾(الانفال:60) فهؤلاء يدخلون المعركة بغير أسباب كافية بغير عدّة إيمانية ولا عدّة مادية فهم مخربون أو نقول أن قلوبهم خربة بسبب الاعتقاد السيئ الذي حاق بهم وكذلك ما حصّلوا السلاح الكافي وما حصّلوا العدد الكافي الذي به يجب عليهم قتال العدو الكافر مثلا.

وكذلك قد تجد أحد الشباب يتهور ويفعل أشياء يظن أن فيها المصلحة في الدعوة ولكنه أساء الأخذ بهذه الأسباب ويقول أنا أفعل هذا وأتوكل على الله، يعني تجد شابا يخرج في هذه المظاهرات يقول هذا من إنكار المنكر و أتوكل على الله ولن يصيبني إلا ما كتب الله لي هذا ليس من التوكل الصحيح، وتجد آخر ينفصل عن أهل العلم ويظن نفسه قد استقلّ بالفتوى فيفتي بالفتاوى الباطلة التي بها يتعرض للأذى من قِبل من آذاهم بغير حق فيقول أنا أتحمل هذا الأذى في سبيل الله وأتوكل على الله هذا ليس من التوكل وهذا ليس من الاحتساب الصحيح لأنه سلك سبيل المودّة لم يذهب إلى أهل الذكر كي يسألهم فيما لا يعلم بل ظنّ نفسه قد استقلّ بالفتوى فأفتى نفسه أو ظنّ نفسه عالما فأفتى نفسه وأخذ يبدّع هذا ويكفّر هذا ويرمي هذا بالكلمات البذيئة التي يطعن بها في عرضه بغير حق فإذ به يتعرّض للطعن من قبل هؤلاء الذين رماهم بغير حق ويتعرض للأذى منهم ويقول أنا أفعل هذا وأتوكل على الله هذا ليس من التوكل ولن ينال الكفاية من الله ولن ينال النصر من الله، وآخر يقول أنا أذهب إلى هؤلاء كي أجادلَهم وكي أناصحَهم وليس عنده العلمَ الكافي للمجادلة ولا للمنا صحة يقول أذهب وأتوكل على الله، لا، حصِّل أوّلا الأسباب السليمة أي حصّل العلم الذي به تستطيع أن تنصح هؤلاء ثم بعد ذلك توكل على الله اذهب والله -عز وجل- هو وكيلك وهو حسبك لكن لا تذهب إلى هؤلاء بجهل فتتسبب في زيادة فتنتهم بجهلك، وكذلك أيضا من ضمن الأمثلة التي يقع فيها البعض من طلبة العلم أو من الذين يتصدّرون الدعوة أنه يعلم أنّ القيام مثلا بالدعوة في المساجد لا يكون إلاّ بإذن وليّ الأمر وإنّ وليّ الأمر لا يمنع من الدعوة ولكنه قد وضع له ضوابط ووضع له شروط حتى يضبط الأمر فيقوم هذا الشاب ويقول أنا سوف ألقي درسا في هذا المسجد أو أخطب في هذا المسجد دون أخذ الإذن من ولي الأمر فلم يسلك الأسباب السليمة بالاستئذان ممّن ولاّه الله الأمر فإذ به يتعرض للأذى ويقول أنا أخطب أو ألقي درسا ويحدث ما يحدث فأتوكل على الله، لا هذا ليس من التوكل السليم عليك أن تسلك الأسباب وأن تُعِدَّ نفسك الإعداد العلمي ثم تذهب إلى من ولاّه الله الأمر وأن تستأذنه فإن أذن لك فهذا أنت تكون قد حصّلت الأسباب السليمة وبعد ذلك فإن تعرضت لأي شيء فإن الله هو حسبك وكافيك لكن تخالف الأمر الشرعي هذا وتقول أنا أتوكل على الله هذا ليس من التوكل الصحيح بارك الله فيكم

قال –رحمه الله– : ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (الأنبياء : 90)

الرغبة هي محبة الوصول إلى الشيء المحبوب أي المرغوب فيه.

والرهبة هو الخوف المثمر لهرب من المَخُوف منه يعني هي خوف مقرون بعمل.

هذا هو الفارق بين الرهبة والخوف: فالرهبة هي الخوف الذي يثمر أنك تهرب من هذا الذي خفت منه فهي خوف مقرون بعمل.

والخشوع والذل والخضوع لعظمة الله أن تخشع لله أي أن تذلّ وأن تخضع وأن تُخبِتَ إلى الله وهذا يكون بالاستسلام لحكم الله الشرعي وحكمه القدري الكوني هذا هو الخشوع.

خاشعين لله أي مخبتين خاضعين أذِلاّء لله –عز وجل– واستدل المصنف بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ فتضمنت الآية الأنواع الثلاثة من هذه العبادات القلبية .

قال –رحمه الله–: ودليل الخشية قوله تعالى: ﴿ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾ (البقرة 150)

الخشية هي الخوف الذي يتضمن العلم بعظمة المخشي منه ، فمن خاف الله –عز وجل– لعلمه بعظمة الله وبقدرة الله وبسلطان الله فهذه هي الخشية، ولذلك لما وصف الله عباده من العلماء وصفهم بالخشية و لم يصفهم بالخوف حيث قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾(فاطر:28) و لم يقل إنّما يخاف الله فإن هؤلاء قد خافوا الله على علم بأسمائه وصفاته و على علم بقدرته وسلطانه –سبحانه وتعالى– فالخشية أخص من الخوف في المعنى والخوف أعمّ ، وأقسام الخشية هي نفسها أقسام الخوف مثلما ذكرناها في الخوف.

قال –رحمه الله– : ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ (الزمر : 54)

الإنابة هي الرجوع إلى الله بالتزام طاعته وترك معصيته ، ومعنى الإنابة قريب من معنى التوبة ، فإن معنى التوبة ترك المعصية والعزم على عدم العودة إليها مرة أخرى مع الندم ، واستدل المصنف بقوله تعالى:

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ كما قال العلامة عبيد الجابري هنا –حفظه الله– **الإنابة** إذا أُفرِدَت هي بمعنى الإسلام وبمعنى الإيمان ولكن إذا قُرنت بالإسلام كانت الإنابة بالقلب والإسلام بالجوارح أي بالأعمال الظاهرة، وهذا مثل الإيمان والإسلام إذا جُمِع بينهما انصرف الإيمان إلى الاعتقاد أي إلى أعمال القلوب والإسلام إلى أعمال الجوارح وإذا انفرد كل واحد منهما شمل الآخر، فهنا في هذه الآية ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ جمع بين الإيمان والإسلام في آية واحدة وفي موضع واحد فكانت الإنابة هنا هي التي بالقلب والإسلام هنا هو إسلام الجوارح أي بالأعمال الصالحة .

قال –رحمه الله–: ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة : 5) وفي الحديث : (إذا استعنت فاستعن بالله).

الاستعانة هي طلب العون، والأصل في الاستعانة أنها عبادة قلبية ، فمن طلب العون من مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا قد وقع في الشرك ويسمى بِشِرْكِ الاستعانة ، أي من استعان بمخلوق فيما لا يقدر عليه هذا المخلوق استعان بمخلوق أن يحقق له الشفاء بغير أسباب نحو الذين يستعينون بالحسين وبالبدوي وبالرسول –صلى الله عليه وسلم– على الشفاء، فيقول أحدهم في دعائه اشفني يا رسول الله أو يقول أعِنّي يا بدوي أو أعني يا حسين على تحقيق حاجتي يطلب العون من الحسين، هو يعلم أنّ الحسين ميّت وأن الرسول –صلى الله عليه وسلم– لا يملك له هذا العون لأنه –صلى الله عليه وسلم– قد انتقل إلى دار البرزخ هو ليس حيًّا بين أظهرنا حتى يعينه، وأمّا إذا كان طلب العون من مخلوق حي حاضر فيما يقدر عليه فهذا يكون مباحا دون أن يعتمد القلب على هذا المخلوق في هذه الإعانة إنّما هو يستعين به في الأسباب الظاهرة فقط لكن لا يتعلق قلبه به فإنّ تعلّق القلب بهذا المعين من البشر أو من المخلوقين فيه نوع من الشرك قد يكون شركا أصغر إذا كان فيه نوع تعلق بهذا المخلوق ويصل إلى الشرك الأكبر كما بيّنا إذا اعتمد بقلبه اعتمادا كاملا على هذا المخلوق في تحقيق ما لا يقدر عليه هذا المخلوق سواء كان حيا أو ميتا، وأحسن المصنف في الاستدلال بآية الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾لأن فيها تقديم المعمول الذي يدل على حصر الاستعانة في الله –عز وجل– كما قال شيخنا ابن عثيمين –رحمه الله

تعالى-: **وقاعدة اللغة التي نزل بها القرآن أنّ تقديم ما حقّه التأخير يفيد الحصر والإختصاص وعلى هذا يكون صرف هذا النوع لغير الله تعالى شركا مخرجا من الملّة**.على ما بيّنا.

وهذه الإستعانة القلبية التي لا تكون إلا لله وحده التي لا تكون إلا لله وحده هي تتضمن كمال الذل والخضوع لله، ويدخل في هذا التوكل والتفويض ، فمن استعان بالله وحده على قضاء حاجاته فقد توكل على الله وفوض أمره إلى لله، فهذه العبادات لا تنفك ولا ينفك أحدها على الآخر فلا استعانة إلا بتوكل وكذلك أيضا لا استعانة صحيحة إلا برجاء، فمن استعان بالله على قضاء حاجة من حاجاته فإنه يرجو الله عز وجل أن يحقق له هذه الحاجة وأمّا كما بيّنا إنّ من استعان بالمخلوق فيما يقدر عليه فهي قد تكون مباحة وقد تكون مستحبّة على حسب حال العبد ويدل عليها قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾(المائدة:2) إذا استعان أحدنا بالآخر على تحقيق البر والتقوى فهذا مشروع؛ أما إذا استعان أحدنا بالآخر على إثم أو معصية فهذا محرّم ، إذا كانت الاستعانة على أمر شرعي مستحَب فإنها تكون مستحبّة وإن كانت الإستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه على شيء مباح فإنها تكون مباحة وإن كانت على شيء محرم فإنها تكون محرمة؛ ونحوه ما أشار إلي الشيخ ابن عثيمين هنا والاستعانة بمخلوق على شيء يغلب على الظن أنه لا يقدر عليه من ناحية الأسباب الحسية نحو أن يستعين برجل مريض أو ضعيف على حمل شيء ثقيل فكما قال الشيخ ابن عثيمين هذا يُعَدّ لغوًا لا طائل تحته، وأيضا من أنواع الاستعانة التي تُعَدّ من العبادة المحبوبة لله عز وجل كما قال الشيخ ابن عثيمين هنا الاستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تقربا إلى الله -عز وجل -كما في قوله تعالى : ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾(البقرة:45) فأنت تستعين بالصبر وبالصلاة على ملازمة طاعة الله عز وجل وعلى الثبات على دين الله

قال -رحمه الله- : وديل الإستعاذة قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ (الفلق: 1) و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (الناس : 1)

الاستعاذة من العَوْذ وهو الالتجاء والاعتصام بالله طلبًا لما يُؤَمِّن من الشرّ أو من الضرّ حتى يأمن العبد من

شرّ حاق به أو من ضُر خاف أن يترل به فيستعيذ أي فيلجأ إلى الله ويطلب الحماية من الله ، هذه هي الاستعاذة وهي أيضا الأصل فيها انها عبادة قلبية كالاستعانة، فمن استعاذ بمخلوق فيما لا يقدر عليه هذا المخلوق فقد وقع في الشرك الأكبر فمن استعاذ بميّت من الأموات على أن يدفع عنه الضُرّ أو أن يحميَه من شر معيّن فقد أشرك بالله العظيم، وأيضا هذه الاستعاذة القلبية التي لا تكون إلاّ لله تتضمن كمال الذُل والافتقار إلى الله واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شيء، و الإستعاذة تكون بالله وتكون باسم من أسماء الله أو بصفة من صفات الله ، كما في سورة مريم –عليها السلام– حينما تمثّل لها جبريل –عليه السلام– بشرا سو يا: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً ﴾ (مريم : 18) فاستعاذت بالرحمن وأيضا من الاستعاذة بالصفات كما في قوله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم –: **" أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق"** فكلمات الله هي صفة من صفات الله –عز وجل–وكما في قوله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– في الدعاء الذي يقال في أذكار الصباح والمساء :**"وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي"** فيُشرَ ع أن تستعيذ بعظمة الله ما أيضا في الحديث الآخر والذي فيه أنه –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– قال:**أعوذ بوجهك** لما قرأ قوله تعالى:﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾(الأنعام:65) **فقال أعوذ بوجهك** قال في الأولى يعني ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾– **أعوذ بوجهك**– ثم قرأ قوله ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ فقال أعوذ بوجهك فاستعاذ بوجه الله.

أمّا الاستعاذة التي تكون بالمخلوق هي كما قلنا كالاستعانة أي أن يستعيذ بالمخلوق في شيء قد ثبت حِسًّا وواقعا أنه يُستَعاذ به ليس فيما يختص به الله –عز وجل– وقد يعوذ عبد بمخلوق فيما يقدر عليه يعني يلجأ إليه في شيء يملك أن يدفعه عنه نحو أن يلجأ إلى بيت أحد خوفا من عدو أو خوفا من أسد ضاري أو من سبع ضاري فيلجأء إلى بيت فلان يستعيذ به من شر هذا العدو أو من شر هذا الأسد فهذا لا يُقال فيه أنه قد وقع في الشرك، وأيضا كما ثبت في الحديث الذي أخرجاه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– أنه –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– قال: **"ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي** " ثم قال " **ومن تشرّف لها تستشرفه ومن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعُذ به**" من وجد ملجأ أو معاذا أي من الأماكن التي فيها يهرب من هذه الفتن فأمر الرسول أن يُستَعاذ أو أن يُلجأ إلى هذا المكان، وأيضا كما في

الحديث الآخر في الإخبار عن المهدي الذي يخرج في آخر الزمان أنه –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– قال في مسلم: "**يعوذ عائذ بالبيت** " يقصد المهدي يعوذ أو يلجأ إلى البيت خوفا من هذه الجيوش التي كانت تريد أن تهجم عليه وهذه الجيوش هي التي يُخسَف بها في الصحراء حينما تحتشد هذه الجيوش كي تقضي على المهدي فيعوذ المهدي بالبيت .

قال –رحمه الله–: ودليل الإستغاثة قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال : 9]

الاستغاثة هي طلب الغوث من الله وهي تُعَدُّ من أجلْ العبادات، والمقصود بطلب الغوث هو أن يطلب العبد من الله أن ينقذه من الهلاك أن يغيثه أي أن ينقذه من هلاكه أو من ضرره، والاستغاثة هي من أجلّ العبادات التي قلّما تكون إلا لله ، فإن المشركين الأوائل كانوا إذا وقعوا في شدة أو خافوا من هلاك استغاثوا بالله وحده ونسَوْا آلهتهم الباطلة ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (العنكبوت:65) استغاثوا بالله وحده ونسوا آلهتهم، فتعجب من بعض المسلمين الذين وقعوا في صور من هذا الشرك الأكبر في هذا العصر وفي ما قبله أنهم إذا وقع أحدهم في شدة أو أراد من ينقذه من هلاك مُحَقَّق إذ به يستغيث بالحسين ويطلب المدد منه فيقول مدد يا حسين أي يطلب المدد من الحسين بالغوث، بل إنّ غلاة المتصوّفة جعلوا من أعلى مراتب الولاية عندهم هذا الغوث الذي يُستَغَاث به، إذا بلغ الوليّ عند غلاة المتصوفة أعلى المراتب في الولاية سمَّوْه بالغوث ، وصار غَوْثا عندهم يعني هو الذي يُستَغاث به.

فالاستغاثة بالأموات وبالأحياء الغير حاضرين أي الاستغاثة الغائبين هذا من الشرك الأكبر.

وقد بيّن سبحانه أنه هو الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السوء وانه سبحانه وتعالى ه و الذي يكشف الضر كما قال سبحانه في سورة الزُّمَرْ: ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ﴾ (الزمر : 38) فهذه الاستغاثة لا تكون إلا لله وحده.

أما الاستغاثة بالحي القادر الحاضر فيما يقدر عليه فهذا يعدّ من الاستغاثة المباحة كما في قصة موسى

﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ (القصص : 15) هذا ليس فيه شيء .

ودليل الذبح قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام :162، 163] .ومن السنة " لعن الله من ذبح لغير الله "

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وأزواجه وذريته أجمعين أما بعد فقد وصلنا في أنواع العبادة إلى الذبح.

والذبح هو إراقة دم الذبيحة ابتغاء مرضاة الله وهو نوع من أنواع التقرب إلى الله عز وجل وهذه الذبح وهذه الإراقة وهذا الإزهاق لِرَوْح الذبيحة يكون على وجه مخصوص أي بصفة مخصوصة وهو ما يسمى بالذكاة؛ أن تذكَّى هذه الذبيحة على ما بيَّنه الشارع وكما قال سبحانه ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ [الحج:37] فالقصد من التقرب إلى الله بالذبح التقوى، أن يُحَصِّل العبد التقوى لكنَّ الله سبحانه لا يناله شيء من دماء أو من لحوم هذه الذبائح ولا يحتاج إلى هذا لأنه سبحانه غني؛ غني عن أعمالنا.

واستدل المصنف بآية في سورة الأنعام على أن الذبح عبادة لا تكون إلا لله و وجه الاستدلال في قوله ﴿وَنُسُكِي﴾ لأن النسك يشمل الذبح فالنبي صلى الله عليه وسلم قد سمى الذبح نسكا كما في حديث البراء بن عازب في الصحيح في قوله صلى الله عليه و على آله وسلم ((مَنْ نَسَكَ قَبْلَ الصَّلَاة فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ قَدَّمَهُ لِأَهْلِهِ؛ وَمَنْ نَسَكَ بَعْدَ الصَّلَاة فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا –أَوْ أَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ–)) فاستخدم فعل نَسَكَ مكان ذبح؛ فالنُسُكْ هو الذبح تقربا إلى الله عز وجل.

والذبح يعني ذبح الذبائح يكون على أنواع:

1.النوع الأول ذبح العبادة :وهو ما قد بيَّنّاه، أن يذبح ذبيحة من الأنعام أو من أي جنس آخر مما أحل الله ذبحه تقربا لله عز وجل؛ هذا ذبح العبادة، الذي يُريق الدم تقربا إلى من ذبح له أو تعظيما له .

2.النوع الثاني الذبح المحرم : وهو أن يذبح ذبيحة تعظيما لقدوم شخص فهذا فيه نوع تقرب لغير الله وهو قد يكون فيه نوع من الشرك الأصغر مثل أن يذبح الذبيحة عند قدوم السلطان أو عند قدوم هذا الرجل المعظم في قومه فهذا فيه نوع من الشرك.

3.النوع الشركي : وهو أن يذبح الذبيحة تقربا إلى هذا المعظم أو إلى هذا السلطان وخوفا منه ورجاء فيه؛ فهو يتقرب إلى هذا الشخص بهذه الذبيحة فهذا من الشرك الأكبر خاصة إذا ذُبحت بين يديه؛ كنحو الذين يذبحون الذبائح عند القبور أيضا فهذا يكون للمعظمين من الأحياء أو للمعظمين من الأموات.
جنس التعظيم هذا أن يذبح عند القبر أو أن يذبح بين يدي المعظم تقربا إليه و اعتقادا فيه هذا من الشرك الأكبر؛ أما إن ذَبَحها -كما بينا في النوع السابق- ليس على سبيل التقرب إليه تقرب العبادة وإنما على سبيل المداهنة له أو إظهار التعظيم الزائد له الذي ليس هو من تعظيم العبادة إنما هو من باب إجلاله في الدنيا فقط فهذا يعد محرما لأنه ذريعة إلى النوع الذي بعده ذريعة إلى الشرك الأكبر.

4.النوع الرابع أن يذبح لأكل اللحم فقط :لا ينوي التقرب إلى الله عز وجل أو لا ينوي التقرب إلى غير الله، هو ذبح لمجرد أن يَحصُل على اللحم فقط فهذا يعد جائزا ليس محرما وليس مستحبا يثاب عليه وليس واجبا طبعا.

ويدخل أيضا في الذبح المحرم ما قد يسمى بالذبح البدعي كما قال الشيخ عبيد الجابري -حفظه الله- في شرحه((هو أن يذبح الذبيحة عند القبر معتقدا فقط بفضل المكان ليس متقربا لهذا الميت المقبور ولكنه اعتقد عقيدة فاسدة (وهي مبنية على بدعة) أنه إذا ذبح عند قبر الحسين أو عند قبر البدوي أو عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه ينال المزيد من الثواب أو أنه بهذا تُقبل ذبيحته... إلى أخره)) فهذا يعد ذبحا بدعيا؛ لأن الله عز وجل لم يخص قبور الأنبياء ولا قبور الأولياء سواء كانوا من الأولياء حقا أو من الأولياء الزعائم لم يخص هذه القبور أو الأماكن بالذبح و لم يجعل لها فضلا معينا يختلف عن باقية البقاع فمن اعتقد تخصيص بقعة من البقاع بعبادة من العبادات لم يشرع الله هذا التخصيص فقد وقع في بدعة.

وأيضا يدخل في الذبح الشركي الذين يذبحون خوفا من الجن يذبحون للجن وللأسف هذا يحدث من بعض جُهال المسلمين كثيرا بجهل، أنه إذا اشترى مترلا جديدا قال نذبح على عتبة هذا المترل ونلطخ الجدران بالدم اعتقادا منه أن هذا يصرف عنه شر الجن فهو يخاف من الجن أو من الشياطين خوفَ السر الذي بيناه أنه من الشرك الأكبر.

ودليل النذر قوله تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:7] .

النذر لغة: الإلزام .

شرعا: إلزام المكلَّف نفسَه بعبادة معينة .

و النذر على نوعين نذر مطلق ونذر مقيد؛

النذر المطلق أن ينذِر لله عز وجل دون قيد ولا شرط نحو أن يقول نذرتُ لله أن أصوم يومين هكذا على الإطلاق أو نذرت لله أن أبني مسجدا دون أن يقيد هذا بقيد أو بشرط، وهذا النذر المطلق من العبادات التي يحبها الله ويرضاها بدليل قوله تعالى الذي استدل به المصنف﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ فجعل الوفاء بالنذر من الصفات التي يحبها –سبحانه– من أجل هذا أثنى على فاعلها فهذا النذر المطلق.

وأما النوع الثاني هو النذر المقيد وهو أن يقيد النذر بشرط يعني يقول إن فعل الله لي كذا وكذا فإني نذرت أن أفعل كذا وكذا؛ إن شفى الله ولدي أو إن شفى الله زوجي فإني مثلا نذرت أن أصوم ثلاث أيام إني نذرت أن أعتمر إني نذرت أن أحج إلى آخره، قيَّد النذر بحدوث شيء معين هو ينتظره؛ وهذا النذر المقيَّد هو الذي جاء فيه حديثُ النبي صلى الله عليه وسلم الذي في الصحيحين ((إِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ به من البخيل)) أي أن النذر هذا المقيد يَضطَرُّ البخيل إلى أن يلتزم به إذا وقع له الشرط أو إذا تحقق له الشرط فيُستخرج به منه مالا ينفقه أو يعطيه في غير هذا النذر المشروط أو المقيد يعني لو كان حرا أو لو كان مختارا ما بذل هذا الشيء إنما بذله فقط من أجل تحقيق مراده: إذا فعل الله لي كذا سوف أفعل كذا؛

هذا يستخرج به من البخيل، ولذلك ذم الرسول صلى الله عليه و على آله وسلم هذا النوع من النذر وقال ((إنه لا يأتي بخير إنما يُستخرج به من البخيل)).

واختلف العلماء في هذا هل هذا يستفاد منه تحريم هذا النذر المعلَّق أو المقيد أم يستفاد منه الكراهة فقط فذهب جمهور أهل العلم إلى الكراهة إلى كراهة النذر المقيد أو المعلق بشرط وذهب بعض أهل العلم الآخرين إلى التحريم ومنهم من العلماء المتأخرين المعاصرين العلامة ابن عثيمين –رحمه الله تعالى– ذهب إلى تحريم هذا النوع من النَّذْر، وكما قال العلامة الشيخ ابن عثيمين هنا في شرحه، وهو في شرحه هنا ما أظهر الجزم بالتحريم ولكنه أظهر الجزم بالتحريم في "القول المفيد" أو رجَّح التحريم هناك. فالشاهد، قال هنا ((ومع ذلك حتى و إن نذر نذرا معلّقا فإذا نذر الإنسان طاعة لله وجب عليه فعلُها لقول النبي صلى الله عليه وسلم : "من نذر أن يطيع الله فلْيُطِعه ".)) حتى و إن قلنا بتحريم النذر المعلق هذا فإنه يجب الوفاء به ويأثم من جانب آخر.

ونَذْرُ المعصية، الذي ينذِرُ نذر معصية يعني ينذر أن يفعل شيئا محرَّما فهذا أجمعَ العلماء على تحريمه و على تحريم الوفاء به، يعني نذر أن يقتل فلانا مثلا من أصحاب الدم المعصوم، نذر أن يشرب الخمر أو أن يشرب الدخان... لا يجوز الوفاء بهذا النذر ولكن هل تجب عليه الكفارة أم لا ؟

على قولين لأهل العلم، وكما قال أو رجح العلامة عبيد الجابري في شرحه أن الصواب لزوم الكفارة أيضا له وعلى ترك هذا النذر المحرم يعني يجب عليه أن يتركه ويجب عليه أن يُكَفِّرَ كفارة يمين على تركه؛ وهذا من حديث النبي صلى الله عليه و على آله وسلم الذي قال فيه ((لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَة وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ)) أخرجه الإمام أحمد في مسنده وصححه الشيخ الألباني –رحمه الله تعالى– كما في "إرواء الغليل".

وكذلك أيضا من نذَر نذْرًا مطلقا في طاعة و لم يستطع الالتزام أو الوفاء بهذا النذر فله أن يُكَفِّر كفارة يمين.

الأصل الثاني معرفة دين الإسلام بالأدلة : وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله .

هنا يبدأ المصنف -رحمه الله تعالى- في بيان الأصل الثاني من الأصول الثلاثة وهو دين الإسلام. الأصل الأول معرفة الله، الأصل الثاني معرفة دين الإسلام بالأدلة والأصل الثالث معرفة الرسول صلى الله عليه و على آله وسلم بالأدلة أيضا، فهنا يبدأ في ذكر الأدلة على دين الإسلام وأنه هو الدين الحق، وعرَّفَ هنا الإسلام بالتعريف العام وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة هذا هو التعريف العام لدين الإسلام الذي بُعِث به كل الرسل والأنبياء فالإسلام هو دين الله -عز وجل- منذ أن خلق وبعث آدم إلى أن تقوم الساعة فآدم لَّما أُنْزل على الأرض أُنزِل بالإسلام وكذلك كل من جاء بعده من الأنبياء والرسل إنما كانت دعوتهم هي الإسلام فالأنبياء -كما جاء في الحديث- دينهم واحد وأمهاتهم شتى أي أن شرائعه م مختلفة فالاختلاف بين الأنبياء والرسل في الشرائع فقط ليس في أصل الدين؛ الدين واحد، الدين عند الله الإسلام ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران:85] ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾ [آل عمران:19]؛ وكما قال المصنف هنا الإمام محمد عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- هو الاستسلام لله بالتوحيد له هذا هو مبدأ و أصل الاستسلام: أن تُوَحِّد الله في ربوبيته وفي إلهيته وفي أسمائه وصفاته؛أي تعتقد أنه سبحانه هو الرب وحدَه ويدخل في هذا أن تُقِرَّ .بمعاني الربوبية وهي التي تشمل الخلق والرِّزق والتدبير والإحياء والإماتة وأن تعتقد أن كل هذه لله هو سبحانه الذي خلق ورَزَقَ و أنه —سبحانه- يحي ويميت وبيده الأمر كلُّه، ثم توحد الله في إلهيته بأن تعتقد أنه المعبود بحق وحده، ثم تُوَحِّدُ الله -عز وجل- في أسمائه وصفاته بأن تُثبت لله الأسماء الحسنى والصفات العليا على ما أخبر به —سبحانه- في وحيه أي دون أن تُحَرِّف أو أن تأول أو أن تُشَبِّهَ أو أن تُمَثِّل أو أن تجحد شيئا من الأسماء أو من الصفات فبهذا يكون العبد مسلما موحدا؛ وهذا كما بيَّنَّا في تعريف الإسلام العام، ويدخل في هذا أو بعد ذلك الانقياد لله بالطاعة وهذا من مكملات التوحيد يعني الأصل أن توحد الله في الأقسام الثلاثة فبهذا يكون العبد موحدا مسلما ثم من مكمِّلات ومن مقتضيات هذا التوحيد الانقياد لله -عز وجل- بأن تطيعه في أوامره التي أمر بها في شريعته التي بعَثَ بها رسولَه، وأيضا يلزم من التوحيد البراءة من الشرك بلا شك فمن وحد الله برِءَ من الشرك وأهلِهِ، فلا يصح أن يدعِيِ العبد أنه يعتقد أنه لا معبود بحق إلا الله ثم هو يقول بلسانه مثلا بلسان مقاله إن دين اليهود والنصارى حقٌّ وإن عبادة النصارى للمسيح عليه السلام ليس من الشرك بل لهم دينهم ولنا ديننا يقول

هذه العبارة مُقِرًّا لهم على دينهم ليس بريئا من شركهم م يبرأ من شرك المشركين و لم يبرأ من كفر الكافرين فهذا بلا شك لم يحقق التوحيد ولا ينفعه إقراره بلسانه أنه لا إله إلا الله حتى يبرأ من الشرك وأهلِهِ معتقدا هذا. وبلا شك لا يوجد مسلم يشهد حقا و صدقا أنه لا إله إلا الله حتى وإن كان من أفجر الفاجرين في جانب المعصية حتى وإن كان شاربا للخمر و إن كان سارقا و إن كان زانيا لكنه على التوحيد فإنه يُبغِض و يبرأ من الشرك و أهلِه، يُبغِض الشرك و يبرأ من الشرك و إن كان في أشد حالات الضَّعف من الإيمان لكنه مع الأصل: التوحيد، و هذا نلمسه في واقع عامة المسلمين، لو أتيت لمسلم في ظاهر أمره على التوحيد وقد يكون عنده ما عنده من المعاصي بل على مذهب الخوارج يعتبرونه ما يعمل من عمل صالح فهم عندهم كافر ولكنك إذا سألته عن عقيدته مثلا في دين اليهود في دين النصارى في ما يحدث من الشرك في بعض المواطن تجده ينكر هذا أشد الإنكار ويبرأ من هذا، يعني بعض هؤلاء العامة العصاة ينكر الشرك الذي يحدث عند المقامات و القبور دون أن يعلم هذا أي دون أن يتعلم هذا وقد يكون عاصيا في أشد حالات المعصية بخلاف هذا المبتدع الصوفي أو القبوري الذي قد لا يقترف هذه المعاصي الظاهرة من زنا أو من شرب خمر ولكنه يُزيِّن للمسلمين هذا الشرك ويُقِر للأسف بعضهم بجهل أو عن استكبار وهذا له حكمه إن أقيمت عليه الحجة. فلذلك البراءة من الشرك هذا لا يصح توحيد العبد إلا به؛ لا يصح توحيد العبد إلا بالبراءة من الشرك وأهلِ الشرك، و لا يلزم من هذه البراءة أنك تستحل دم المعصومين من هؤلاء سواء من كافرين أو من مشركون لا، لا تلازم بين هذا وذاك؛ لأن البعض يظن أنك إذا قلت أنا أبرأ من الشرك و أبرأ من المشركين أنك تُحَرِّضُ الغوغاء على استحلال دماء هؤلاء إن كانوا من معصومي الدم لا، لا علاقة، فهذه البراءة هي عمل من أعمال القلوب وبلا شك أيضا يترتب عليها شيء من أعمال الجوارح ولكنها منضبطة بضوابط الشرع؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم الذي دعا إلى هذا المعنى للتوحيد هو أيضا الذي قال في حديث صحيح الذي أخرجه البخاري (من قَتَلَ مُعَاهَدا "أي من المشركين" لم يرح رائحة الجنة) ففي الوقت الذي هو يأمر بالبراءة من الشرك وأهله يُحَرِّم قتل المعاهد ويُحَرِّم أيضا نقض العهود مع المشركين ومع أهل الذمة بغير حق.

وهو ثلاث مراتب :

الإسلام و الإيمان والإحسان ،وكل مرتبة لها أركان .

فأركان الإسلام خمسة (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله و إقام الصلاة وإيتاء الزكاة و صوم رمضان وحج بيت الله الحرام) .

هنا المصنف بدأ يذكر مراتب هذا الدين وهي على ثلاث مراتب التي ثبت في حديث جبريل عليه السلام ثم سوف يُفَصِّل في كل مرتبة من هذه المراتب على ما سوف يأتي، فأولا فَصَّلَ أو بَيَّنَ أركان الإسلام وهي خمسة أركان ثم سوف يذكر الدليل على كل ركن من هذه الأركان الخمس ودليل هذه الأركان الخمسة هو حديث ابن عمر في الصحيحين و الذي قال فيه الرسول عليه الصلاة والسلام بُنِيَ الإسلام على خمس وذكر الخمسة أركان.

فدليل الشهادة قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران آية 18]

ومعناها لا معبود بحق إلا الله . (لا إله) نافيا جميع ما يُعبد من دون الله ، (إلا الله) مثبتا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ملكه . وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:26-27-28]، وقوله : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:64].

هنا الركن الأول من أركان الإسلام: الشهادة.

والركن تعريف الركن هو الجانب الأقوى في البناء كما قال الشيخ عبيد الجابري .

فمعنى أركان الإسلام أي قواعده التي يبنى عليها وهذا هو تعريف الإسلام بالمعنى الخاص الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن الإسلام هو أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقيم الصلاة وأن تؤتي الزكاة وأن تصوم رمضان وأن تحج البيت، هذه أركان الإسلام الخاص الذي

هو شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، والشهادة ركنها الأهم العلم فمن شهد فقد علم؛ لا تصح الشهادة إلا بعلم، وكما قال الشيخ عبيد الجابري هنا في شرحه:

الشهادة في اللغة تطلق على شيئين الإعلام والحضور نحو أن يقول أشهد أن فلانا فعل كذا، فمعنى قولِهِ أشهد أن فلاناً فعل كذا أي أنه –كما قال– أُعلم و أُخبِر، ومن المعنى الثاني أن يقول القائل إن فلانا يشهد صلاة الصبح أي يحضُر .

ومعنى الشهادة في الاصطلاح الشرعي شهادة أن لا إله إلا الله إقرار المكلف على نفسه لله بالوحداني ة و لرسوله صلى الله عليه وسلم بالرسالة .

الوحدانيّة أي أن تعتقد بوحدانيّة الله في ربوبيته وفي إلهيته وفي أسمائه وصفاته، والركن الركين للشهادة بعد العلم الإخلاص، فالركن الركين في شهادة أن لا إله إلا الله الإخلاص ؛إخلاص العمل أو العبادة لله كما أن الركن الركين في الشهادة أن محمدا رسول الله المتابعة إفراد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمتابعة ومن ثَمَّ فسر العلماء الشهادتين بأن معناها أشهد ألا معبود بحق إلا الله وأشهد ألا متبوع بحق إلا رسول الله، هو الذي يُتَّبع بحق صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهناك من العلماء من اعتبر الشِّق الثاني من الشهادة يسمى بتوحيد المتابعة كما قال به بعض أهل العلم من أهل السنة سمَّوْا هذا النوع من الشهادة بتوحيد المتابعة أي إفراد الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالمتابعة على أقواله وأفعاله وهو الشخص الوحيد الذي يُتَّبع على كل أقواله وأفعاله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

و شهادة لا إله إلا الله تحتوي على شِقَّين على نفي وإثبات وهذا بيناه في درسنا السابق؛ الإثبات هو إثبات الوَحدانيّة لله وحده في الربوبية والإلهية والأسماء والصفات والنفي هو نفي الإلهية عما سِوَى الله أنه لا يستحق أن يُؤَلَّه و أن يُعبد أحدٌ سِوى الله فتنفي الإلهية أو الاستحقاق بالعبادة عمن سوى الله عز وجل، وقد أحسن المصنف باستدلاله بآية سورة أل عمران ﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ هذه أعظم شهادة ولذلك شهد الله على نفسه بها، فهو سبحانه شهد أنه لا إله إلا هو سبحانه هذه أعظم شهادة؛ وأيَّدَ سبحانه هذه الشهادة؛

يعني أيد سبحانه شهادتَهُ لنفسه بالإلهية وباستحقاق العبادة بشهادة ملائكته ثم بشهادة أولي العلم أصحاب العلم بشهادة العلماء ولذلك كان العلماء هم ورثة الأنبياء وعلى رأس العلماء بلا شك الرسل والأنبياء فقد يقول البعض لماذا لم يذكر الله عز وجل الرسل والأنبياء بعد الملائكة ؟ لأن الرسل والأنبياء يدخلون في قوله ﴿وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ﴾ لأن سادة العلماء هم الرسل والأنبياء .

﴿ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ ﴾ يعني بالعدل هذه الشهادة قائمة على العدل و على القسط و قائمة على الصدق ولذلك كان يوم القيامة ﴿يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ ثم ختم سبحانه بتأكيد الشهادة ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ هذه الشهادة التي شهد بها لنفسه سبحانه لم يشهد بها لنفسه عن ضَعف أو عن ذِلَّة أو عن سَفَه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا إنما شهد بها عن عزة و حكمة؛ فهو العزيز الحكيم وكذلك هو سبحانه عزيز لا يحتاج إلى شهادة خلقه له هو غني عن شهادتهم لأنه عزيز وكذلك هو سبحانه الحكيم الذي لحكمته خلق الملائكة الذين يفعلون ما يؤمرون وشهدوا لله بهذه الشهادة وكذلك اصطفى من خلقه الرسل والأنبياء وأهلَ العلم الذي شهدوا لله سبحانه بهذه الشهادة وهذا لحكمته أنه لم يخلق الخلق عبثا و لم يأمر خلقه بهذه الشهادة عبثا بل لحكمة لأن هذا مقتضى الحكمة سبحانه و عز وجل.

وأيضا من باب زيادة التأكيد لهذه المعاني السابقة استدل المصنف بهذه الآية ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ كما بينا أعلن البراءة من الآلهة أو المعبودات الباطلة ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ و قيل إنَّ فَطَرَني هنا كما قال الشيخ ابن عثيمين هنا أي خلقني ابتداء على الفطرة، وقد تكون بمعنى أنه أنشأني سبحانه وهذا لأن الله سبحانه هو الفاطر الذي فطر السموات والأرض وخلقهن على غير مثال سابق، فهنا فطر بمعنى خلق وأنشأ وزاد –كما بينه الشيخ ابن العثيمين– أي أنه خلقه ابتداء على الفطرة ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي جعل كلمة التوحيد هذه في نسله من بعده ولذلك كان الرسل والأنبياء الذي أتوا بعد إبراهيم هم من نسل إبراهيم هو أبو الأنبياء بهذا المعنى فهو خليل الله عز وجل، إبراهيم عليه السلام كان من نسله الرسل والأنبياء فكان بعده إسماعيل وإسحاق

ويعقوب ويوسف إلى أن وصلنا إلى الرسول صلى الله عليه و على آله وسلم فجعل هذه الكلمة في عقبه، في نسله، حُمِلت من بعده ولذلك كان إبراهيم عليه السلام بهذا المعنى يسمى بأبي الأنبياء.

وفي قوله ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي لعلهم يتركون هذا الشرك ويلتزمون بالتوحيد فهذه الكلمة ظلت الدعوة إليها قائمة في كل عصر من العصور من باب إقامة الحجة على العباد ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء:165] لعل الناس أن يرجعوا وأن يلتزموا بالتوحيد، وأيضا من باب التحقيق و التأكيد للمعنى نفسه، تحقيق معنى الإقرار لله بالتوحيد والبراءة من الشرك ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ هذه الكلمة التي نحن ندعو إليها أهل الكتاب هي كلمة التوحيد و هي التي جعلها إبراهيم باقية في عقِبِه .

﴿وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ﴾ فالرسل والأنبياء الذين جاءوا متعاقبين كل رسول وكل نبي يدعو إلى الله عز وجل لا يدعو إلى أن يعبد هو من دون الله فليست دعوتنا لأهل الكتاب من أجل أن يتخذ بعضنا بعضا أربابا و أن يُعَظِّم بعضنا بعض على حساب التوحيد بل من أجل أن يُعبَدَ الله وحده فما كان لنبي أو لرسول أن يقول للناس اتخذوني إلها من دون الله كما قال سبحانه ﴿ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:80] فإن الرسول لا يأمر بالشرك ولا يأمر بالكفر .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ يعني إن أصروا على عدم قَبُول هذه الدعوة رغم وضوحها ورغم جلاء معانيها بلا خفاء فليس عليكم إلا أن تُؤكِّدُوا شهادتكم لله بأنكم مسلمون لله عز وجل، وأنكم بُرَآء من الشرك وأهله.

وهذه المعاني المذكورة في هذه الآيات السابقة تُؤكِّد لنا بجلاء أن هذه الفرق التي فارقت سبيل الأنبياء والرسل في تفسير كلمة التوحيد أنها على باطل فكما وضح لنا من الآيات السابقة بجلاء المعنى الصحيح لكلمة التوحيد، فبهذا المعنى تَبْطُلُ المعاني الأخرى نحو ما قرره المتصوفة من أنهم فسروا الإله بالقادر على الاختراع ليس بالمعبود ومن ثَمَّ قالوا إنَّ من أثبت وجود الله وفَنِيَ في هذا الإثبات فقد بلغ أعلى مقامات التوحيد عندهم فجعلوا الإله بمعنى الرب القادر على الخلق أو على الاختراع، هذا معنى باطل يناقض

دعوة الرسل من أصلها كما ظهر في الآيات السابقة، وكذلك من المعاني الباطلة ما قد فسر به الأشاعرة أو بعض الأشاعرة الإله بأنهم قالوا الإله المستغني عما سواه لم يفسروا الإله بأنه المعبود قالوا بأنه المستغني عما سواه و من أقر بأن الله مستغنٍ عما سواه فهو موحد عندهم هذا ما ذكره السنوسي الأشعري في أعظم كتب الأشاعرة الذي يسمى ب"أم البراهين في العقائد" وله عشرا ت النسخ في دار الكتب المصرية هنا في مصر للأسف. المعنى الثالث الباطل الذي فُسّرَ به الإله هو ما قد ابتدعه سيد قطب ومحمد قطب والمودودي أنهم فسروا الإله بالحاكم فقالوا إن معنى لا إله إلا الله يعني لا حاكم إلا الله هذا أيضا معنى باطل لأن الحاكم أولا ليس من أسماء الله لم يثبُت في الكتاب ولا في السنة والإله ليس بمعنى الحاكم.

والمعنى الرابع الباطل هو تفسير الإله بالفاعل وهذا الذي عليه جماعة التبليغ والدعوة حيث قالوا في فحوى كلامهم بل في صريح ألفاظهم حينما يدْعون الناس إلى التوحيد بفهمهم أنَّ لا إله إلا الله أن تُقِرَّ و تعتقد أنه لا فاعل حقيقةً إلا الله: تعتقد أنه لا يفعل شيئا في الوجود حقيقةً إلا الله ففسروا الإله بالفاعل ولذلك بنَوا على هذا التفسير الباطل من أنهم قالوا إنَّ لا إله إلا الله تعني إخراج اليقين الفاسد من القلب وإدخال اليقين الصحيح من أنه لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله ولا محيي ولا مميت إلا الله فقَصَروا معنى الشهادة على توحيد الربوبية فقط وعلى توحيد الأفعال دون توحيد العبادة وهذا بخلاف أيضا أنهم قد خالفوا حديث جبريل عليه السلام واستبدلوا –شاءوا أو أَبَوْا– استبدلوا مراتب الدين الثلاثة بهذه الصفات الستة فجعلوا الصفات الستة هي التي تمثل الدين عندهم وهذا خلاف كلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي جعل الدين مُرَتَّبًا في هذه المراتب: الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان فهذه مراتب الدين أما عند التبليغ والدعوة فمراتب الدين هي الصفات الستة فمن حقق الصفات الستة عندهم فهو يُعَدُّ الولي الكامل يعد من المعظمين عندهم ومن كبار الأمراء وهي مرتبة الإمارة ومرتبة القداسة عندهم، كلما فَنِيَ وتعب أكثر في تحقيق الصفات الستة كلما ازداد قربا من الله على زعمهم أو على فهمهم للدين فاعتبروا أن الدين يجتمع في هذه الصفات الستة .

ودليل شهادة أن محمدا رسول الله قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:128]

ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله :طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع.

كما بيَّنا شهادة أن محمدا رسول الله تعني الإقرار بأنه لا متبوع بحق إلا الرسول وهو الذي يستحق أن يُتَّبع في كل أفعاله وأقواله دون غيره من البشر فلا تجوز هذه المرتبة لعالم من العلماء أن يُتَّبع في كل أقواله و أفعاله هذه لا تكون إلا للرسول ولا تكون لأحد من أصحاب الرسول صل الله عليه و سلم فكيف بمن دون الصحابة! وهذا الفهم الصحيح لمعنى شهادة أن محمدا رسول الله يقضي على التعصب للشيوخ الذي ابتُلِي به للأسف الكثير من شباب هذا الزمان أن يتعصب لشيخٍ بعينه ويعتبر هذا الشيخ هو المَرْجع وحده في هذا الدين عنده لا يأخذ فتوى إلا من هذا الشيخ فقط يتَّبعُ هذا الشيخ على كل أقواله و أفعاله فكأنه دون أن يشعر جعله في مرتبة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهذا لا يجوز، لا يجوز أن يُتَّبَعَ عالم واحد بعينه على كل أفعاله وأقواله وهذا أيضا يبين لنا تحريم التقليد الذي للأسف أوجده بعض المتعصبة من أصحاب مذاهب و كذلك للأسف وقع في هذا بعض من ينتسب إلى السنة من أنهم أوجبوا على كل مسلم أن يتقلد مذهبا لا يَخْرُجُ عنه أبدا؛ وبفضل الله هذه المذهبية شبه اندثرت أو لم يَصِرْ لها ذكر إلا في مواطن محدودة ولكن استُبْدِلَت المذهبية بالحزبية بعد أن كان التعصب لمذهب من المذاهب الفقهية صار التعصب الآن لحزب من الأحزاب ثم نشأ أيضا للأسف في وسط الشباب الذين ينتسبون في ظاهر أمرهم إلى السنة وإلى المنهج السلفي من يريد أن يَجُرَّهُم إل حزبية أو إل تعصب جديد لمذهب جديد وهو التعصب لشيخ بعينه وعقْدُ الولاء والبراء على هذا الشيخ، هذا لا يجوز، لا يجوز هذا الأمر، وإنما يُعقَدُ الولاء و البراء على أن العلماء الأعلام الذين صاروا علمًا على السنة، نعم فعلى أمثال هؤلاء ينطبق قول أبي حاتم في أحمد ((لَا يُبْغِضُ أَحْمَدَ إِلَّا مُبْتَدِعٌ وَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا سُنِّيٌّ)) هذا يقال في الأئمة الذين صاروا أئمة لهذا الدين وصاروا عَلَمًا على المنهج الحق وهذا ليس من باب عقد الولاء والبراء على أشخاصهم وإنما من باب عقد الولاء و البراء على المنهج الحق الذي حملوه وصاروا علَما عليه ويعني هذا أنهم إذا خالفوا هذا المنهج الحق سقطت مرتبتُهم فهذه المرتبة ل يُحَصِّلوها إلا بالمنهج الحق بنصرة المنهج الحق لأنهم صاروا علما عليه وصار الحق يُستدَلُّ عليه بما أرشدوا الناس إليه من أصول أهل السنة، ولكن إذا خالفوا الحق لا يجوز المتابعة لهم على هذه المخالفة بارك الله فيكم.

و مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله أن تطيع الرسول صلى الله عليه و سلم في كل ما أمر ما استطعت طبعا هذه الطاعة مقيدة بالاستطاعة، أن تطيعه في كل ما أمر على حد استطاعتك و أن تجتنب كل ما نهى عنه و أن تُصَدِّقه في ما أخبر به من الغيبيات و في ما أخبر به من الشَّرَاءة لا تُكَذِّب خبره ولا تُشَكِّك في خبره، الذين يشككون أخبار الآحاد عندهم نقص في الشهادة شهادة أن محمدا رسول الله لأنهم شككوا في أخبار ثابتة عن النبي صلى الله عليه و سلم يقولون إن أخبار الآحاد تفيد الظن لا تفيد العلم، ما معنى تفيد الظن؟يعني أنك في شك هل قال هذا الرسول أم لم يَقُلْه هذا معنى أخبار الآحاد تفيد الظن؛ فهذه البدعة ابتدعها المعتزلة حتى يشككوا المسلمين في ثبوت أحاديث الصفات وحتى تكون ذريعة لهم لإسقاط الأحاديث التي تُثْبِتُ الصفات لله فهؤلاء عندهم نقص شديد في شهادة أن محمدا رسول الله.

وأيضا من مقتضيات الشهادة أن تعتقد أنه لا يُعبد الله إلا بما شَرَعَ عن طريق رسوله صلى الله عليه وسلم فليس هناك طريق إلى معرفة ما يرضي الله إلا الرسول، هو الذي بلَّغنا هذه الرسالة سواء من القرآن أو من سنته فكلاهما من الوحي فنحن ما كنا لنعرف القرآن إلا بالوحي الذي أُنزل على هذا الرسول وما كنا لنعرف بيان القرآن أي السنة إلا منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فمن اعتقد أن هناك طريقا يُوصِّل إلى الله أو به يُعبد الله غير طريق الرسول صلى الله عليه وسلم قد نقض شهادته أن محمدا رسول الله؛ ويدخل في هذا الذين يعتقدون في نبوةِ أحدٍ بعد الرسول صلى الله عليه وسلم كالقاديانية و كبعض الروافض الذين يعتقدون أو يُثبتون النبوة لفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم و بأن جبريل كان ينزل عليها بالوحي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهؤلاء نقضوا شهادة أن محمدا رسول الله وخرجوا عن الإسلام بهذا .

ودليلُ الصلاةِ، والزكاةِ، وتفسيرُ التَّوحيدِ قولُه تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة:5].

تكلمنا في المجلس الأخير عن معنى الشهادتين شهادة ألا إله إلا الله و شهادة أن محمدا رسول الله وكان هذا من خلال الكلام عن الأصل الثاني من الأصول الثلاثة: الإسلام، معرفة دين

الإسلام بالأدلة ، وكما بين المصنف -رحمه الله تعالى- إن الإسلام على ثلاث مراتب: الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان ، وبدأنا بالكلام عن المرتبة الأولى: الإسلام ، و أول ركن في الإسلام: الشهادتان ثم نبدأ في هذا المجلس في الكلام عن بقية الأركان.

فقال المصنف: " **وَدليلُ الصلاةِ، والزكاةِ، و** كذلك أيضا **تفسيرُ التَّوحيدِ** الذي هو الركن الأول ، هذه الآية : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ هذا دليل التوحيد، توحيد العبادة.

﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ هذا إشارة إلى **الركن الثاني: الأمر بإقامة الصلاة** .

﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ : **الركن الثالث: إيتاء الزكاة** .

و الأدلة على كلا الركنين الثاني و الثالث أدلة كثيرة في الكتاب و السنة اختار المصنف أحدها وهو الذي جُمِع فيه الأمرُ بالأركان الثلاثة الأُوَل من أركان الإسلام.

و المقصود ب **إقامة الصلاة** أي أن تؤدَّى الصلاة بأركانها و بشروطها و بواجباتها و بمستحباتها فمن أخل بركن أو بشرط فقد أخل بإقامة الصلاة و تبطُل صلاتُه، و أما من أخلّ بواجب فإنْ تَرَكَ الواجب متعمدا أيضا بَطُلَت الصلاة وأما إن تَرَكَه ناسيا فعليه أن يَجْبُرَ النسيان بسجود السهو ، و أما من ترك مستحبا أو هيئة من هيئات الصلاة فقد ترك مُكَمِّلا من المُكَمِّلات ولكن لا يَصْدُق عليه أنه لم يُقِمِ الصلاة و إنما يقال إنه أقام الصلاة و لكنه لم يُتِمّ إقامتها على التمام الذي به ينال الأجر الكامل مثل يعني نحو الذي يترك رفع اليدين في التكبيرات، رفع اليدين مستحب و ليس واجبا و أما التكبير نفسه فإنه واجب من واجبات الصلاة بخلاف طبعا تكبيرة الإحرام فإنها ركن من أركان الصلاة من تركها بطُلت صلاته و لم يُقِمِ الصلاة كما أمر الله.

و الدليل من السنة على وجوب إقامة الصلاة حديث ابن عمر أولا الذي فيه بيان أركان الإسلام وكذلك حديث الإسراء، رحلة الإسراء أو حديث رحلة المعراج و الذي جاء فيه ذكر الأمر بإقامة الصلاة أو ذكرُ فرضية الخمس صلوات في اليوم والليلة ، و أما عن صفة إقامتها في السنة فإن صفة إقامة الصلاة لم تُعْرَف من الكتاب إنما عُرِفَت من السنة فقط ،

والعمدة في هذا الباب قول النبي صلى الله عليه و على آله و سلم في حديث مالك بن الحُوَيرث –رضي الله عنه– و الذي فيه قال: (صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي) ثم بقية الأحاديث التي جاء فيها التفصيل في صفة الصلاة فهذه الأحاديث تُعَدُّ المُبَيِّنَة لقوله تعالى ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ .

و أما **الركن الثالث** من أركان الإسلام: **إيتاء الزكاة** ، فإن الزكاة مقرونة بالصلاة في هذه الآية و في غيرها كما في قوله تعالى في سورة التوبة ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: 11]. فلذلك لما مات الرسول صلى الله عليه وعلى آله و سلم ومنع بعضُ القبائل الزكاة أو امتنعوا عن أداء الزكاة لأبي بكر و لكنهم كانوا يُصَلُّون فلم يتوقف أبو بكر عن قتالهم رغم إقامتهم للصلاة لأنهم امتنعوا عن ركن من الأركان التي يجب على ولي الأمر أن يقاتل من امتنع عنها ، و لذلك لما اعترض عمر على أبي بكر بقوله أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قال أبو بكر مقولته المشهورة: (والله لو منعوني أقل مما كانوا يُؤَدُّونَه إلى رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم لقاتلتهم عليه) فشرح الله صدر عمر لما قاله أبو بكر.

و إيتاء الزكاة يكون بأدائها على الوجه المبَيَّن في الشرع في الكتاب و السنة ، و قد بيّن الله مصارف الزكاة في آية سورة التوبة المصارف الثمانية و بيَّن صفة الزكاة بالنسبة لزكاة المال أو لزكاة المواشي و الأنعام أو لزكاة الذهب –و المقصود بزكاة المال أي زكاة الذهب و الفضة و زكاة هذه الأوراق النقدية الحديثة فالذهب و الفضة يسمَّيان ب **النَّقْدَيْن** ، هما الأصل في التعامل قبل ظهور هذه الأوراق النقدية– .

و هذا يعرف –كما بينَّا– من الكتاب والسنة و إن كانت أغلب الأحكام المتعلقة بالزكاة أيضا كانت مبيَّنة في السنة فتفاصيل الزكاة تُعْرَف من السنة.

و في قوله ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ أي الدين القيم، الصراط المستقيم لا اعوجاج فيه و لا انحراف عن الحق هذا هو الدين القيم .

ودليلُ الصيامِ قولُه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:183].

الركن الرابع من أركان الإسلام: **الصيام** .

و الدليل على فرضية الصيام من كتاب الله ما ذكره المصنف هنا ؛ والدليل من السنة حديث ابن عمر و كذلك أيضا يدل على فضل الصيام ما جاء في حديث أبي هريرة في الصحيحين في قوله صلى الله عليه و على آله و سلم: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَ احْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) .

والصيام **لغة**: الإمساك ؛ و **شرعا** : الإمساك عن أشياء مخصوصة في زمن مخصوص ؛ و الأشياء المخصوصة هي الطعام والشراب والجماع و قيل الشهوة عامَّةً سواء كانت بجماع أم بغير جماع وهو قول الجمهور؛ و الزمن المخصوص هو شهر رمضان وهو ما جاء في قوله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: 185] فأمر الله عز و جل بصيام هذا الشهر لمن شَهِدَه أي لمن حضر في المكان الذي رُئِيَ فيه الهلال وثبت دخول رمضان فوجب عليه صيامه .

و القصد أو الغرض من تشريع الصيام تحقيق التقوى كما هو القصد من كل العبادات فكما قال سبحانه هنا ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي أن الله عز و جل ليس بحاجة إلى جوع العبد و لا إلى عطشه ولكنّ العبد في حاجة إلى أن يُحَصِّلَ التقوى بهذا الجوع و العطش و ترك الشهوة لله طوال ساعات الصيام من الفجر الحقيقي إلى أن تغرُب الشمس.

و لذلك قال الرسول صلى الله عليه و على آله و سلم: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَ العَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَ شَرَابَهُ) و لذلك أيضا ثبت في الحديث الحسن الذي حسّنه العلامة الألباني –رحمه الله تعالى– و له عدة شواهد: (الصِّيَامُ لَا عِدْلَ لَهُ) لا يَعْدِلِ الصيامَ عبادة من العبادات لأن الصيام هو العبادة الوحيدة التي يصعُب فيها

الرياء و التي إن فعلها العبد فإنه في الغالب لا يفعلها إلا المخلص الذي أخلص العبادة لله، فلذلك كان الصيام من أهم العبادات التي ينبغي أن يحرص عليها العبد المسلم الذي يريد وجه الله و الدار الآخرة و لكن أيضا هذا لمن يستطيع و لمن يقدر لأنه أحيانا قد يكون العبد مشغولا بأشياء هي من الفروض العينية التي تعيَّنَتْ عليه فإن صام صيام النافلة أثَّر هذا على الفروض العينية الأخرى إن كان لا يتحمل الجمع بين الأمرين فلا يقال في مثل هذا الرجل أنه يصوم و يترك الفرض المتعيّن عليه من طلب الرزق كي يكفيَ نفسه و يكفي زوجه و أولاده، العبد أحيانا لا يستطيع أن يجمع بين الأمرين، فلا يُكَلِّف الله نفسا إلا وُسعها.

وكذلك أيضا طالب العلم أحيانا يشق عليه أن يجمع بين الأمرين فإن صام لا يُحَصِّل العلم مثلا البعض قد لا يكون عنده القدرة على الجمع بين هذا و ذاك فهنا نقول له: لا، طلب العلم في حقك أفضل خاصة إذا كان من العلم المتعين عليك فلا تترك العلم من أجل أن تصوم صيام نافلة! فهذا وجه الجمع بين العبادات و لكن إن لم يحدث تعارض وكان عنده القدرة على الجمع فبلا شك صيام النافلة من أعظم و من أفضل العبادات التي تُقَرِّب العبد إلى ربه.

ودليلُ الحجِّ قولُه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران:97].

الحج لغة: القصد، و **شرعا**: هو قصد بيت الله الحرام في زمن مخصوص على صفة مخصوصة، و الزمن المخصوص هي أشهر الحج وهي شوّال و ذو القَعدة (بالفتح، و أفصح أن يقال ذو القَعدة بالفتح و ليس بالكسر) و ذو الحِجّة، و اختلف العلماء هل تنتهي أشهر الحج بالعاشر من ذي الحجة أم تنتهي بنهاية ذي الحجة فذهب الإمام أحمد وغيره إلى أنّ أشهر الحج إلى العاشر يعني إلى يوم النحر و ذهب الإمام مالك إلى أنها إلى آخر ذي الحجة وهذا

هو القول الأقرب إلى لصواب وهو ما اختاره العلامة بن عثيمين -رحمه الله تعالى- كما في "الشرح الممتع".

وأما عن الصفة المخصوصة فإنها تُعرف بتفاصيلها من السنة و لقول النبي صلى الله عليه و على آله و سلم: (خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ) و أيضا قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ هذا مُجْمَلٌ يُبَيَّن بالسنة، كيف نحج؟ هذا لم يأت بيانه كاملا في القرآن إنما جاء البيان لبعض أو لشيء من مناسك الحج و ليس لكل المناسك أما البيان التفصيلي للمناسك يُعرف من السنة.

و شرط الحج القدرة والاستطاعة و يدخل تحت بند القدرة أو الاستطاعة توفر المال أو الزاد الذي يكفيه للحج و توفر وسيلة السفر والتي تسمى بالراحلة و تأمين السبيل: أن يكون السبيل مُؤمَّنا إلى هناك ، و في هذا الزمان زادت أمور أخرى نحو الحصول على إذن ولاة الأمر في البلد الذي سوف يحج منها لأن الأمر صار الآن بقيود معينة نظرا لازدياد عدد المسلمين الذين يحجون كل عام فصار ولاة الأمر يُنَظِّمون هذه المسائل فالبعض أحيانا يُقَدِّم أو يسعى لأخذ الإذن بالحج فلا يؤذن له فهذا ليس بمستطيع حتى وإن توفرت الراحلة أو توفر الزاد فليست الراحلة و ليس الزاد فقط هما الاستطاعة و إنما الاستطاعة أعم من الزاد والراحلة ولكن الذي اشْتَهَر في كتب الفقه أنهم يقولون إذا توفر الزاد والراحلة وجب عليه الحج ، قد تتوفر الراحلة ، تتوفر الوسيلة إلى لحج سواء كانت بطائرة كانت بماشية كانت بسيارة و يتوفر عنده المال الكافي و لكن لا يؤذن له. و كذلك بالنسبة للمرأة , شرط الاستطاعة للمرأة بعد توفر هذه الشروط أن يكون لها مَحْرَم يحج بها , فمن كانت بلا محرم فغير مستطيعة شرعا.

و في قوله ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ أي من جحد فرْضية الحج أو استخف بها أو شك فيها أو استكبر و عاند عن أداء هذه الفريضة ، أما من ترك الحج كسلا منه و تهاونا فعلى الراجح من أقوال أهل العلم فإنه ليس بالكافر الكفر الأكبر يعني لم يقع

في الكفر الأكبر إلا إذا جحد أو أنكر الفرضية أو استكبر أو شك في فريضة الحج عليه إلى آخر أنواع الكفر الأكبر.

و طبعا الدخول في الحج —أي بالنسبة للصفة المخصوصة– أن يُحْرِمَ –أن يَدْخُلَ في الإحرام– على ما جاء مبيَّنا في السنة .

المرتبة الثانية: الإيمانُ، وهو بضعٌ وسبعونَ شعبَة، فأعلاها قولُ لا إلــٰه إلاّ الله، وأدْناها إماطةُ الأذَى عنِ الطريقِ، والحياءُ شعبةٌ مِنَ الإيمانِ ، وأركانُهُ ستَّة: أنْ تؤمنَ بالله، وملائكَتِهِ، وكتبِهِ، ورُسُلِهِ، واليومِ الآخرِ، وبالقَدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ، والدليلُ على هٰذه الأركانِ الستَّةِ قولُه تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: 177]، ودليلُ القَدَرِ قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49].

الإيمان لغة : قيل **التصديق** و قيل **الإقرار** و قيل **الطمأنينة أو الثقة** ، و الأقرب إلى الصواب هو ما رجّحه شيخ الإسلام بن تيمية كما في كتابه "الإيمان" المطبوع في مجموع الفتاوى أن **الإيمان هو الإقرار** , لأن الإقرار أعم من التصديق و ذكر شيخ الإسلام عدة فروق بين معنى التصديق ومعنى الإيمان فليس كل تصديق إيمانا و لكن الإيمان هو الإقرار: أن يُقِرّ .

و **اصطلاحا** : الإيمان عند أهل السنة والجماعة و عند السلف الصالح هو **إعتقادٌ بالقلب وإقرارٌ باللسان وعَمَلٌ بالجوارح و الأركان يزيد بطاعة الرحمن و ينقص بمعصية الرحمن** و لذلك قال بعض أهل العلم هذه **النونات الخمس** : إعتقاد بالجَنان –القلب أي الجَنان–، و إقرار باللسان هذه هي النون الثانية، و عمل بالجوارح و الأركان: الثالثة، يزيد بطاعة الرحمن: الرابعة، و ينقص بمعصية الرحمن: الخامسة ، الخمس نونات.

و قد خالف في تعريف الإيمان هذا عدة فرق أهمها أو أعظمها:

1) أولا: فرقة **المرجئة** بشعبها أو بصورها فالمرجئة لهم عدة أقوال في تعريف الإيمان و لكنّ هذه الأقوال مجتمعة على إخراج العمل عن مسمّى الإيمان.

1.1) أول فرق المرجئة و أخطرها **الجهمية الذين قالوا إن الإيمان معرفةٌ بالقلب فقط** دون التصديق و دون الإقرار باللسان فمن عرف ربه فهو مؤمن عند الجهمية حتى وإن لم يُقرّ بلسانه و حتى وإن لم يُصَدّق بقلبه فأخرجوا إقرار اللسان و أعمال القلوب و أعمال الجوارح من الإيمان. ففرعون و أبو جهل عند الجهمية من المؤمنين! لأنهم عرفوا ربهم ، فرعون و أبو جهل و أبو لهب عرفوا ربهم و لكنهم لم يُقِرّوا و لم يُصَدّقوا و لم يعملوا بلا شك بجوارحهم.

1.2) و الفرقة الثانية من فرق المرجئة **الكَرّاميّة** نسبة إلى عبد الله محمد بن كرّام السِّجِسْتاني وهم الذين قالوا إن **الإيمان إقرار باللسان فقط** فمن أقر بلسانه فهو مؤمن كامل الإيمان عند الكَرّاميّة حتى وإن كان مُكَذِّبا بقلبه وإن لم يعمل بجوارحه شيئا البتة ، فمادام أقر بلسانه فهو مؤمن كامل الإيمان ، و لكن كما بيينا في موطن سابق لا يعني هذا أنّ المنافق عند الكرّامية من أهل الجنة بل هم يقولون إن المنافق الذي أقر بلسانه وكذّب بقلبه أو جحد بقلبه فهو مؤمن كامل الإيمان منافق مخلَّد في النار ، هكذا! هكذا يتناقضون! فهو عندهم مؤمن كامل الإيمان و لكنه مخلَّد في النار كما بيَّن هذا شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله تعالى- و قال: (من نقل عن الكرامية أنهم يقولون إن الذي أقر بلسانه و جحد بقلبه أنه من أهل الجنة فقد غلِط عليهم) بل هم يقولون بتخليده في النار و لكن مع قولهم إنه مؤمن كامل الإيمان لأنه أقر بلسانه ، فهم جرَوا على شرطه.

1.3) الفرقة الثالثة من فرق المرجئة: **الأشاعرة و المتكلمون** وهم الذين قالو إن **الإيمان تصديقٌ بالقلب فقط** و اختلفوا فيما بينهم عن الإقرار باللسان هل يُعتبر شرطا خارجيا أم ليس بشرط، و لكنّ الذي يعنينا أنهم أخرجوا العمل أيضا و أخرجوا الإقرار باللسان عن مسمّى الإيمان فعندهم الإيمان تصديقٌ القلب فقط.

2) و أيضا من الفرق التي خالفت أهل السنة في تعريف الإيمان **الخوارج ثم المعتزلة** و كلاهما وافق أهل السنة في جزء من التعريف وأنهم قالوا **إن الإيمان إقرار باللسان و تصديق بالجنان -أو اعتقاد بالجنان-**

و عمل بالجوارح و الأركان و لكنهم خالفوا أهل السنة في الزيادة و النقصان فعندهم لا زيادة و لا نقصان و إنما الإيمان كتلة واحدة عندهم فمن عصى الله أو من وقع في كبيرة لم يقولوا مثل أهل السنة ينقُص إيمانه و يُعتبر فاسقا بكبيرته ولكنّه مازال في دائرة الإسلام و إنما قالت الخوارج: قد انتقض إيمانه بالكلية و كفر ، و قالت المعتزلة: لا نقول مؤمن و لا نقول كافر و إنما نقول إنه في منزلة بين المنزلتين ، و إن كانوا وافقوا الخوارج في تخليده في النار فهو مخلَّد في النار عند الطائفتين فقد اتفقت الفرق كلها التي خالفت أهل السنة في أن الإيمان كتلة واحدة لا يزيد ولا ينقص لا عند المرجئة و لا عند الخوارج و لا عند المعتزلة ، فعند المرجئة الإيمان إما أن يكون معرفة بالقلب فقط فلا زيادة فيه و لا نقصان و إما أن يكون تصديقا و إما أن يكون إقرارا و في كل هذه التعريفات فلا زيادة فيه و لا نقصان فالإقرار: فمن أقر بلسانه عند الكرّامية صار مؤمنا كامل الإيمان و إيمانه مثل إيمان جبريل و ميكائيل لا زيادة فيه و لا نقصان ، وكذلك من عرف ربه بقلبه عند الجهم أيضا صار مؤمنا كامل الإيمان و لا زيادة في إيمانه و لا نقصان و إيمانه مثل إيمان جبريل و ميكائيل و عندهم المعصية لا تؤثر في الإيمان لا بالزيادة و لا بالنقصان و أما من وقع في كفر فهذا ينتقض إيمانه طبعا على خلاف بينهم في صور الكفر فالمرجئة منهم من جعل الكفر بالتكذيب فقط و هذا قول الجهمية لأنهم جعلوا الإيمان معرفة بالقلب فقط فعندهم الكفر كفر التكذيب فقط ، و أما الطوائف الأخرى فمنهم من أيضا قالوا بكفر الجحود و لكنهم أنكروا بقية أنواع الكفر فليس عند المرجئة لا كفر استهزاء و لا كفر شك و لا كفر إيباء و استكبار، أنكروا هذه الأنواع من الكفر و الذي يعنينا: الإيمان كتلة واحدة عندهم.

- و هناك من أهل السنة من تورع عن ذكر النقصان **فقالوا نقول بالزيادة فقط** و هذه الرواية عن الإمام مالك ، إحدى الروايتين عن الإمام مالك ، لأن الزيادة هي التي جاء ذكرها في القرآن كما في قوله تعالى ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح : 4] و لكن لم يرد لفظ النقصان في القرآن.
- و هناك من أهل السنة أيضا من عبّر عن الزيادة والنقصان **بالتفاضل فقالوا الإيمان يتفاضل** كعبد الله بن المبارك و أيضا هذه رواية عن الإمام أحمد فقالوا نقول إن الإيمان يتفاضل.

و المُؤَدَّى في النهاية واحد و لكنهم اختلفوا في الألفاظ فقط.

3) و أيضا من الفرق التي خالفت أهل السنة في تعريف الإيمان من يسمَّوْن ب**مرجئة الفقهاء** وهم أبو حنيفة و أصحابه الذين **قالوا إن الإيمان اعتقاد بالقلب و إقرار باللسان فقط** فأخرجوا الأعمال عن مسمّى الإيمان.

و الإيمان له أركان ستة كما في حديث جبريل عليه السلام: الإيمان بالله و ملائكته وكتبه و رسله و اليوم الآخِرِ و القدر خيرِه وشرِّه ، وهو يتكون من شعب والتي بيَّنَها الحديث الذي احتج به المصنف هنا أن الإيمان بضع وسبعون شعبة.

و **الشعبة** هي **الجزء من الشيء و البضع من الثلاثة إلى التسعة** ، و أعلى هذه الشعب قول لا إله إلا الله أعظم الشعب وهو أول أركان الإيمان وهو أول أركان الإسلام فالتوحيد هو أصل هذا الدين. و أدنى هذه الشعب إماطة الأذى عن الطريق و في هذا دليل واضح لأهل السنة على إدخال العمل في مسمّى الإيمان لأن إماطة الأذى عن الطريق هذا من أعمال الجوارح و قد جعله الرسول صلى الله عليه و على آله و سلم شعبة من شعب الإيمان ، و في قوله **الحياء شعبة من الإيمان** الدليل على إدخال أعمال القلوب في مسمى الإيمان أيضا لأن الحياء من أعمال القلوب.

و في قوله "و أركانه ستة" ، **الركن** هو **الذي يكون عليه غيره** فمن جحد ركنا من هذه الأركان أو من شك فيه أو من استهزأ بأي ركن من الأركان الستة أو استخفّ به فقد كفر وانتقض إيمانُهُ.

و أول ركن من هذه الأركان الإيمان بالله قد تقدم الكلام عليه مرارا في المجالس السابقة و تكلمنا عليه بالتفصيل من خلال الأصل الأول من هذه الأصول الثلاثة: معرفة الله بالأدلة .

و أما **الإيمان بالملائكة** : فالملائكة هم مخلوقات من خلق الله ليسوا إناثا ، مخلوقات خُلِقَت من النور كما ثبت في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند الإمام مسلم: (**خُلِقَتِ المَلَائِكَةُ مِنَ النُّورِ**) و هم مجبولون على طاعة الله ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّـهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6] و لهم أعمال يُكلَّفون بها ، و أعظم الملائكة أربعة , جبريل هو ملاك الوحي ، و ميكائيل المُوَكَّل بالقطر و النبات ، و إسرافيل المُوَكَّل بالنَّفخ في الصور ، و ملك الموت المُوَكَّل بقبض الأرواح ، و هناك ملائكة مُوَكَّلون بالسحاب و

ملائكة مُوَكَّلون بالكتابة عند نزول النطفة في رحم الأم و اكتمال هذه النطفة حتى تدُبّ فيها الحياة فيُوَكَّل الملك بكتب أربعة: بكتب رزقه و أجله و شقي أم سعيد. و هناك الملائكة المُوكَّلة بكل إنسان عن يمينه وعن شماله بكتابة الأعمال ، و هناك الملائكة الذين هم خزنة النار ، و هناك الملائكة المُوَكَّلة بالجنة.

فالملائكة لهم وظائف عديدة قد بيَّنها الله في كتابه و في سنة رسوله صلى الله عليه و على آله و سلم .

الركن الثالث من أركان الإيمان: الإيمان بالكتب المنزّلة ، وأعظم هذه الكتب التوراة و الإنجيل ثم القرآن و كذلك أيضا الزبور و لكنّ القرآن هو الكتاب الخاتَم الناسِخ لكل الكتب السابقة فلا يجوز لأحد أن يحتج بالتوراة على القرآن حتى وإن كانت التوراة المنزَّلة على موسى –عليه السلام– بغير تحريف ، وكذلك الإنجيل ، فالقرآن نسخ التوراة ونسخ الإنجيل فهو الكتاب المهيمن على كل الشرائع و الكتب السابقة.

الركن الرابع: الإيمان بالأنبياء و الرسل و قد ذكرنا فيما سبق الفرق بين النبي والرسول. و أول الرسل بعد آدم هو نوح –عليه السلام– ونوح –عليه السلام– من أولي العزم ، فيجب أيضا أن تعتقد أنَّ مِنَ الرُّسل خمسة من أولي العزم: نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و محمد عليهم جميعا الصلاة و السلام.

و الركن الخامس من أركان الإيمان: الإيمان باليوم الآخر :

وهذا يبدأ من أول القبر إلى أن يقوم الناس جميعا لرب العالمين في يوم الفصل الذي يُقْضى فيه بين العباد فأول منازل الدار الآخرة القبر كما قال عثمان بن عفان –رضي الله عنه– في الحديث الصحيح حيث كان يبكي عند ذِكر القبر أكثر مما كان يبكي عند ذِكر غيره من أمور الآخرة فلمّا يُسأل عن هذا كان يقول: (لأن القبر هو أول منزل من منازل الآخرة) فإذا مات العبد قامت قيامته الأولى، القيامة الصغرى في حق العبد. و أيضا يدخل في الإيمان باليوم الآخر **الإيمان بأشراط الساعة** التي تكون بين يدي الساعة فهذا أيضا من الإيمان باليوم الآخِرِ ؛ و قد أنكر المشركون البعث و القيام للحساب و قالوا ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا

﴿الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون : 37] و هؤلاء يسمَّوْن بالدهريين الذين قالوا يفنينا الدهر فلسنا بمحاسبين و لسنا بمبعوثين.

و آخر الأركان: الإيمان بالقدر وهو أن تؤمن أولا بعلم الله عز و جل السابق بكل المقادير وأن الله سبحانه كتب هذا العلم السابق في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة كما ثبت عند الإمام مسلم ، و أن تؤمن بمشيئة الله المهيمنة على كل المخلوقات و على كل المشيئات ، و أخيرا تؤمن بأن الله قد خلق مشيئة للعبد للإنس و الجن يحاسَبون على أساس هذه المشيئة فإن العباد ليسوا مجبورين على الطاعة و لا على المعصية فلا يقال بالجبر و إنما يقال ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل : 5-7] أي يقال بالتوفيق ، بهداية التوفيق: أن العبد إذا أراد الخير وأراد الهدى زاده الله و وفقه و يسّره لليسرى وثبّته ، هذا كله من الله ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: 8-10] فهذا يُطبع على قلبه كما قال سبحانه ﴿خَتَمَ اللَّـهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: 7] هذا الختم و هذا الطبع على القلب يكون بسبب إعراض العبد عن الهداية أو بسبب تكذيبه و ليس هذا من الجبر بل هذا جَزاءً وِفَاقًا ، فيجب أن تؤمن بأن الله سبحانه خلق أفعال العباد ، ما معنى خلق؟ ليس معناه أنه أجبر، لا، أي خَلَقَ المشيئة التي في العبد التي بها يختار بين الخير و الشر ، فإن كانت المشيئة مخلوقة فمن باب أولى الأعمال التي يعملها العبد بهذه المشيئة تكون مخلوقة لله ﴿وَاللَّـهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات : 96] فالكل سوى الله مخلوق و يدخل في هذا أعمالُ العباد فالله عز و جل هو الخالق له الأسماء الحسنى التي ليست مخلوقة ، له الصفات العليا التي ليست مخلوقة و ما دون ذلك فهو مخلوق بِدْءًا من العرش إلى الذرة كله مخلوق لله ، خلق كل شيء ، فنؤمن بخلق الله لأفعال العباد.

فهذا باختصار هو ما يجب على العبد في الاعتقاد في الأركان الستة طبعا على سبيل الاختصار أما التفصيل فليس مقامُه في مثل هذا المتن.

أيضا من الأدلة من كتاب الله على هذه الأركان الستة قوله تعالى في سورة البقرة ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ﴾ إلى آخر الآية [البقرة : 177] و أيضا من الأدلة ما جاء في أخر آيتين في سورة البقرة ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّـهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة : 285] فهذا أيضا يدل على بعض هذه الأركان.

و جاءت الأركان بأكملها في حديث جبريل: (أن تؤمن بالله وملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و القدر خيرِه وشرِّه) ، وجاءت مفرَّقة في كتاب الله في نحو هاتين الآيتين و جاءت الدلالة على الإيمان بالقدر في آيات أخرى كما في قوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49] ، و طبعا إلى جانب الآيات التي تُثبت العلم لله عز و جل لأن من أثبت العلم فقد أثبت القدر ومن نفى العلم فقد نفى القدر و لذلك كان الشافعي – رحمه الله– يقول: (جادِلوا القدرية بالعلم فإن أقرّوا به فقد خُوصِموا و إن أنكروه فقد كفروا) .

المرتبةُ الثالثةُ: الإحسانُ، ركنٌ واحدٌ، وهو أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّك تَراهُ فإنْ لم تكنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ، والدليلُ قولُه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128]، وقولُهُ تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء:217-220]، وقولُهُ تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس:61] الآية.

الإحسان كما قال الشيخ زيد المدخلي –حفظه الله– في شرحه هو **فعل ما كان حسنا شرعا و عقلا و لأنه ضد الإساءة** .

وأما **الإحسان** في **المقصود الشرعي** فقد بينه الرسول صلى الله عليه وسلم بأتمّ بيان وهو **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** هكذا في هذه الكلمات القصيرة لأنه صلى الله عليه و على آله و سلم قد أوتي جوامع الكلم يذكُر المعاني العظيمة في الكلمات القصيرة فإنه وحي يوحى لا ينطق عن الهوى ، و هذا المعنى يبيّن أن الإحسان على مرتبتين:

1) المرتبة الأولى: **أن تعبد الله كأنك تراه** يعني في كل عبادة تراقب نظر الله عز و جل إليك و تراقب تقوى الله عز و جل أي أنك تَعْلَم يقينا أن الله عز وجل معك بسمعه و ببصره و بعلمه و بإحاطته كما قال الرسول صلى الله عليه و على آله و سلم لأبي بكر: (**لا تحزن إن الله معنا**) فهذه المَعِيَّة ، الإيمان بهذه المَعِيَّة ، يرفع العبد إلى أعلى المراتب التي بها ينال التأييد و النصر و التوفيق من الله ﴿لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: 46] بهذا قد نال موسى –عليه السلام– مع هارون التأييد و النصر من الله ، فمن بلغ هذه المرتبة فقد بلغ أعلى المراتب عند الله وهي مرتبة الصدّيقين و هذا بلا شك ليس مساويا لمرتبة الفَناء عند المتصوفة لأن الفناء عند المتصوفة يعني أن يفنى العبد في الإقرار بوجود الله حتى وإن لم يُحْسِن في العبادة حتى وإن لم يكن يصلي فعندهم من بلغ مرتبة الفناء و التي قد يُسمُّونها بمرتبة اليقين أنه أيقن بوجود الله وفنيَ في هذا الوجود فهذا عندهم قد وصل إلى لمرتبة التي بها تسقُط عنه التكاليف وصار قطبا من الأقطاب وقد يصير غَوْثا بعد ذلك يستغاث به فليست هذه المراتب عند الصوفية من الإحسان في شيء لأن بعض المتصوفة يُلَبِّسُ على الجهال بالاحتجاج بهذا الحديث على ما ذكروه من خيالات و من أوهام فاسدة لا علاقة لها بالدين يقولون إن هذا كله يدخل في مرتبة الإحسان ، لا، ليس هذا من الإحسان ، ليست مراتب المتصوفة من الإحسان في شيء. و إنما أول من وضع لهم هذه الوساوس و هذه الخطرات الحارث المُحَاسِبِي وهو أول من تكلم في الخطرات و في الوساوس و وضع هذا العلم للمتصوفة و لذلك أنكر عليه الإمام أحمد أيما إنكار و أمر بهجره بل لما قيل للإمام أحمد إنه يجلس يقرأ الحديث ساكنا خاشعا ذاكرا لله فقال أبو عبد الله: (**لا تغترّ بخشوعه ولا بلينه و لا بتنكيس رأسه فإنه رجل سوء**) ؛ فالكلام في هذه الخطرات و

الوساوس على طريقة المتصوفة ليس من منهج أهل السنة و لذلك هذا الكتاب لابن الجوزي الذي يسمى ب"صيد الخاطر" جرى فيه في بعض ما كتب على هذا المنهج و لذلك التعمق في هذه الأشياء ليس من طريقة أهل السنة إنما هو من طريق المتصوفة و قد زلّ في هذا نحو ابن الجوزي وإنما أخذ هذا عن الحارث المحاسبي فهو أول من تكلم في هذا ، في هذه الطريقة ولا يُعرف هذا عن أئمة السنة لا عن أحمد ولا عن مالك ولا عن الشافعي ولا عن غيرهم من أئمة السلف وإنما هم تكلموا في الزهد و ألّف الإمام أحمد كتابه "الزهد" و ألف بن المبارك "الزهد" و كذلك وكيع بن الجراح و أبو داود فهؤلاء الأئمة ألّفوا في الزهد و لكن ما هو الزهد الذي ألّفوا فيه؟ كل هذه المُؤَلَّفات هي عبارة عن أثار و أحاديث مروية بأسانيد ، فالزهد عرّفوه عن طريق النبي صلى الله عليه و على آله و سلم و عن طريق آثار الصحابة و السلف الصالح هذا هو الزهد المشروع وهو ما صح عن النبي و ما صح عن أصحابه ، و أما التعمق في الخطرات و الوساوس فهذا لم يعرفه السلف و لم يُؤلِّفوا فيه ، و لا بأس بتوضيح الأحاديث و الآثار أو بشرحها كما يفعل ابن القيم أحيانا في بعض كتبه ولكن كلام ابن القيم بلا شك ليس على طريقة هؤلاء المتصوفة ، و لذلك لا تعجب من أنك تجد مثل عمرو خالد هذا يدعو إلى إحياء منهج الحارث المحاسبي في أحد دروسه و يطالب الأمة بوجوب العودة إلى ما كان عليه الحارث المحاسبي في إصلاح القلوب ، وكذلك لا تعجب من أن تجد مثل الحويني يشرح كتاب "صيد الخاطر" لابن الجوزي فإن هؤلاء قد تشعّبت بهم الأهواء و هذا حال العبد الذي اتَّبع هواه و ترك السنة فإنه لا يُوَفَّق من قبل الله وإنما تجد أن الأهواء تتجارى بهم كما يتجارى داء الكلب بصاحبه فلم يُوَفَّقوا إلى شرح كتب أهل السنة ، فما الأولى أن يُشرح؟ يعني الحويني يهتم بشرح كتاب مثل "صيد الخاطر" و ما عرفناه شرح كتابا واحدا من كتب العقيدة السلفية و لا من كتب التوحيد ، ما عرفنا كتابا واحدا شرحه هذا الرجل الذي يدّعي أنه يسير على طريقة أهل الحديث ، ما شرح أصغر متن متون التوحيد فضلا عن أن يشرح ما هو أكبر منه كأنه لا علاقة له بكتب العقيدة السلفية لا يذكرها و لا يشرحها فكيف يكون من أهل الحديث؟!! إن اشتغاله بعلم التصحيح و التضعيف هذا لا يُدْخِله في حيِّز أهل الحديث إنما يُدخله في حيز أهل الطمع

فقط –بارك الله فيكم– ، فهذه من العلامات و الكواشف التي بها نعرف أهل الحق و نعرف أهل الحديث والسنة.

2) و أما عن المرتبة الثانية التي بُيّنت في تعريف الإحسان هو أنك إن لم تستطع أن تحقق المرتبة الأولى بأنك تعبد الله كأنك تراه فعليك **أن تعتقد أنه يراك فتعبدُه خوفا و طمعا و رجاء و إجلالا و هيبة و تعظيما** .

و الله عز و جل كتب الإحسان على كل شيء كما أخبر الرسول صلى الله عليه و على آله و سلم وكما قال سبحانه ﴿إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: 90]، فالإحسان بمعناه الشامل يدخُل في كل العبادات وهو مطلوب في كل العبادات وكما قال سبحانه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّـهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: 125] أن تُسلِم لله و أن تؤمن بالله مع كونك محسنا في هذا الإسلام و في هذا الإيمان و هذه أعلى المراتب أن تجمع بين الإسلام و الإيمان و الإحسان ، و بلا شك أن الآيات التي استدل بها المصنف –رحمه الله– هي تدل على فضل هذه المرتبة فضل الإحسان و فضل المحسنين يكفي أن الله عز و جل بيَّن أنه معهم و هذه المَعِيَّة كما هي عقيدة أهل السنة هي مَعِيّة التأييد و النصر و التوفيق ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ معهم بنصره و بتأييده و بتثبيته لهم فالمحسن حريّ به أن يُثَبَّتَ مِنْ قِبَلِ الله و أن يَختِمَ الله له بالحسنى و يَختِمَ الله له بهذا الإحسان ﴿يُثَبِّتُ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم : 27].

وكذلك في قوله تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ففي قوله ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قول موافق لقوله صلى الله عليه و سلم: (**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**).

وكذلك في آية سورة يونس ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ فهذا أيضا يدل على معنى الإحسان:

أن تؤمن بأن الله يَشْهَد أعمال العباد ، إن الله سبحانه و تعالى ليس بغائب بل إنه سبحانه عليم شهيد فإذا أنت استقرّ في قلبك هذا الإيمان بشهود الله لكل أعمالك فتعبدَ الله كأنك تراه ؛

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾: في أي شأن من الشؤون ،

﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾: وحين تلاوتك لكتاب الله ،

﴿وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾: الله عز و جل يشهد على كل أعمالك و يراها و يسمعها و يعلمها فأنت تؤمن و تُقِرّ بهذا فإذا بلغت هذه المرتبة فقد بلغت مرتبة الإحسان بأنّك تعبد الله كأنك تراه فأنت حين حضورك لمجلس العلم هذا إذا أيقنت و شعَرت أو آمنت بأن الله عز وجل يشهد على هذا و أن الله يرى هذا و يعلمه و يعلم عملك و تعبد الله كأنك...يعني تحضر هذا المجلس و تؤدّي هذه العبادة التي هي طلب العلم كأنك ترى الله عز و جل ، تعمل هذا لله ، تطلب هذا العلم لله لأنّك ترى الله ، الله يراقبك ، كأنك تراه ، و تعبد الله عز و جل دون أن يخالط عملَكَ هذا أيُّ رياء أو أي سمعة و كذلك إذا أنت كنت تصلي ، تصلي لله و كأنك تراه و إذا أنت صمت تصوم لله و كأنك تراه و إذا قمت بحج بيت الله تحج و كأنك ترى الله ، هذه مرتبة الإحسان ، إذا أنت قمت بإماطة الأذى عن الطريق الذي هو أدنى شعب الإيمان إذا أنت قمت بهذا العمل و كأنك ترى الله و تعلم أن الله شاهدٌ عليك و شاهدٌ على عملك هذا و سوف يجازيك عنه بالمزيد من الإحسان فبهذا تكون بلغت مرتبة الإحسان التي هي أعلى مراتب الدين.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

(وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ :حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ عَلَيْهِ السلام عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النبيّ صَلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَاب، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَر، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ.

فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإسلام؟

فَقَالَ: ((أن تَشْهَدَ أن لاَ إلهَ إلاَّ اللَّهُ، وَأن مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إن اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً)) .

فَقَالَ: صَدَقْتَ؛ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟

قَالَ: ((أن تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)) .

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإحسان؟

قَالَ :((أن تَعْبُدَ اللهَ كَأنكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَأنهُ يَرَاكَ)).

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟

قَالَ: ((مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ)).

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ أمارَاتِهَا؟

قَالَ: ((أن تَلِدَ الأمةُ رَبَّتَهَا، وَأن تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ)).

قَالَ: فَمَضَى فَلَبِثْنَا مَلِياًّ .

فَقَالَ: ((يَا عُمَرُ؛ أَتَدْرُون مَنِ السَّائِلُ))؟

قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: ((هذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أمرَ دِينِكُمْ))

فأورد المصنّف حديث جبريل -عليه السلام- بعد أن ذكر مراتب هذا الدين : **الإسلام** ثم **الإيمان** ثم **الإحسان** حتى يُدلل على هذه المراتب ، وحديث جبريل عليه السلام وهو جاء من حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- تفرّد به مسلم من حديث عمر ، وجاء بنحوه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، وهو حديث جليل كما جاء في آخر الحديث، فيه علّم جبريل عليه السلام هذه الأمّة دينها.

وجاء في أول الحديث، حديث عمر -رضي الله عنه-: (بَيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وفي حديث أبي هريرة قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا يوما للناس إذا طلع

علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر)، وهذا يدل على أن الملائكة قد يتمثّلون في صورة الرجال، (**لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد**) كما قال العلامة عبد الرحمن بن قاسم النجدي – رحمه الله– : (فتعجب الصحابة من هذا الرجل حيث ك ان شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، والمسافر من شأنه أن لا يكون كذلك، ومع ذلك لا يُرى عليه أثر السفر).

(**حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ثم قال : يا محمد أخبرني عن الإسلام**)، وذكر أركان الإسلام الخمسة، وقد تقدم الكلام عليها ، ثم سأله عن الإيمان ثم سأله عن الإحسان، هكذا بهذا الترتيب في حديث عمر، وفي حديث أبي هريرة سأله عن الإيمان قبل الإسلام، وفي بعض روايات حديث عمر كما قال العلامة عبد الرحمن بن قاسم أنه سأله عن الإحسان بين الإسلام والإيمان، وقال الحافظ ابن حجر: (ولا شك أن القصّة واحدة اختلف الرواة في تأديتها).

ثم قال بعد ذلك -أي جبريل عليه السلام – (**فأخبرني عن الساعة** -أي يوم القيامة- **قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**)، وفي هذا الأدب الذ ي ينبغي أن يتحلى به طالب العلم وهو أنه إذا سُئل عن شيء لا يعلمه فلْه يقول لا أدري أو لا أعلم أو أن يقول بنحو ما قال النبي صلى الله عليه وسلم ((**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**)) أو يقول الله أعلم. وكان مالك رحمه الله تعالى كثيرا ما يقول لطلابه إذا سئل عن شي ء يقول "لا أدري"؛ بل كما قال في الموطأ: (لو أحببنا أن نملأ ألواح من قول لا أدري لملأناها). وكان مالك يأتيه الرجل من مسافة ستة أشهر كما أخرج هذا ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل بسند صحيح عن عبد الرحمن بن مهدي أنه كان يأتي مالكَ الرجل من مسافة ستة أشهر يسأله عن بعض المسائل فكان مالك يقول له "لا أدري"، كلما سأله عن مسألة أجاب بـ"لا أدرى" أو قال "لا أُحسن هذا"، فتعجب الرجل، وكما قال ابن مهدي (وقد ظن الرجل أن مالك يعلم ...) فلما قال الرجل للإمام مالك "أتيتك من مسافة ستة أشهر فكيف أقول لقومي إذا رجعت إليهم؟" فقال له مالك "قل لهم أتيت مالك فسألته فقال لا أُحسن هذا" وعاد الرجل إلى قومه. وأيضا ثبت عن الشعبي أنه قال (لا أدري نصف العلم) وبنحوه عن بعض السلف الصالح.

ثم قال: (**فلْخبرني عن أمارتها**) والأمارة ه ي العلامة، (**فقال أن تلد الأمة ربّتها**) وفي حديث أبي هريرة قال: (**أن تلد الأمة ربها**) بالتذكير، وفي رواية لحديث أبي هريرة قال (**أن تلد الأمة بعلها**)، واختلف

العلماء في تأويل هذه العبارة على عدة أقوال ذكر بعضها الحافظ ابن حجر والبعض الآخر الحافظ ابن رجب في شرحه أيضا على صحيح البخاري، وأيضا ذكر بعضها النووي في شرحه عليه، وجماع هذه الأقوال فيما يلي:

القول الأول: أنّ في هذا الدلالة على كثرة فتوح بلاد الكفر وكثرة السبي وكثرة السراي، السراي جمع سرّيّة وهن الإماء، فتكثر السراي فتلد الإماء والأولاد من سادتهن، وولد السيد في منزلة السيد لأن الأمَة إذا ولدت من سيدها فإن الولد يكون حرا وهي ما زالت أمة، فتصير الأمة ولدت ربها أي سيدها لأنه قد يكون يموت هذا السيد أي الوالد ويرث ولده الميراث ويكون من ضمن هذا الميراث هذه الأمَة التي هي أمه فيصير مالكاً لأمّه.

القول الثاني: أن المراد أن الملوك يأخذون السراي فتلد الإماء الملوك.

القول الثالث: وهذا قاله وكيع أن تلد العجم العرب، والعرب كالأرباب للعجم.

القول الرابع: أنّ المراد مع كثرة الفتوح أن تُجلب المرأة أو البنت الصغيرة من بلاد الكفر وتوضع مع الإماء ثم تُعتق في بلاد الإسلام ثم تُجلب أمّها بعد ذلك من بلاد الكفر فتشتريها هذه البنت وقد صارت حرّة وتستخدمها جاهلة بكونها أمّها، فتصير هذه الأمّ أمَة عند ربّتها عند بنتها وتصير البنت هي ربّة هذه الأم.

القول الخامس: أن تبيع السادة أمّهات أولادهم ويكثر ذلك فيتداول الملاك المستولدة حتى يشتريها ولدها ولا يشعر بذلك، أنه قد اشترى أمها. وقد استبعد البعض هذه الصورة وخاصة الذين قالوا بتحريم بيع أمهات الأولاد حيث أن بيع أمهات الأولاد أو بيع الأمَة التي تلد من سيدها ولدا فيها خلاف، هناك من أجاز وهناك من منع؛ ولكن الحافظ ابن حجر قال قد تصح هذه الصورة إذا حُملت على الصورة الاتفاقية وهي بيع هذه الأمَة أمهات الأولاد في حال حملها لأنه حرام بالإجماع، أي أن هذه الأمة في حالة كونها حامل من سيّدها يحرم بيعها باتفاق أهل العلم إذا بيعت في هذه الحال وولدت ثم كبر هذا الولد وكانت هي قد باعها الآخر إلى رجل آخر، ثم تداول الملاك بيعها إلى أن تصل إلى ولدها هذا فيشتريها وهو لا يعلم أنها أمّه.

والحافظ ابن حجر رأى أن كل هذه الأقوال لا تنطبق لبيان المعنى المطلوب ورجح قولا آخر اعتبره هو المقصود من الحديث ، وهو أن يكثر العقوق في آخر الزمان، أن يكثر عقوق الأولاد لأمهاتهم فيعامل الولد أمه معاملة السيد لأمَته من السبِّ والإهانة والضرب والشتم والاستخدام؛ فأطلق عليه أنه ربها مجازا. أو أن يكون هو بمعنى المربي لها فيكون اللفظ على حقيقته ، وهذا ظهر في زماننا هذا، فكم نسمع في هذا الزمان على الأولاد الذين يضربون أمهاتهم ويسبون أمهاتهم ؛ بل ويقتلون أمهاتهم في هذا الزمان، إن صح هذا التأويل من الحافظ فقد تحقق في زماننا هذا وما بعده أشر منه. وقال الحافظ هذا الوجه هو أوجه الأوجه، والأمر مختلَف فيحتمل أن يكون المقصود من الحديث بعض هذه الأوجه وليس وجها واحدا، فلا تعارض أن يُحمل الحديث على أكثر من وجه لأنه لفظٌ عامٌ قد يدخل تحته أكثر من صورة، أو قد تدخل تحته أكثر من صورة.

ثم قال : ((**وَأن تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاولُونَ في البُنْيانِ**)) وهذا كما نرى في هذا الزمان أن من وصفوا في هذا الحديث من أصحاب الفاقة في الظاهر أو من الرعاة والبدو وغيرهم هم صاروا يمتلكون المباني الضخمة الشاهقة ويبنون الأبراج فيتحقق شيء من هذه في زماننا.

إلى أن قال الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((**يَا عُمَرُ؛ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ**))، ((**هذَا جبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أمرَ دِينِكُمْ**)).

ونستفيد من هذا القول أن أهم أمور الدين قد جُمعت في هذا الحديث ، مباني هذا الدين في هذا الحديث، فمن ادعى أن للدين مباني أخرى أو أن للدين أصولا أخرى غير المذكورة في هذا الحديث فقد أتى ببدعة نحو الإمامية والرافضة الذين يعتقدون أن أصل أصول هذا الدين و أن أهم مباني هذا الدين الإمامة؛ فقولهم مردود بنص هذا الحديث ، ونحو كذلك الصوفية الذين يعتقدون أن أهم مسائل هذا الدين الحاكمية، ونحو جماعة التبليغ والدعوة الذين يعتقدون أن الدعوة مبنية على الصفات الستّ التي وضعها لهم محمد إلياس، وهم يهتمون بإظهار هذه الصفات الستّ دون ما جاء في حديث جبريل ، فكلامهم مردود بنص حديث جبريل –عليه السلام–.

قال المصنف رحمه الله:

الأَصْلُ الثَّالِثُ

مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إسماعيل بْنِ إبراهيم الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسلام، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً.

وننتقل إلى الأصل الثالث من الأصول الثلاثة هو معرفة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال المصنف في تعريف النبي: هو محمد بن عبد الله، و محمد هو أعظم أو أهم أو أشهر أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكره الله عز وجل بهذا الاسم في القر آن في أكثر من موضع، ومن هذه المواضع ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾[38] وفي قوله ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَو قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[39] إلى آخر الآيتي وكذلك في قوله عز وجل ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾[40]

وكذلك سمى الله عز وجل سورة بأكملها باسم محمد وذكر في أولها ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾[41] وأيضا ثم الله عز وجل سمى رسوله في القر آن بأحمد كما ذكر هذا على لسان عيسى بن مريم ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾[42] فسماه بأحمد فهو محمد وهو أحمد وهو الماحي الذي يمحو الله به الكفر وهو العاقب الذي لا نبي بعده وهو الحاشر الذي يحشر الناس على عقبيه.

وذكر المصنف هنا نسب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن قريش. وتتمة النسب كما قال الإمام ابن باز رحمه الله تعالى وذكر هذا أصحاب كتب السير و أصحاب كتب الأنساب : هو محمد و أبوه اسمه عبد الله و جده اسمه عبد المطلب ، وعبد المطلب لقب واسمه شيبة، وقيل اسمه شيبه الحمد ، وأبو جده اسمه هاشم وهو سيد من سادة قريش،

---

[38] الفتح: 29
[39] آل عمران: 144
[40] الأحزاب:40
[41] محمد:2
[42] الصف: 6

وهاشم من قريش قبيلة عظيمه وه ي أفضل العرب والنبي صلى الله عليه وسلم من خاصتهم من بني هاشم وهم أفضل قريش، واسمه فهر بن مالك، وقيل قريش هو النضر بن كنانة جدّ فهر بن مالك، وقريش من العرب المستعرَبة التي استُعرب لسانها فصار لها لسانٌ عربي واضح.

وكما قال أبو عبيد القاسم بن سلاّم في كتابه (النسب): وَلَدُ كنانة بن خُزيمة يسمى النضر وأبو قريش، وجاء في بعض كتب الاشتقاق أن النضر أبو جميع قريش، من لم يكن من ولد النضر فليس بقرشيّ.

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة بسند صحيح عن الشافعي أنه قال: (عبد المطلب اسمه شيبه، وهاشم اسمه عمرو بن عبد مناف، واسم عبد مناف المغيرة بن قصي، واسم قصي زيد بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضر بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر) إلى أن يصل إلى عدنان، وعدنان هو من ولد إسماعيل -عليه السلام- أو من نسل إسماعيل، وكما قال ابن حزم في (جمهرة أنساب العرب) : جميع العرب يرجعون إلى ولد ثلاثة رجال وهم عدنان وقحطان وقُضاعة؛ فأما عدنان فمِن ولد إسماعيل بلا شك إلاّ أن تسمية الآباء بين عدنان وبين إسماعيل قد جُهلت جُملةً) كما قال ابن حزم، والحديث المشهور الذي فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم يذكر نسبه إلى عدنان ثم يمسك ويقول بعد ذلك ((كذب النسابون)) فهذا حديث موضوع أو مكذوب كما بيّن هذا العلامة الألباني رحمه الله تعالى كما في السلسة الضعيفة.

وقيل إن قحطان هو من ولد إسماعيل وكما قال ابن القيم: وهذا باطل بلا شك. وقيل إن قحطان هو من ولد سام بن نوح عليه السلام وقيل غير ذلك. وأما عن قضاعة فقيل أنه بن معد بن عدنان، وقيل أنه مالك بن حِمْيَر كما نقل هذا ابن حزم في جمهرة أنساب العرب.

وكما قال العلامة الفوزان حفظه الله في شرحه : العرب على قسمين في المشهور، العرب العاربة وهم القحطانية وهم أصل العرب، والعرب العدنانية وهم العرب المستعربة وهم من ذرّية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وهذا التقسيم يبين لنا أن قحطان وهو واحد من الأولاد الثلاثة الذي يرجع إليه العرب كما قال ابن حزم أنه من ولد سام بن نوح، قد يصح هذا، وبلا شك ليس من ولد إسماعيل لأنه قبل إسماعيل، والذي تنسب إليه العرب العاربة القحطانية، العرب العاربة هم القحطانية ينسبون إلى قحطان. وأما العرب المستعربة وهم من ولد عدنان الذي هو من ذرية إسماعيل سمت المستعربة كما قال العلامة الفوزان لأنهم تعلموا العربية من العرب العاربة لما جاءت جُرْهُمْ وهى إحدى قبائل العرب العاربة، ونزلوا

بمكة عند هاجر أم إسماعيل عليه السلام ، وكان إسماعيل صغيرا ، فتربى ونشأ إسماعيل عليه السلام و أخذ العربية عن جُرْهُمْ وهي من العرب العاربة، ثم تزوج من جُرْهُمْ ، وجاءه الذرية الذين تعلموا العربية ونشئوا مع العرب الذين جاءوا من جُرْهُمْ فصاروا عرب مستعربة، هم الذين ولد منهم عدنان جد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو آخر جد معروف جد النبي بعد إسماعيل.

وكما قال الفوزان حفظه الله : وأما العاربة فهم القحطانية وأصلها من اليمن ، وبعض العلماء يقول إن العرب العاربة على قسمين : العرب البائدة والعرب الباقية، وقيل أن العرب البائدة هم الذين هلكوا و لم يبق منهم شيء، وهم قوم نوح وعاد وثمود وشعيب ، وقيل إن العرب الباقية هم الذين ينقسمون إلى العرب العاربة والعرب المستعربة وهم العرب الباقية، وكما ثبت في حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه الذي أخرجه الإمام مسلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول: ((**إن الله اصطفى كنانة من ذرية – أو في رواية من ولد– إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى هاشما من قريش، واصطفاني من بني هاشم**)) هذا الحديث حديث واثلة يبين حديث أبي هريرة الذي تفرد به البخاري عن مسلم والذي فيه أن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ((بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرن، حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه)) أصله من إسماعيل عليه السلام الذي هو ولد إبراهيم خليل الله ، من خير القرون المقصود هنا بالقرن أي الزمان، أُخذ من الأقران لأن أهل الزمان الواحد يكونون أقرانا في السن أحيانا أو في الولادة أو في الموت وتتقارب موالدهم وتتقارب السن ووفياتهم، سن الوفاة، هم متقاربون في السن القرن الواحد، فكان صلى الله عليه وسلم من خير القرن حتى ولد في القرن الذي بعث فيه.

وأيضا يؤكد هذا المعنى زعم ما جاء في حديث العباس عم النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّمَ– الذي أخرجه أحمد في مسنده والذي قال فيه أنه قد بلغ النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّمَ– بعض ما يقول الناس، أي في نسبه، فصعد على المنبر فقال ((**من أنا**))، فقال: أنت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال ((**أنا محمد بن عبد الله ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه ثم جعل الخلق فرقتين فجعلني في خير فرقة، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة ، وجعل القبائل بيوتا فجعلني في خير بيت، فأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا**)) وفي لفظ قال ((**وأنا خيركم نسبا**))، هذا الحديث حسنه العلامة الألباني رحمه الله تعالى كما في (صحيح السيرة النبوية).

وكفى في هذه الأحاديث بيانًا لشرف نسب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهي ترد عن أكاذيب الرافضة الذين يدّعون تعظيم نسب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهم من أكذب خلق الله، حيث إن الرافضة يدّعون تنزيه نسبه من أن يكون في آباءه وأجداده كافرا، ومن ثمّ حكموا بإسلام أبيه وبإسلام جده عبد المطلب وحكموا أيضا حتى بإسلام أبي إبراهيم آزر، لأن أصل نسب النبي صلى الله عليه وسلم يرجع إلى إبراهيم ويحتجّون بحديث مكذوب والذي جاء فيه أنه قال (انتقلت بين الأصلاب الطاهر ة)، أي إن صلب النبي كما ادُّعي في هذا الحديث طاهر ليس فيه مشرك (انتقلت بين الأصلاب الطاهرة) من صلب إبراهيم إلى عدنان حتى يصلوا إلى والد النبي فاعتبروا أن الصلب طاهر ليس فيه شرك ، فحتى يَسلم لهم هذا الحديث أخذوا يبحثون عن أي شبه ة في حكم إسلام أجداد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّمَ- حتى يصلوا إلى إبراهيم، وأبو إبراهيم عليه السلام هو كافر بنص القر آن يسمى بآزر، وكذلك أبو النبي صلى الله عليه وسلم وجده كلاهما ك ان على الكفر ومات على الكفر كما ثبت هذا في الصحيح، ولذلك فإن هذا التعسّف الذ ي عليه الشيع ة والصوفية ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم؛ فإن الصوفية قد جرت مجرى الشيعة في هذا الأمر، و قد زلّ السيوطي في هذا الباب وأخذ يؤلّف الرسائل التي أتى فيها بالأحاديث الموضوعة والمكذوبة كي يرُدّ الحديث الذي جاء فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((إن أبي و أباك في النار)).

وأيضا ألّف بعض الرافضة في إسلام أبي طالب عمّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّمَ- وأيضًا أخذوا يردون الأحاديث الصحيحة التي تبين أن أبا طالب عم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّمَ- هو أهون أهل النار عذابا ، وكما ثبت في الصحيحين أنه مات على ملة أبو المطلب كما قال أنه اج تمع عليه سادات قريش حتى تسببوا في أنه قال: "بل على ملة عبد المطلب"، وكان النبي يسعى يجعله يموت على الإسلام يقول له: ((**يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أُحاجّ لك بها عند اله**)) فأبى أن يقولها ومات على الكفر، وهذا ليس فيه أي ذم للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأنه كون أحد آباء أو أجداد النبي كان على الكفر هذا لا يضر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّمَ- كما لم يضر من قبله، فأيضا لم يضر الخليل إبراهيم أن أباه كان كافرا؛ ولكن الذي يضر أن يولد الرسول أو النبي من سفاح أو زنا، هذا الذي يشينه، أم أن يولد من أب مشرك أو كان على الشرك هذا لا يشينه من شيء، لذلك صح الحديث

بشواهده حسنه العلامة الألباني في صحيح السيرة النبوية أنه قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ((**ولدتُ من نكاح ولم أولد من سفاح من آدم إلى أن ولدني أبي وأمي فلم يصبني من نكاح الجاهلية شيء**))، هذا الذي يُنزه عنه الأنبياء والرسل لأن اليهود عليهم لعنة الله كانوا يسبون بعض أنبيائهم أو بعض رسلهم كالمسيح عليه السلام أنه ولد زنا؛ بل كانوا يذكرون نحو إبراهيم عليه السلام بأنه كان يشرب الخمر وكان يقع في الزنا إلى آخر ما قالوا في طعن الأنبياء ورسل الله . والرسل منزهون عن قول اليهود وعن قول الرافضة وعن قول النصارى و لم يعظم الرسل والأنبياء مثل الموحدين المسلمين سواء من الأمم السابقة أو من هذه الأمة ؛ وأما الرافضة فليسوا من هذا في شيء، إن كانوا صادقين في تنزيه نسب النبي صلى الله عليه وسلم فعليهم أن ينزهوا أصحابه على أن يرموا بالكفر والشرك ؛ ولكنهم كاذبون ويخدعون المسلمين بمثل هذه الأقاويل كما يقال ذرّا للرماد في العيون وتحريفا لشريعة الإسلام، فما تركوا شيئا إلا وحرفوه، أرادوا تحريف هذه الشريعة، فعليهم من الله ما يستحقون وكفى الله المسلمين شرهم.

الأصلُ الثالثُ: معرفةُ نبيكُمْ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وهو محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المطلب بنِ هاشمٍ، وهاشمُ مِنْ قريشٍ، وقريشٌ مِنَ العربِ، والعربُ مِنْ ذرّيّةِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ، عليْهِ وعلى نبيّنا أفضلُ الصَّلاةِ والسّلامِ، وله مِنَ العُمْرِ: ثلاثٌ وستُّونَ سنةً، منها أربعون قبل النُّبُوَّةِ، وثلاثٌ وعشرون نبيّا رسولا، نُبِّئَ بِـــ (اقرأ) وأُرْسِلَ بـــ(المدّثر)، وبلدُهُ مكّةَ، و هاجر إلى المدينة.

فمازلنا مع بيان الأصل الثالث من الأصول الثلاثة و وصلنا إلى قول المصنف في بيان عُمر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال

(وتوفي و له مِنَ العُمْرِ: ثلاثٌ وستُّونَ سنةً)

كان مولد النبي صلى الله عليه و على آله وسلم على المشهور عند أهل السير وأهل التاريخ أنه ولد في عام الفيل. وكانت العرب في الجاهلية تسمي الأعوام بأشهر حادثة وقعت في العام فكان دخول أبرهة بالأفيال محاولا

هدم الكعبة في هذا العام أبرز حدث ومن ثَمّة سُمِّي به العام.

واختُلِف في يوم مولده ، فالقول الذي اشتَهَر عند عامة المسلمين أنه ولد في الثاني عشر من ربيع الأول ولا دليل على ذلك إنما قال به بعض أهل العلم وأهل السير، وهو قول جمهور أهل السير. وكما ذكر العلامة الألباني -رحمه الله تعالى- في تحقيقه في السيرة النبوية من **"البداية و النهاية"** للحافظ بن كثير ، و التي سماها ب**"صحيح السيرة النبوية"**

ذكر أثراً أخرجه الحاكم في مستدركه و كذلك أخرجه عبد الله بن أحمد في **"العلل و معرفة الرجال"** بسند جيد عن محمد بن زبير بن مُطعِم-وهو من أجلة التابعين- أنه قال في مولد أو في يوم ميلاد النبي صلى الله عليه و سلم أنه وُلد في اليوم الثامن من ربيع الأول، فكما قال العلامة الألباني: **((هذا أصح ما وقفنا عليه من كلام التابعين في شأن مولده))** و عزى هذا العلامة الألباني إلى الحافظ محمد بن موسى الخوارزمي. و الأمر كما بيَّنا ليس فيه دليل واضح فلا نستطيع أن نجزم بقول من هذه الأقوال و لكن أقرب الأقوال أنه في اليوم الثامن من ربيع الأول و ليس في اليوم الثاني عشر على قول جمهور أهل السير. و أما عن يوم وفاته فإنه مجزوم به فقد توفي صلى الله عليه و على آله و سلم في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول في يوم الإثنين. و ولد في يوم الإثنين أيضا في حديث أبي قتادة عند مسلم أنه لما سئل صلى الله عليه و على آله وسلم عن العلة أو عن سبب صيامه ليوم الإثنين فقال :**((ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَ أُرْسِلْتُ فِيهِ –أَوْ بُعِثْتُ فِيهِ–))**.فولد يوم الإثنين و أيضا أُمر بالرسالة أو بُعث في يوم الإثنين.

و كما قال المصنف: قد مضى الرسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم أربعين سنة من عمره قبل أن يُبعث أو قبل أن يُوحى إليه، وكان طوال هذه السنوات بعيداً عن مشاركة أهل الجاهلية في عبادة الأصنام و في التقرب للأوثان، وكان صلى الله عليه و على آله و سلم يخرج إلى غار حراء كما ثبت هذا في الصحيحين من حديث عائشة -رضي الله عنها- يتحنث فيه أي يتعبد الليالي ذوات العدد ، و كان يتزود من خديجة -رضي الله عنها- بالزاد الذي يكفيه لكي يقضي هذه الليالي في غار حراء. و في ليلة من هذه الليالي أتاه جبريل -عليه السلام- ، فكما يحكي النبي صلى الله عليه و سلم عن هذا قال:

((فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي، ثُمَّ قَالَ لِي اقْرَأْ، قُلْتُ:مَا أَنَا بِقَارِئ، فَأَخَذَنِي فغَطَّنِي ثَانِيَةً، ثُمَّ تَرَكَنِي وَ قَالَ اقرأ قلت:ما أنا بقارئ ، فأخذني الثالثة فقال اقرأ قلت : ما أنا بقارئ ، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿1﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴿2﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿3﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿4﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ

يَعْلَمْ﴾[العلق: 1-5])). فكانت بداية رسالة النبي صلى الله عليه و على آله و سلم في هذه الليلة، في غار حراء.

و قول المصنف هنا أنه (نُبِّئَ بـــ (اقرأ) وأُرْسِلَ بـــ(المدّثر)) قال هذا بُناءً على أن بعض أهل العلم قد اختلفوا في مسألة أول سورة أُنزلت هل هي اقرأ أم المدثر ، و بلا شك الظاهر من حديث عائشة الذي ذكرناه الآن أن أول آية أُنزلت أو أول سورة أُنزلت هي سورة اقرأ.

و لكن الذي حدث أن الوحي فتر بعد هذا، بعد هذه الليلة ، و لم يأتِهِ الوحي -يعني لمدة- ،كما سوف يأتي ، حتى نزلت عليه المدثر فكان بين اقرأ و المدثر فترة من الوقت.

و من الذين قالوا بأن أول سورة أُنزلت هي المدثر جابر بن عبد الله من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم و أخذه منه أبو سلمة بن عبد الرحمن ،كما أخرج هذا البخاري و مسلم في صحيحيهما عن يحيى بن أبي كثير أنه قال: سألت أبا سلمة عن أول سورة أو عن أول ما نزل من القرآن فقال :((المدثر)) قلت: أو اقرأ؟ قال: سألتُ جابراً -رضي الله عنهما- عن أول ما نزل من القرآن فقال :((المدثر)) فقلت له: أو اقرأ؟ قال:سأُحَدِّثك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم. ثم قال: قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((جَاوَرْتُ بُرْهَةً -أَو فترة- فِي غَارِ حِرَاء ثُمَّ قَطَعْتُ جوَارِي ...)) و لم يذكر أنه خلال هذا آتاه المَلَك و لكن يُفهم من الكلام الآن أنه أتاه قبل هذا ((ثُمَّ قَطَعْتُ جِوَارِي وَ بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ -أَوْ بَيْنَا أَنَا أَمْشِي- إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا يُنَادِي فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَ خَلْفِي وَ عَنْ يَمِينِي وَ عَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ أَحَداً فَإِذْ بِالصَّوْتِ يُنَادِينِي فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا...)) ثم ناداه للمرة الثالثة فرفع بصره إلى السماء ، قال: ((فَإِذْ أَنَا بِهِ -يقصد جبريل عليه السلام- كَانَ المَلَكُ جَالِسًا عَلَى العَرْشِ فِي السَّمَاءِ -أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الأَرْضِ-...)) و يقصد بالعرش الكرسي كما جاء في رواية أخرى سنذكرها الآن ((فَإِذَا أَنَا بِالمَلَكِ الَّذِي أَتَانِي كَانَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ -أَوْ عَلَى عَرْشِهِ- فِي السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الأَرْضِ فَأَصَابَتْنِي رَجْفَةٌ فَذَهَبْتُ إِلَى خديجة -رضي الله عنها-فقلتُ :دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي ...)) فغطَّوْه أو فدثروه فنزل يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿1﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿2﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿3﴾وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿4﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿5﴾ [المدثر] ، و في رواية أخرى لهذا الحديث أيضا أخرجها البخاري ومسلم

أن جابرا -رضي الله عنه- قال: ((فَتَرَ الوحي ثم بعد فَتْر الوحي قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((بَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي لَيْلَةٍ إِذْ نَظَرْتُ فِي السَّمَاءِ فَرَأَيْتُ المَلَكَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الأَرْضِ فَرَعِبْتُ مِنْهُ فَذَهَبْتُ إِلَى خَدِيجَة فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي)) فدثّروه فنزلت يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿1﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿2﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿3﴾وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿4﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿5﴾)).

هذا الحديث-حديث جابر- يدل صراحة على أن المدثر نزلت بعد فترة من الوحي يعني أن الوحي قد أتاه ثم انقطع ، انقطع عنه فترة ، فهذا يؤكد بلا شك على أن المدثر ليست أول ما نزل و لذلك قال النووي- رحمه الله- تعالى في شرحه على مسلم :((إن القول بأن المدثر هي أول ما نزل قول ضعيف باطل ليس عليه دليل)) ، و إنما جابر -رضي الله عنهما- قال ذلك اجتهادًا منه و لذلك عزى السائل -و هو أبو سلمة بن عبد الرحمن- إلى الحديث الذي سمعه من النبي صلى الله عليه و سلم فهو فهم منه هذا ، هذا فَهْمُهُ ، لكن نص الحديث يدل صراحة على أن المدثر ليست أول ما نزل إنما هي أول ما نزل بعد فترة الوحي.

و تفريق المصنف -والذي قال به بعض أهل العلم- بين النبوة والرسالة بأنه (نُبِّئَ بـــ (اقرأ) وأُرْسِلَ بـــ(المدّثر)) لعل أهل العلم الذين قالوا بهذا فهموا هذا من قوله تعالى في سورة المدثر﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ فقالوا كانت هذه بداية الأمر له بالنذارة ، بأن يقوم بالنذارة و التحذير أي:بدعوة الناس ؛ و أما (اقرأ) فكانت أمرا له بالنبوة فقط ، هذا على قول من يُفرّق بين النبوة والرسالة. وكما ذكرنا في مجلس سابق: نعم ثَمَّة فرق بين النبوة والرسالة ، و لكنَّ الراجح -و الذي بيناه- أنّ النبي والرسول كليهما مأموران بالتبليغ ، و لذلك نقول إن بِعثة النبي صلى الله عليه وسلم و إن الوحي نزل إليه في غار حراء ب(اقرأ) و كانت هذه بداية الرسالة و بداية النبوة و بداية البِعْثة ، ثم لما فتر عنه الوحي جاءه الوحي مرة أخرى وبدأ بعد ذلك يتتابع عليه الوحي كما جاء في آخر حديث جابر في الرواية الأخرى أنه قال في آخر هذه الرواية: ((ثم بدأ الوحي يتتابع عليه بعد المدثر)) .

بعثَهُ اللهُ بالنَّذَارَةِ عنِ الشِّرْكِ، ويدعُو إلى التَّوحيدِ، والدليلُ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ

فَأَنذِرْ ﴿2﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿3﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿4﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿5﴾ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴿6﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[المدثر:1-7] ومعنى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ يُنْذِرُ عنِ الشِّرْكِ ويدعُو إلى التَّوحيدِ، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: عَظِّمْهُ بالتَّوحيدِ، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طَهِّرْ أعمالَكَ عَنَ الشِّرْكِ، ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرُّجْزُ: الأصنامُ، وهجرُها تَرْكُها وأهلِها، والبراءَة منها وأهلِها.

في قول المصنف هنا : (وبلدُهُ مكةّ و بعثَهُ اللهُ بالنَّذَارَةِ...) أي كانت بداية أو مبدأ دعوة النبي صلى الله عليه و على آله و سلم بمكة ، و لكنه لم يبعث إلى أهل مكةَ فقط ، بل هذه كانت بداية الدعوة ؛ ثم بعد ذلك بدأ ينشر دعوته في كل مكان يعني و لكنَّ الدعوة ظلت سرية لفترة ، فترة ثلاث سنوات منذ بدايتها إلى أن جهر بها وبدأ يرسل الكتب و الرسائل إلى الآفاق نحو الرسائل التي أرسلها إلى هرقل عظيم الروم و إلى كسرى و إلى عظيم البحرين يدعوهم إلى الإسلام ، فكان رسولاً إلى العالمين و ليس رسولا إلى العرب فقط و لا رسولا إلى أهل مكة فقط ، كما قال سبحانه ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّـهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ﴾ [الأعراف : 158].

و بدأ دعوته بـــ**النذارة** أي: **بالتحذير من الشرك**.

و **النذارة هي الإعلام المصحوب بالتحذير أو بالتخويف**، فهي ليست مجرد إعلام بل إعلام مصحوب بالتحذير و التخويف. فأنذر رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم الناس بعذاب الله كما قال سبحانه ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: 49-50] ، ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم: 39] فأنذر الرسول صلى الله عليه و سلم ، وكان بشيرا و نذيرا ، فكانت دعوته مبنية على البشارة و النذارة ، و لكنه أول ما بدأ بدأ بالنذارة عن الشرك.

يعني لم يبدأ دعوته بما يبدأ به بعض الدعاة و بعض الأحزاب في زماننا هذا من أمور لا علاقة لها بالشرك و لا بالتوحيد ، فمن أراد أن يقتفي أثر الرسول صلى الله عليه و على آله و سلم في دعوته فعليه أن يبدأ بالتحذير من الشرك و بالدعوة إلى التوحيد إن كان صادقا في اتباع النبي صلى الله عليه و على آله و سلم. أما الذين يعتبرون أن الكلام في الشرك و تحذير الناس من الشرك ليس من أصل دعوتهم و يعترفون بهذا! بل يتبجحون قائلين: إن التحذير من الشرك يُنَفِّر الناس عن دعوتنا!! ، و العجيب أنهم يسمُّون

أنفسهم بغير ما يستحقونه ، يسمُّون أنفسهم بجماعة التبليغ والدعوة ، فأي تبليغ و أي دعوة بدون التحذير من الشرك؟! فهم يَصْدُق عليهم ما أخبر به الرسول صلى الله عليه و سلم من أشراط الساعة عن الأشياء التي تسمَّى بغير اسمها ، فكما أن الخمر تسمَّى بغير اسمها ، و كما أن المعازف تسمى بغير اسمها ، وكلاهما من المعاصي ، كذلك أيضا صار هؤلاء يسمُّون أنفسهم بغير اسمهم الذي يستحقونه ، فهم لا يقومون لا بالتبليغ و لا بالدعوة على طريقة الرسول صلى الله عليه و سلم ، كيف و قد تركوا أصل الدعوة؟! تركوا التحذير من الشرك والدعوة إلى التوحيد و اعتبروا أن الكلام في التوحيد و الشرك يُنَفِّر الناس عن دعوتهم! فأي دعوة هذه ؟! ليست دعوة النبي صلى الله عليه و سلم و ليست دعوة أحد من الرسل ، بل هي دعوة خاصة بهم ، فهم يقولون: إن المسلمين لا يحتاجون إلى التوحيد لأنهم مسلمون ، فإذا قلت لهم: ألا تدرُون أن العدد الكبير من المسلمين يقعون في بعض أمورالشرك بجهل؟ سواء من الشرك الأكبر أو من الشرك الأصغر؟ لوَوا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون ، فأمثال هؤلاء يحتاجون إلى الدعوة ، هم يحتاجون إلى من يدعوهم قبل أن يتصدروا هم لدعوة الناس ، فعليهم أن يتعلموا منهج النبي صلى الله عليه و سلم في الدعوة إن أرادوا أن يكونوا بحق من أهل التبليغ والدعوة ، فالرسول صلى الله عليه و سلم مكث ثلاثة عشرعاما في مكة يؤصل لهذا الأصل ، الأصل الأصيل: التوحيد ، و يحذر من نقيضه: الشرك ، لا يكل ولا يمل ، و لا ينهزم بأي صراعات جانبية أو سياسية – كما يقال– مع قومه تؤخره أو تعطله عن تأصيل هذا الأصل الأصيل ، فما كان يصارع قريشا على رئاسة و لا على مُلْك ، و ما كان يهتم أن يكون عضوا في دار الندوة كي يكون له صوت ينال به المُلْك أو كما يقال : يشارك به في الرأي ، بل كان يخاطبهم صراحة: (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) اتركوا عبادة هذه الأصنام ، اتركوا اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ، و يخاطبهم بآيات التوحيد التي أُنزلت عليه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 21]، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿56﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ [الذاريات: 56-57] إلى آخر الآيات التي تدعو أو تأمر الناس بالتوحيد و تنهاهم عن الشرك.

و كان دائما يقيم الحجة عليهم بإقرارهم بتوحيد الربوبية ،كما في قوله تعالى ﴿أَلَا لِلَّـهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّـهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: 3] فذكر

سبحانه حجة هؤلاء و سبقها أو تقدمها بالإجابة على حجتهم بقوله ﴿أَلَا لِلَّـــهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾، ليس لأحد من هؤلاء الأولياء ، سواء من الأموات أو من الأصنام ، نصيب في إخلاص الدين ، فإن الدين خالص لله ، فإن الدين خالص لوجه الله ، و أبطل حجتهم بأنهم قالوا بأنهم ما اتخذوا هذه المعبودات أولياء من دون الله إلا ليقربوهم إلى الله فأبطل حجتهم فقال ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : 186] ليس الله بحاجة إلى هؤلاء الأولياء كي يتقرب إليه عباده. و قال سبحانه ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر : 60] ادعوني بغير واسطة قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فذكر المشروط بعد الشرط ، الشرط: (ادعوني) ، فإذا حققتم هذا الشرط و دعوتم تحقق المشروط :(أستجب لكم) لكن على أن يكون الدعاء خالصا لله ، و لذلك صدق الرسول صلى الله عليه و على آله و سلم لما قال: ((**الدعاء هو العبادة**)) كما في حديث النعمان بن بشير.

ثم قال **والدليلُ قوله تعالى**: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ هذا أمر أو نداء إلى النبي صلى الله عليه و على آله و سلم ، و سماه المدثر من باب التلطف ، و من باب التخفيف عليه من شدة الأمر الذي رآه ، و هذا من تمام رحمته عز وجل بعبده و برسوله.

﴿**قُمْ فَأَنذِرْ**﴾: هذا أمر و الأصل في الأمر الإيجاب ، أي أمره أن يقوم ، أن يقوم بالدعوة و أن يبدأ بالنذارة ، بالتحذير من الشرك و الدعوة إلى التوحيد.

﴿**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**﴾ أي فعظم و نزّهْ.

و في قوله " قم فأنذر" أمره بالنذارة عن الشرك ، و في قوله :" وربك فكبر " إشارة إلى الأمر بالتوحيد: أن يُحَذِّر من الشرك و أن يدعو إلى التوحيد.

﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ اختلف أهل التفسير في هذه الآية على عده أقوال (و ثيابك فطهر) و أشهر قولين:

1) القول الأول: هو ما أخرجه ابن جرير في تفسيره بسند فيه بعض الكلام ، و قد يُحَسَّن ، عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن رجلاً سأله عن هذه الآية ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ فقال : ((أمره ألا يلبس

ثيابه على معصية و لا على غَدْرَة)) ، ثم أنشد قول غيلان بن سلمة الثقفي :

و إني بحمد الله لا ثوبَ فاجرٍ لَبِسْتُ و لا من غَدْرَةٍ أتقنَّعُ

وأيضاً جاء هذا بنحوه عن عكرمة تلميذ ابن عباس -رضي الله عنهما-.
و أيضاً أخرج ابن جرير بسند صحيح عن ابن عباس أ نه قال : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ عن الإثم ، ثم قال : كانت العرب تقول: **"نقيُّ الثياب"** تُكنِّي به من ليس على أثم و لا على معصية ، فكان هذا معروفاً عند العرب .

2) و القول الثاني : هو ما جاء بسند صحيح عن محمد بن سيرين أخرجه ابن جرير أيضاً في تفسيره أنه قال ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي اغسل ثيابك من النجاسة ، و بنحو هذا قال ابن زيد من التابعين ، أيضاً أخرجه ابن جرير بسند صحيح عنه.
و اختار ابن جرير القول الثاني ، قول ابن سيرين وابن زيد ورجَّحه: أن الآية على ظاهر معناها و على ظاهر لفظها: أنه أمره بتطهير ثيابه إذا صلى أو إذا أدى عبادة من العبادات التي يُشترط لها الطهارة ، طهارة الثياب ، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ ، ولكنه عزى القول الأول إلى أكثر السلف ، قال : **((و إن كان أكثر السلف على القول الأول))**.

و أيضاً عزى ابن القيم -رحمه الله تعالى- قول من قال بأن المقصود بقوله تعالى : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي طهر قلبك من الشرك وطهر نفسك من المعصية ، أنه عزى هذا إلى جمهور السلف. و استنكر بعض علماء التفسير و قالوا إن الأصل أن الكلام يُحمل على الحقيقة و الحقيقة مقصودة في هذه الآية : أنه أمره بتطهير ثيابه ، و ممن جنح إلى هذا ابن الأثير -رحمه الله تعالى- كما نقل هذا القاصمي في "محاسن التأويل" ، و هناك من أهل العلم من ذهب نحو ابن كثير إلى أن الآية تشمل كلا المعنيين ، و لا تَعارض بينهما.

و هناك أيضاً من أهل العلم من قال -نحو العلامة عبيد الجابري في شرحه-: أنه أمره في هذه الآية بتطهير ثيابه أي بتقصير ثيابه حتى لا تصيبها النجاسة إذا مشى ، وقد يُستدل بقول الشيخ عبيد بما ثبت عن عمر -رضي الله عنه- في قصة قتله أو طعنه ، لما طعن -كما أخرج هذا البخاري- أنه لما نُقِل إلى بيته فدخل عليه شاب يجر ثوبه فقال له عمر: ((يا فتى -أو يا بني-! قصِّر ثوبك فإنه أنقى لثوبك و أتقى لربك)) ، و هذا يدل على أهمية هذا الأمر حيث لم يتوانى عمر عن نهي هذا الشاب وهو في حال سكرات الموت حينما طُعن وكان يُشرف على الموت .

ثم قال سبحانه ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ و الرجز تُقرأ على وجهين(الرُّجز) بالضم و (الرِّجز) بالكسر، قراءتان مشهورتان. و قيل المقصود بها الأوثان أي أمره بترك الأوثان ، بهجر الأوثان.

﴿وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ قيل أي لا تستكثر من عملك الصالح ، و لا تمنّ به على الله ، فإذا أنت اجتهدت في الدعوة و اجتهدت في دعوة الناس إلى التوحيد و في تحذيرهم من الشرك فلا تستكثر عملك هذا و لا تمنّ به على الله ، و في هذا التأديب و التوجيه لكل الدعاة: أنهم لا يمنُّون على الله بدعوتهم و لا بأعمالهم و لا يستكثرون ما يبذلونه في سبيل الله و في سبيل تبليغ هذه الدعوة على ما يحبه الله ويرضاه.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ : أمره بالصبر ، و هذا يحتاج إليه كل داعية و كل عالم ، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان : 24] ، كما قال سبحانه ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّـهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم : 60] ، فأمره بالصبر في غير ما آية ، و أمره بأنه لا يتأثر بدعاوى المرجفين و ألا يهتز بكلام المنافقين ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّـهِ﴾ [الأحزاب : 48] فأمره أن يدع هؤلاء ، و ألا ينشغل بهم و أن يصبر على ما يثيرونه من أراجيف و من تُرَّهات و من شبهات و من أهواء و أن يرُدّ عليها و أن يبينها بالحجة ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل : 125] ، وكما قال سبحانه ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾.

أخذَ على هٰذا عشْرَ سِنِينَ يدعُو إلى التوحيدِ، وبعدَ العشْرِ عُرِجَ به إلى السماءِ وفُرِضَتْ عليه الصلواتُ الخمسُ، وصلَّى في مكّةَ ثلاثَ سنينَ، وبعدَها أُمِرَ بالهجرةِ إلى المدينةِ.

وصلَّى في مكّةَ ثلاثَ سنينَ، وبعدَها أُمِرَ بالهجرةِ إلى المدينةِ.

والهجرةُ: الانتقالُ مِنْ بلدِ الشِّرْكِ إلى بلدِ الإسلامِ، والهجرةُ فَرِيضةٌ على هٰذه الأمّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّركِ إلى بلدِ الإسلامِ، وهي باقيةٌ إلى أنْ تقومَ الساعةُ، والدليلُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (98) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[النساء:97-99]، وقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[العنكبوت:56]، قالَ البَغَوِيُّ رحمهُ اللهُ: سببُ نزولِ هٰذه الآيةِ في المسلمين الذين بمكَّةَ لم يهاجِرُوا؛ ناداهُم اللهُ باسمِ الإيمانِ.

في قول المصنف هنا ((وبعدَ العشْرِ عُرِجَ به إلى السماءِ)) و هذا على الراجح من أقوال أهل العلم أن رحلة المعراج كانت بعد عشر سنين من بداية النبوة و الرسالة.

و المعراج ثابت بالسنة ، و رحلة الإسراء ثابتة بالكتاب والسنة ، فجاء ما حدث في ليلة المعراج في الصحيحين من حديث أنس و من حديث غيره و أنه قد فُرِضت عليه الصلوات الخمس في هذه الرحلة و التي بلغ بها إلى مكان لم يبلغه نبي أو رسول قبله : بلغ إلى سدرة المنتهي التي ينتهي عندها علم الخلائق ، و حينها رأى الحجاب –كما جاء في حديث أبي ذر عند مسلم– لما سئل النبي صلى الله عليه و سلم: هل رأيت ربك ؟ قال : ((رأيت نورا)) ، يعني رأى حجاب النور ، و في لفظ قال : ((نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ)) ، فالصواب أنه صلى الله عليه و سلم لم يَرَ ربه رؤية عَيان في ليلة المعراج. و الآثار التي جاءت عن ابن عباس أنه قال : إن محمداً رأى ربه مرتين مقيَّدة أيضاً بقوله في رواية أخرى أنه رآه بفؤاده ، رأى ربه بفؤاده ، و معنى بفؤاده أي في المنام ، رآه رؤيةً في النوم ، و هذا ثابت في حديث معاذ بن جبل الذي يُحَسَّن بشواهده و الذي جاء فيه أنه صلى الله عليه و على آله و سلم قال :((آتَانِي ربي الليلة في المنام

في أحسن صورة ، فقال : يا محمد فِيمَ يَخْتَصِمُ الملأ الأعلى؟ ....إلى آخر الحديث)). و الشاهد أنه في هذه الليلة و كانت ليلة عظيمة حيث أُسْرِيَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى و هذا ثابت في قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء : 1] ، و بعد أن أُسْرِيَ به إلى هناك و صلّى بالرسل و الأنبياء آتاه جبريل بهذه الدابة التي تسمى بالبراق -و التي هي فوق البغل و دون الحمار- و عرض عليه الخمر و اللبن فاختار اللبن فقال له جبريل : أصبت الفطرة ، ثم ركب هذا البراق وصعد به إلى السماء ، و كلما مر بسماء وجد فيها رسولاً أو نبياً حتى بلغ إلى السماء السابعة ثم إلى سدرة المنتهى حيث رب العزة ، فأمره ربه في هذا المقام العظيم بالصلاة ، بالصلوات الخمس ، و كان مبدأ الأمر أنه فرض عليه و على أمته خمسين صلاة ، ثم أخذ الرسول صلى الله عليه و سلم يراجع ربه فكلما عاد إلى موسى قال له : راجع ربك فإن أمتك لا تطيق إلى أن بلغ إلى أنها خمس صلوات فقال سبحانه : هي خمسون في الأجر لا يُبَدَّلُ القول لدي يعني فرض خمس صلوات و لكنه ثَبَّتَ الأجر وخفَّفَ الحكم فقط.

فهذا يبين لنا عظم مقام فريضة الصلاة : أنه سبحانه فرضها على رسوله في هذا المقام العظيم الذي لم يصل إليه رسولٌ من قبله.

وصلَّى في مكّةَ ثلاثَ سنينَ، وبعدَها هاجر إلى المدينةِ.

الهجرة لغةً : **من الهجر أي الترك و معناها الانتقال من مكان إلى مكان** ، و قد ذكر المصنف هنا معناها الاصطلاحي الشرعي : هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ، و هذا أحد نوعي الهجرة الشرعية ، فالهجرة الشرعية على نوعين :

1) الأول: هذا النوع

2) و الثاني: الانتقال من بلد الخوف إلى بلد الأمن.

و يمثّل للنوع الأول بهجرة النبي صلى الله عليه و على آله و سلم و أصحابه من مكة إلى المدينة ، فكانت هجرة من بلد الكفر -التي هي مكة في ذاك الوقت كانت بلد كفر قبل أن تصير دار إسلام- إلى بلد إسلام وهي المدينة حيث صارت المدينة بلد إسلام لما جاء الأنصار إلى النبي صلى الله عليه و سلم و

بايعوا النبي صلى الله عليه و سلم في بيعة العقَبة الأولى و الثانية و تعاهدوا معه على نصرته و مكّنوا له أو مهّدوا له الأمر في المدينة فصارت المدينة دار إسلام. فهاجر من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.
و يمثّل للنوع الثاني بهجرة بعض الصحابة من مكة إلى الحبشة حيث كانت الحبشة دار شرك أو دار كفر ، و لكنها كانت دار أمن كانت أأمن لهم من مكة ، فهاجروا من بلد الخوف الذي فيه يُضطهَدون و يُمنعون من إقامة دينهم إلى بلد الأمن التي هي الحبشة .

(و الهجرة باقيةٌ إلى قيامَ الساعةُ) كما قال المصنف و أما حديث ((لا هجرة بعد الفتح)) ، هو مقيد -كما قال العلماء- بمكة أي لا هجرة من مكة لأن مكة صارت بلد إسلام فلا يهاجَرُ منها ، فلا هجرة بعد فتح مكة من مكة.
و استدل المصنف بقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾ فهنا الآيات بينت الذين يجب عليهم الهجرة من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام ، واستثنت فقط من ذُكر في الآية .
و كما نقل العلامة محمد أمان الجامي في شرحه عن الإمام البغوي -رحمه الله تعالى- و عن غيره كذلك أن هذه الآية نزلت في قوم نطقوا بالإسلام و لم يهاجروا ، يعني نطقوا بالشهادتين و لكنهم لم يهاجروا إلى رسول الله صلى الله عليه و على آله سلم بل بقَوْا بين المشركين في مكة ، و كانت الهجرة في ذلك الوقت في ذلك الوقت شرطاً لقَبول الإسلام : من اعتنق الإسلام يجب عليه أن يلتحق برسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم ، و لا يجوز له البقاء بمكة ، فهؤلاء لم يخرجوا ، و لما خرج المشركون إلى بدر خرجوا معهم ليقاتلوا المسلمين معهم إذ أُجبروا على الخروج مع المشركين في يوم بدر فقُتِلوا وفيهم نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾ فلا عذر لمن عنده القدرة على الهجرة من بلاد الشرك و إذ به يُصِرُّ على البقاء هناك بغير معذرة شرعية مقبولة ، و هذا قد يحدث لبعض المسلمين الذين يموتون في هذه البلاد -بلاد الكفر- حتى الآن ،

فنحن نعلم أن في الجيش الأمريكي هذا جنوداً من المسلمين فكيف بهم إذا أُمروا أن يقاتلوا المسلمين؟ و هذا حدث بالفعل. و العجيب ، بل كل العجب ، أنك تجد رجلا ينتمي إلى الإسلام بل يُدَّعَى له –أو ادُّعِيَ له– في السنوات الأخيرة زوراً وبهتاناً أنه إمام أهل السنة ، هذا الذي يسمى بيوسف القرضاوي أنه أفتى الجنود المسلمين الذين في الجيش الأمريكي بجواز مشاركة الجيش في قتال المسلمين في العراق أو في غير العراق و أن هذا يعد من طاعة ولاة الأمر ، سبحان الله ! يعني يأمرون الناس بطاعة ولاة الأمر في بلاد الكفر ، أما طاعة ولاة الأمر في بلاد الإسلام ليست داخلة في هذا!! هذا من عظيم تناقض هؤلاء و هو الذي يُبَيِّن لك أن فتاوى هؤلاء مبنية على الهوى ليست مبنية على منهج و ليست مبنية على عقيدة –بارك الله فيكم–.

فالشاهد أنه لا يجوز للمسلم الذي عنده القدرة على الهجرة من بلاد الشرك أن يبقى في بلاد الشرك ، عليه أن يبادر بالهجرة إلى بلاد الإسلام.

و قد فصَّل العلامة ابن عثيمين في شرحه في الأسباب والأعذار التي تبيح للبعض البقاء في بلاد الكفر ، فذكر أولا أن الإقامة في بلاد الكفر لابد فيها من شرطين أساسين :

1) **الشرط الأول:** أن يأمن المقيم في هذه البلاد على دينه ، يعني أن يتمكن من إقامة دينه و من إظهار شعائره من الصلاة و من الزكاة و من الصيام و من إقامة الجمعة و إقامة الأعياد ...إلى آخره ، و أن يكون عنده من قوة العزيمة و من العلم و من الإيمان ما يُطَمْئِنه على الثبات على دينه و الحذر من الإنحراف والزَّيْغ ، و أن يكون مُضْمِراً لعداوة الكافرين و بغضهم مبتعداً عن موالاتهم و محبتهم .

2) **الشرط الثاني :** أن يتمكن من إظهار دينه بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع فلا يُمنع من إقامة الصلاة و لا من إقامة الجمعة و الجماعات و لا يُمنع من بقية الفرائض و الأركان.

ثم قال الشيخ ابن عثيمين : و بعد تمام هذين الشرطين الأساسيين تنقسم الإقامة في دار الكفر إلى أقسام :

1) **القسم الأول :** أن يقيم للدعوة إلى الإسلام و الترغيب فيه ، فهذا نوع من الجهاد و هو فرض كفاية على من قَدَرَ عليه بشرط أن تتحقق الدعوة و ألا يوجد من يمنع منها أو من الإستجابة إليها.

2) القسم الثاني : أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين و التعرف على ما هم عليه من فسادٍ في العقيدة و بطلان التعبد و انحلال الأخلاق و فوضوية السلوك ، يعني لِيُحَذِّر الناس من الاغترار بهم ، و أن يُبيِّن للمعجبين بهم حقيقة حالهم ، و هذه الإقامة نوع من الجهاد أيضاً ، ولكن لابد من شرط : ان يتحقق مراده بدون مفسدة أعظم منه. و يشبه هذا أن يقيم في بلاد الكفر ليكون عيناً للمسلمين ، يعني يستخبر أحوال الكافرين حتى يُبَلِّغَ بها ولاة الأمر في بلاد الإسلام كما أرسل الرسول صلى الله عليه و على آله و سلم حذيفة بن اليمان في غزوة الخندق ليستخبر أحوال المشركين .

3) والقسم الثالث : أن يقيم لحاجة الدولة المسلمة وتنظيم علاقتها مع الدولة الكافرة هذه و هذا كحال موظفي السفارات و ما يسمى بالملحق الثقافي الذي يقوم برعاية شئون الطلبة ويحملهم على إلتزامهم بالإسلام وأخلاقه وآدابه ، فيحصل بإقامته مصلحة كبيرة ويندرئ بها شر كبير.

و بلا شك إن أول نوعين يخاطَب بهما العالم و طالب العلم المتمكن فقط ، فلا يقوم بالدعوة في هذه البلاد أو لا يقوم باستخبار أحوال الكافرين و التفتيش عن مكرهم وخططهم إلا العالم أو طالب العلم أو الداعية المتمكن الذي حصَّل العقيدة و رسخت قدمه في العقيدة ، أما المذبذَب أو الجاهل أو المتعالم فأمثال هؤلاء يكون بقاؤهم هناك وبالاً عليهم و أيضا وبالاً على المسلمين ، وهذا الذي يحدث لهؤلاء من أهل التبليغ والدعوة فهم يسافرون إلى هذه البلاد و بدلاً من أن يُخرِجوا هؤلاء من الشرك و الكفر إلى التوحيد الصحيح إذ بهم يُخرِجونهم إلى ما هم عليه من بدع و خرافات خاصة من التبليغ و الدعوة في بلاد الهند و باكستان الذين يُظهرون انتمائهم إلى هذه الطرق الصوفية الأربع خاصة النقشبندية و إلى طريقة الديوبندية و هذه الطرق تقوم على الخرافة و على الشرك و على الوثنية بكل صورها .

4) القسم الرابع : أن يقيم لحاجة خاصة مباحة ، كالتجارة أو كالعلاج إلى آخره ، فهذه تباح له الإقامة بقدر الحاجة على أيضاً أن يكون قد توفَّرَ فيه الشرطان المذكوران آنفاً .

5) القسم الخامس : أن يقيم للدراسة و هي من جنس ما قبلها : إقامة لحاجة ، لكنها أخطر .

ونقرأ كلام العلامة ابن عثيمين في هذا القسم بأكمله لأهميته للطلبة:

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين –رحمه الله تعالى– :

{القسم الخامس: أن يقيم للدراسة وهي من جنس ما قبلها إقامةٌ لحاجة لكنها أخطر منها وأشد فتكًا بدين المقيم وأخلاقه، فإن الطالب يشعر بدنو مرتبته وعلو مرتبة معلميه، فيحصل من ذلك تعظيمهم والاقتناع بآرائهم وأفكارهم وسلوكهم فيقلدهم إلا من شاء الله عصمته وهم قليل، ثم إن الطالب يشعر بحاجته إلى معلمه فيؤدي ذلك إلى التودد إليه ومداهنته فيما هو عليه من الانحراف والضلال. و الطالب في مقر تعلمه له زملاء يتخذ منهم أصدقاء يحبهم و يتولاهم و يكتسب منهم، و من أجل خطر هذا القسم وجب التحفظ فيه أكثر مما قبله فيشترط فيه بالإضافة إلى الشرطين الأساسيين شروط:}

ما أشار إليه العلامة ابن عثيمين في كلامه السابق مهم من أن الطالب يتأثر بمعلمه ومن ثمة حذَّر العلماء من التلقي على أهل البدع ، و هذا الذي نحن ننصح به إخواننا : ألا يتوسعوا في مسألة الدراسة على أهل الإلحاد أو على أهل الكفر أو على أهل البدع ، فهناك الكثير من الطلبة الذين يريدون دراسة ما يسمى بعلم القراءات أو ببعض علوم القرآن على أناس معروفين بالبدعة أو معروفين بسلوك طريق من طرق أهل الأهواء من تصوف أو من اعتزال أو من أشعرية ..إلى آخره ، فلا ننصح هؤلاء بالاستكثار من هذا إلا بقدر الحاجة و عند –كما قال– أهمية الأمر فقط ، و أن تكون هذه الدراسة محدودة. و لذلك أيضاً هناك بعض المراكز هنا في القاهرة أو في غير القاهرة التي تحرص على تدريس الطلبة الأجانب اللغة العربية فقط ، و هم يعني يُشكرون على هذا على حرصهم على هذا الأمر و على تعليم الأعاجم لغة العرب ، و لكن ثمة سلبيات تلحَقُ ببعض هذه المراكز بسبب عدم كفاية المدرسين الذين هم على السنة أو على المنهج السلفي فيضطر هؤلاء إلى أن يلجؤوا إلى بعض المدرسين الذين هم على عقيدة مخالفة لأهل السنة سواء من أتباع هذه الأحزاب أو من المتعصبين لبعض الدعاة من أهل البدع ، و للأسف هم لا يُدركون خطورة هذا الأمر ، هم يقولون نحن نشترط على المدرس في عقد الإتفاق ألا يتكلم البتة في خارج منهج اللغة و ألا يتعرض لا لعقيدة و لا لمنهج و لكن هم نسوا سلبية أخرى أخطر و التي أشار إليها الشيخ ابن عثيمين في كلامه : أن الطلبة حتى وإن لم يتكلم معهم هذا المدرس في معتقده و في منهجه فإن الطلبة يتعلقون به ويُعظّمونه و ترتبط به قلوبهم فإذا عقد هذا المدرس علاقة مع بعض الطلبة خارج هذا المركز و أخذ يبث دعوته إليهم خِفْية فإنهم سرعان ما يتقبلون هذه الدعوة وينحرفون عن منهج السلف ، و لذلك لا ينبغي أن نتهاون في هذا الأمر ، وأن يسارع هؤلاء من

أصحاب هذه المراكز إلى تطهير مراكزهم من المدرسين الذين هم على حزبية أو على بدعة. و للأسف فإن هذا الأمر قد فشا و طم ليس في هذه المراكز فقط بل للأسف حتى في بعض الجامعات التي هي أُسست في أول أمرها على التوحيد و السنة في المملكة للأسف ، إن بعض هذه الجامعات الآن قد غزاها بعض هؤلاء و صارت لهم الهيمنة و السيطرة أو صار لهم مكانة هناك للأسف عند الطلبة وعند غيرهم ، حتى تمكنوا من بث السموم في نفوس الطلبة وربَّوْا جيلاً على خلاف ما قامت عليه هذه البلاد من المنهج السلفي الصحيح. فالواجب أن ننتبه لخطورة هذا الأمر .

{الشرط الأول: أن يكون الطالب على مستوى كبير من النضوج العقلي الذي يميز به بين النافع و الضار وينظر به إلى المستقبل البعيد فأما بعث الأحداث "الصغار السن" وذوي العقول الصغيرة فهو خطر عظيم على دينهم، وخلقهم، وسلوكهم، ثم هو خطر على أمتهم التي سيرجعون إليها وينفثون فيها من السموم التي نهلوها من أولئك الكفار كما شهد ويشهد به الواقع، فإن كثيرًا من أولئك المبعوثين رجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا منحرفين في ديانتهم، وأخلاقهم، وسلوكهم، وحصل عليهم وعلى مجتمعهم من الضرر في هذه الأمور ما هو معلوم مشاهد، وما مثل بعث هؤلاء إلا كمثل تقديم النعاج للكلاب الضارية.}

صدق الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالى- ، فالأمر ليس بالهين ، ما يُنصح أبداً طلبة المسلمين أن يسافروا إلى هذه البلاد بحجة تحصيل الشهادات العلمية في الطب أو في الهندسة أو في غيرهما إلا بالفعل إذا كان هذا الطالب على عقيدة راسخة قوية و على دراية بمداخل و مخارج هؤلاء أو بشبهات هؤلاء حتى لا يقع في هوة هذه الشبهات ، و كذلك على أن يكون مُحْصناً بزواج و أن يستصحب هذه الزوجة معه لأنه في الغالب لا يأمن على نفسه من فتنة هذه الشهوات لشدة هذه الفتنة في هذه البلاد و عِظم خطرها ولا يدَّعي أبدا أحدٌ لنفسه العصمة أو قوة الديانة مهما كان ، لأن الأمر ليس بمقدوره و لكن الأمر بتثبيت الله و النفوس ضعيفة خاصة في هذا الزمن إلا من رحم الله. فعلى الطلبة أن ينتبهوا لهذا الأمر و ألا يغتروا بزُخرف هذه البلاد.

{الشرط الثاني: أن يكون عند الطالب من علم الشريعة ما يتمكن به من التمييز بين الحق والباطل، ومقارعة الباطل بالحق لئلا ينخدع بما هم عليه من الباطل فيظنه حقًا أو يلتبس عليه أو يعجز عن دفعه فيبقى حيران أو يتبع الباطل.

وفي الدعاء المأثور (اللهم أرني الحق حقًا وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلًا وارزقني اجتنابه، ولا تجعله ملتبسًا علي فأضل).

الشرط الثالث: أن يكون عند الطالب دين يحميه ويتحصن به من الكفر والفسوق، فضعيف الدين لا يسلم مع الإقامة هناك إلا أن يشاء الله وذلك لقوة المهاجم وضعف المقاوم. فأسباب الكفر والفسوق هناك قوية وكثيرة متنوعة فإذا صادفت محلًا ضعيف المقاومة عملت عملها.

الشرط الرابع: أن تدعو الحاجة إلى العلم الذي أقام من أجله بأن يكون في تعلمه مصلحة للمسلمين ولا يوجد له نظير في المدارس في بلادهم، فإن كان من فضول العلم الذي لا مصلحة فيه للمسلمين أو كان في البلاد الإسلامية من المدارس نظيره لم يجز أن يقيم في بلاد الكفر من أجله لما في الإقامة من الخطر على الدين والأخلاق، وإضاعة الأموال الكثيرة بدون فائدة.

القسم السادس: أن يقيم للسكن وهذا أخطر مما قبله وأعظم (يعني أخطر من الذي يقيم للدارسة يعني هو يقيم لأن هناك سكن يستوطن هذه البلاد فهو أخطر بلا شك وهذا الذي عليه المُعوِّل) لما يترتب عليه من المفاسد بالاختلاط التام بأهل الكفر وشعوره بأنه مواطن ملتزم بما تقتضيه الوطنية من مودة، وموالاة، وتكثير لسواد الكفار، ويتربى أهله بين أهل الكفر فيأخذون من أخلاقهم وعاداتهم، وربما قلدوهم في العقيدة والتعبد ولذلك جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم (من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله). وهذا الحديث وإن كان ضعيف السند لكن له وجهة من النظر فإن المساكنة تدعو إلى المشاكلة، وعن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا يا رسول الله و لم؟ قال لا تراءى نارهما) رواه أبو داود والترمذي وأكثر الرواة رووه مرسلًا عن قيس بن أبي حازم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

الترمذي سمعت محمدًا ــ يعني البخاري ــ يقول الصحيح حديث قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل. ا.هــ. (يعني البخاري قد رجَّح الإرسال في هذا الحديث و أنه أرسله قيس ابن أبي حازم وهو من كبار التابعين و لكن الحديث له شواهد يُحَسَّن بها كما بين هذا العلامة الألباني -رحمه الله تعالى-) وكيف تطيب نفس مؤمن أن يسكن في بلاد كفار تعلن فيها شعائر الكفر ويكون الحكم فيها لغير الله ورسوله وهو يشاهد ذلك بعينه ويسمعه بأذنيه ويرضى به، بل ينتسب إلى تلك البلاد ويسكن فيها بأهله وأولاده ويطمئن إليها كما يطمئن إلى بلاد المسلمين مع ما في ذلك من الخطر العظيم عليه وعلى أهله وأولاده في دينهم وأخلاقهم.

هذا ما توصلنا إليه في حكم الإقامة في بلاد الكفر نسأل الله أن يكون موافقًا للحق والصواب.}

آمين ، جزى الله خيراً الشيخ بن عثيمين و رحمه رحمة واسعة على ما بيَّن و على ما أفاد ، وكان إماماً - رحمه الله تعالى- كان إماماً في هذا العلم ، فهذا التفصيل الماتع من الشيخ -رحمه الله- لا يجعل لنا مجالاً للكلام بعده.

و لكن ثمو صورة أخرى ، هي قد تكون نادرة ، ولكنها قد تحدث أشار إليها العلامة محمد أمان الجامي -رحمه الله- في شرحه على الأصول الثلاثة ، من أنهم أحيانا قد يحدُث قدراً أن هناك من المسلمين من يتركون بلاد الإسلام و يستوطنون بعض المناطق من بلاد الكفر ، و بغض النظر إن كانوا فعلوا هذا عن جهل أو عن هوى ، الشاهد أن هذا حدث ، حتى تحولت بعض المناطق أو بعض القطاعات في بعض هذه البلاد إلى أنها كأنها صارت بلاد إسلام ، يعني هناك بعض المدن -على ما حكى الشيخ محمد أمان- في فرنسا قد امتلأت بالمساجد و بمدارس المسلمين و بإظهار الشعائر كما تُظهر و تُعلن في بلاد الإسلام ، فكأن هذه المدن في داخل بلاد الكفر صارت تأخُذُ حكم بلاد الإسلام ، وكما قال الشيخ هنا : وأما هجرة أفراد إلى أوروبا أو إلى أمريكا فيعيش أحدهم وحيداً في وسط الكفار لا يستطيع إظهار دينه ، و ربما يُكلَّفُ بعمل في مصنع في شركة يُجبره صاحب العمل الكافر على ترك الجمعة بل و على ترك الصلوات فلا يستطيع أن يصلي إلا أن يجمع كل صلاتين أو يجمع الثلاث صلوات النهارية في وقت واحد فمثل هذا بلا شك هذا يجب عليه أن يتوب إلى الله من البقاء في هذه البلاد و أن يعود مباشرة إلى

بلد الإسلام ، و كما قال الشيخ محمد أمان الجامي : **و مثل هذه الحياة حرام** ، حرام أن يعيش مسلم في هذه الحياة في بلاد الكفر ، و عليه أن يعود إلى أأمن بلد من بلاد الإسلام فإن لم يستطع إلا أن يعود إلى بلد قد يؤذى فيها بعض الإيذاء فليصبر وليحتسب و ليعلم بأن الله -عز وجل - لن يُضَيِّعه ، يعني إلا إذا كان الأمر فوق طاقته فهنا تُعمل قاعدة المصالح والمفاسد على حسب حال كل شخص ، و على حسب قدرته و تحمله ، وعلى حسب حال بلاد الإسلام هذه و حال بلد الكفر التي يدَّعي أنه لا يستطيع أ ن يتركها .

والدليلُ على الهجرةِ من السُّنَّةِ قولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَنْقَطِعُ الهجرَةُ حتَّى تَنْقَطعَ التَّوبةُ ولا تنقطعُ التّوبةُ حتّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(43) .

هذا حديث حسنه العلامة الألباني -رحمه الله تعالى— كما في إرواء الغليل و في صحيح سنن أبي داود ، وهو دليل واضح و صريح على وجوب الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام إلى أن تقوم الساعة ، إلى أن تنقطع التوبة ، و التوبة لا تنقطع أو لا تُغلق أبواب التوبة حين تطلع الشمس من مغربها و بعدها تقوم الساعة.

فلمَّا استقرَّ بالمدينةِ أُمِرَ ببقيَّةِ شرائعِ الإسلامِ مثلُ الزكاةِ، والصّومِ، والحجِّ، والأذانِ، والجهادِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ وغيرِ ذلكَ مِنْ شرائعِ الإسلامِ.

فقول المصنف هنا: **فلمَّا استقرَّ بالمدينةِ أُمِرَ ببقيَّةِ شرائعِ الإسلامِ** يعني أنّ النبي صلى الله عليه و آله وسلم ضل في مكة ثلاثة عشر عاما يدعُو إلى التوحيد وإلى ترسيخ مسائل العقيدة وفي هذه الفترة لم تكن نَزَلَت عليه أغلبُ الشرائع إنما نزل عليه النذر اليسير منها نحو الصلاة، وأيضا أحكام الصلاة لم تكن اكتملت كلُّها وأمّا ما يتعلق بتفاصيل الشرائع بعد الصلاة بدْءا من الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم باقي المحرَّمات أو باقي الأوامر والنواهي فكلها نزَلَت بالتتابع في المدينة،

(43) **سنن أبي داوود**: كتاب الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت، حديث رقم (2479). قال الشيخ الألباني: صحيح.

وقال الإمام بن باز –رحمه الله تعالى– تعليقا على قول المصنّف: ((فلمّا أُمِروا بهذه الأمور لأنهم يتمكنون حينئذٍ بالأمر بالمعروف والنهي على المنكر (أو لهذا أُمِروا بهذه الأمور لأنهم يتمكنون حينئذ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وهذا من رحمة الله عز وجل أن أَجَّلَ هذه الواجبات إلى أن هاجر إلى المدينة وكان أصل الزكاة مشروعًا في مكة كما قال تعالى في سورة الأنعام وهي مكية ﴿وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام : 141] ولكن أنصِباؤُها و مصارفُها وتفاصيل أحكامها كل هذا صار في المدينة وهكذا صيام رمضان شُرِع في السنة الثانية من الهجرة وهكذا الحج شُرِعَ في السنة التاسعة أو العاشرة من الهجرة، والذي يترجَّحُ أنها العاشرة كما رجَّح هذا العلامة بن عثيمين–رحمه الله– التي كانت حَجَّةَ الوداع و أنزل الله فيه ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران : 97] في سورة آل عمران وهي مدنية وهكذا الجهاد أُمِر به في المدينة وكان في أول الأمر يجاهد من جاهده ويكُفُّ عمَّنْ كفَّ عنه ثمّ أُمِرَ بأن يبدأهم بالقتال وأن يجاهد الكفر وإن لم يبدؤوا فيدعوهم إلى الله يرشدهم إليه فإن أجابوا وإلا قاتلهم حتى يستجيبوا للحق إلا أهلَ الكتاب فإنه يقبل منهم الجِزية.

ومراحل القتال أو مراحل الدعوة قبل القتال هي التي ذُكِرَت في حديث بُرَيْدة عند الإمام مسلم –رحمه الله تعالى– وأنه يبدأ أولا بدعوة المشركين إلى الدخول في الإسلام هذا هو الإختيار الأول فإن أجابوا للإسلام أمرهم أن يهاجروا إلى دار الهجرة فإن أَبَوْا الهجرة وأرادوا البقاء في أرضهم فإنهم يُعاملون معاملة الأعراب وليس لهم في الفَيْء شيء، والخَيَار الثاني أن يبقُوا على دينهم وأن يعطُوا الجزية و هنا لم يفرّق بين أهل الكتاب وبين غيرهم من المشركين وهذا من الأدلة التي استدلوا بها على أن الجزية تُضرب على كل المشركين ليست خاصة بأهل الكتاب فقط وهذا مما انتصر له العلامة ابن عثيمين –رحمه الله تعالى– أنّ الجزية تُؤخَذ من كلّ المشركين إن هم أبَوْا أن يَدخُلوا في الإسلام على أن يُؤَمَّنُوا على دمائِهم وأموالِهم ولكنهم حَتَّى ﴿يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة : 29] فإنْ أَبَوْا أن يدفعوا الجزية فليستعن بالله وليقاتلْهم.

ومسالة أخذ الجزية من غير أهل الكتاب فيها خلاف مشهور بين أهل العلم و ذهب الجمهور إلى أن الجزية تُؤخَذ من اليهود والنصارى فقط وهنالك من ألحق بهم المجوس و لذلك قال الإمام بن باز هنا: ((وسنّ اللهُ في المجوس سنّةَ أهل الكتاب إمّا إسلام وإمّا جزية وأما بقية الكفرة إمّا الإسلام وإمّا السيف مع القدرة))، وانتبهوا إلى دقّة الإمام ابن باز حيث قال وإمّا السيّف وقيّد هذا مع القدرة بخلاف بعض

هؤلاء المتهورين الذين إذا تعرضوا لمثل هذه المسائل حتى إن تكلموا بلسان أهل العلم إلاّ أنهم يغفلون في الغالب عن مثل هذه القيود و لا يهتمون بذكرها فالإمام ابن باز –رحمه الله تعالى– بلا شك ليس كهؤلاء فلذلك كانت كلماته وجيزة ولكنها دقيقة منضبطة بضوابط السلف : ((وإمّا السيف مع القدرة)) ليس السيفُ مطلقا هكذا.

فالذين يطالبون بقتال الكافرين الآن بدون قدرة فإنهم يطلُبُون ما لم يكلّف الله به وإن كنا مطالَبين باتخاذ أسباب القدرة و بلا شكّ من قصّر في اتخاذ هذه الأسباب فهو مسؤول بين يدي الله عز وجل.

أخذَ على هٰذا عَشَرَ سنينَ، وبعدَها تُوُفِّيَ –صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ– ودينُهُ باق.

وهٰذا دينُه، لا خيرَ إلاَّ دَلَّ الأمَّةَ عليهِ، ولا شَرَّ إلاَّ حَذَّرَهَا منْه والخيْرُ الذي دلَّهَا عليْه: التَّوحيدُ، وجميعُ ما يُحِبُّهُ اللهُ ويرضاهُ.

والشَّرُّ الذي حَذَّرَهَا منه: الشِّرْكُ وجميعُ ما يكرَهُهُ اللهُ ويأباهُ.

"**أخذَ على هٰذا عَشَرَ سنينَ**": يقصد في المدينة يعني ضلّ طوال مُكثه في المدينة تنزل الشرائع عليه وهو يبلّغ هذه الشرائع، وقد لخّص عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– مدّة البعثة للنبي صلى الله عليه وسلم في ما أخرجه البخاري ومسلم حيث قال: بُعِث النبي –صلى الله عليه وسلم– على رأس الأربعين (أي لما بلغ أربعين سنة) فضلَّ في مكة عشر سنين

يدعو إلى التوحيد ثم هاجر ومكث ثلاثة عشر سنة بدار الهجرة –أي بالمدينة– ومات وعمره ثلاثا وستين سنة، ولما مات لم يضمحل الدين بل ضل الدين باق بعد موته ولذلك لما جزِع المسلمون عند موته وكان ممن جزع عمر –رضي الله عنه–

ثبت أبو بكر وقال: ((من كان يعبد محمدا فإنّ محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)) و هذه من المناقب التي فُضِّل بها أبو بكر على عمر ولذلك كان –رضي الله عنه– أحق بالخلافة بعد موت النبي –صلى الله عليه وسلم–

وكما قال سبحانه : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران : 144] حيث إن البعض ممن قد دخل في الإسلام قد ارتدوا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لأن

الرسول قد مات، فسبحان الله كأن هذه السنة الربانية تتحقق مع ورثة الرسول صلى الله عليه و آله وسلم حيث إن العالم الرباني الذي من الورثة من ميراث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا مات تجد بعض أصحابه وتلامذته ممن كانوا على المنهج الحق الذي عليه العالم الرباني هذا إذ هم ينقلبون على أعقابهم بعد موت شيخهم الرباني ويغيرون ويبدلون وهذا الأمر ليس مضطردا ولكن نقول البعض يعني وفي الغالب يكون هؤلاء ليسوا من الصفوة التي استفادت بحق من هذا العالم الرباني كنحو هؤلاء الذين ارتدوا مِمَّن لم يثبُتْ أو يرسخ الاسلام في قلوبهم، وأما الصفوة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين رسخ الاسلام في قلوبهم هم الذين ثبتوا و لم يهتزوا بموت النبي صلى الله عليه و على آله وسلم.

وفي قوله **لا خيرَ إلاَّ دَلَّ الأمَّةَ عليهِ، ولا شَرَّ إلاَّ حَذَّرَهَا منْه** ، وهذا ثبت في بعض النصوص هذا المعنى نحو قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((**مَا تَرَكْتُ عَمَلًا يُقَرِّبُكُمْ إِلَى الجَنَّة إِلَّا وَ أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ وَ مَا تَرَكْتُ عَمَلًا يُبَاعِدُكُمْ عَنْهَا إِلَّا وَ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ**)) ولذلك استشهد الرسول صلى الله عليه وسلم وطلب الشهادة ممن حضره يوم عرفة في حَجة الوداع لما وقف في هذا الموقف العظيم وخطب الناس بخطبة جامعة جمع فيها الأوامر التي فيها الخير للأمة ونهى فيها عن الأمور التي فيها الشر ثم قال: ((**ماذا أنتم قائلون؟**)) (أي عمّا بلّغت) قالوا: " نشهد أنّك بلّغتَ ونصحتَ " ثم رفع أُصبُعَه

يَنْكُتُ بها ويرفعها إلى السماء وينكتها إليهم ويقول: ((**اللهم فاشهد اللهم فاشهد**)) فكان صلى الله عليه وعلى آله وسلم حريصا على البلاغ على أن يُبَلغ الوحي الذي أُنزل أو ما زال يترل عليه إلى هذا الوقت دون نقص ودون تغيير ودون تبديل، وقيام النبي صلى الله عليه وسلم بتمام البلاغ هذا يُعَدّ دليلا على أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد أحسن تحمّل الأمانة و أراد أن يُشهد الله على أنه أدّى هذه الأمانة التي حُمِّلَ بها فكانت مقولته هذه التي قالها في آخر ما خَطَب به المسلمين.

وكما قال العلامة زيد بن هادي المدخلي –حفظه الله– في شرحه: ((وبيّن لهم –أي في هذه الخطبة الخطبة الجامعة التي في يوم عرفة– بأن الربا كله موضوع وأشهدَ الله على الجميع بأنه بلغهم الرسالة و وأوضح لهم معالم الحق وأنه لم يبق شيء يحتاجون إليه إلا بينه لهم ولذلك نزلت هذه الآيات –التي سوف يذكرها المصنف بعد ذلك– في هذا اليوم يوم عرفة)).

بعثَهُ اللهُ إلى الناسِ كافَّة، وافترضَ طاعَتَه على جميعِ الثّقلين: الجنِّ والإنسِ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:158].
وكمَّلَ اللهُ به الدينَ والدليلُ قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة:03].

نزلت هذه الآيات ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِينًا﴾ كما أخرج البخاري ومسلم من حديث عمر –رضي الله عنه– أن اليهود قالوا لعمر: لقد أُنزلَت عليكم آيات لو نزلت علينا معشرَ يهود لاتخذنا هذا اليوم عيدا فقال عمر : ((إني لَأَعلمُ متى نزلت وفي أي ساعة نزلت وأين رسول الله حين نزلت)) ثم قال ((نزلت في يوم عرفة في يوم الجمعة))، وفي رواية قال ((نزلت ليلة جمع)) أي ليلة المزدلفة التي هي ليلة عرفة، وكان اليوم عيدا بالفعل، كان هذا اليوم يعدّ من الأعياد لأن يوم عرفة يدخل في جملة العيد، كذلك الجمعة يعد عيدا أسبوعيا للمسلمين، واختُلف هل هذه الآية هي آخر ما نزل من القرآن أم أنه قد نزل بعدها شيء فهناك من أهل العلم من قال –و هذا الذي عليه جمهور المفسرين– أن آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ فهذه الآية –وهي التي وُضِعَت في المصحف قبل آية الدَّين و بعد آية الربا يعني وُضِعت ما بين آية الربا وآية الدَّين– ذهب جمهور أهل العلم إلى أنها آخر ما نزل من القرآن، وهناك من أهل العلم –كما قال الشيخ زيد المدخلي هنا– من قال أن ((آية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هي آخر ما نزل من الأحكام –أو بها خُتمت الأحكام والشرائع– و آية ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ﴾ هي آخر ما نزل مطلقا من القرآن)) .

والدليلُ على موتِهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (30) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[الزمر:30-31] والناسُ إذَا ماتُوا يُبْعَثُونَ.

هذه الآية التي استدل بها المصنف هي دليل واضح على موت النبي صلى الله عليه وسلم، أنه مات، والأدلة بلا شك على موته متواترة حيث إن بعض الجهال والمخرفين من الصوفية يعتقدون أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت وكأنه رُفع مثل عيسى عليه السلام أو أنه حي في مكان آخر ولذلك يعتقد بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد يلتقي بأوليائهم أو بشيوخهم في اليقظة! ويستدلون بأدلة لا تدُلُّ على ما جاؤوا به البتّة! نحو حديث أوس بن أوس الذي أخرجه أصحاب السنن الأربعة وأحمد في مسنده بسند صحيح أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ((أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ يَوْمَ الجُمُعَةِ فَإِنَّهُ خُلِقَ فِيهِ آدَمَ وَ فِيهِ أُخْرِجَ وَ فِيهِ النَّفْخَةُ)) قالوا : ((كيف نصلي عليك يا رسول الله وقد أَرِمْتَ؟!)) يعني أَكَلَت الأرض جسدك يعني كيف تبلغك صلاتنا، فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ)). وأيضا بنحو حديث : ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي فَأَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ))، وهذا حجة عليهم بلا شك لأنه فيه قال "إلا ردّ الله علي روحي" معناه أن روحه الشريفة صلى الله عليه و سلم قد قُبضت ومن ثَمَّ فهي تُرَد عليه في قبره كي يسلم على من يسلم عليه، وبلا شك نحن نعتقد أن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد فارق هذه الدنيا بجسده وبروحه ولكنه انتقل إلى حياة برزخية في قبره، هي حياةٌ نَعَمْ ولكنها ليست كالحياة الدنيا، وأما الموت الذي عند أهل الدنيا فقد ذاقه الرسول مات كما يموت البشر فارقت روحه جسده ولكنه انتقل بعد هذا الموت الدنيوي إلى حياة برزخية في القبر ولكنها ليست كالحياة الدنيا، وهذه الحياة حياة غيبية لا نعلم كنهها ولكنه ليس متصلا بالدنيا يعني لا يعرف شيئا عن أحوال أهل الدنيا إلا بإعلام الله له، ولو كان الصحابة يعتقدون حياته في القبر كحياته في الدنيا لما دفنوه صلى الله عليه وسلم!! لو كان هناك حياة لم يدفنوه صلى الله عليه و سلم!! وأن يضعوه في القبر وأن يهيلوا عليه التراب! كيف يفعلون هذا وهو حي كحياة الدنيا؟! بل كان عليهم ايش؟ أن يَضَلُّوا على صلة به يسألونه ويستفتونه... يعني إلى آخره و هذا بلا شك ما لم يحدث وما لا يختلف فيه اثنان من العقلاء فضلا عن المسلمين. فتَبَين لنا بهذا أن هؤلاء من الدجاجلة الذين يدَّعون حياة النبي صلى الله عليه وسلم حياةً حقيقيةً كالحياة الدنيا،

وأيضا يحتجون بالحديث الذي أخرجه البيهقي في كتابه وفي جزء سماه بـــ **"حياة الأنبياء في قبورهم"**، وأيضا أخرجه في سننه الكبرى وهو حديث صحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: ((**الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ**)) وهو جاء في حديث أنس -رضي الله عنه-، وقد يكون أصل هذا الحديث ما أخرجه أيضا البخاري من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قد مر ليلة أُسري به على موسى عليه السلام يصلي في قبره، الشاهد أنه أَخبر أن الأنبياء أحياء يصلون في قبورهم ولكنه بلا شك ما قصد أنهم أحياء كالحياة الدنيا إنما أحياء حياة البرزخ، فالبرزخ هذه فترة انتقال بين الدنيا وبين الآخرة يعني بين الدنيا وبين المستقر في الجنة أو النار ولكنْ هذه الفترة يكون العبد فيها حتى وإن كان كافرا فيه شعورٌ يَشعُرُ ويحس بالعذاب إذا كان مُعَذّبا، وإن كان مؤمنا خُتم له بالخير يشعر بالنعيم فهو في حياة، فليس هذا خاصا بالرسل والأنبياء فقط ولكن هذه الحياة ليست كالحياة الدنيا والروح تفارق الجسد ويلتقيان أحيانا، فالجسد في القبر وأما الروح فهي التي تصعد إلى ربها إن كانت روحا مؤمنة و كما ثبت في الحديث، حديث كعب بن مالك الذي أخرجه مالك في الموطأ أنه صلى الله عليه و على آله وسلم قال: ((**نِسْمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ يَعْلَقُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّة**)) يعني يأكل أو يطعم من ثمار الجنة، وأيضا في الحديث الآخر الذي أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود في بيان **منازل الشهداء** في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران : 169] قال **إِنَّمَا سَأَلْنَا عنها الرسولَ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال:** ((**أَرْوَاحُهُمْ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ مُعَلَّقَةٍ بِالعَرْشِ لَهَا قَنَادِيل تَحْتَ العَرْشِ فَتَأْوِي إِلَى تِلْكَ القَنَادِيل** ...)) إلى آخر الحديث. فهذا يدل على أن الشهداء أحياء بنص الكتاب ولكنه لم يقل معنى هذه الحياة حيث قال: إن أرواح الشهداء هي في حواصل طير خضر أو قال جوف طير خضر تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل المعلقة في العرش، فهذه حياة برزخية للرسل وللأنبياء وللشهداء وللصالحين وأما أهل النفاق والكفر فإنهم في الأرض في الأرض السفلى يُعَذّبون ويَحْيَوْن حياة يعني ما لها من وصف يسمع عذابهم البهائم أو كل الخلائق إلا الثقلين: الجن والإنس.

السائل: ...

الشيخ: نعم حديث ابن مسعود الذي أخرجه مسلم هذا خُصَّ الشهداء وهي مرتبة أعلى من مرتبة بقية المؤمنين، وأما حديث كعب بن مالك الذي أخرجه مالك في الموطأ فهذا لبقية المؤمنين من الصالحين الذين ماتوا على الإيمان وثمة فرق بينهما كما بين هذا الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه "**الروح**" في رده على ابن عبد البر حيث إن ابن عبد البر قد اعتبر حديث كعب بن مالك مقيدا بحديث ابن مسعود أي أنه يُقيَّد بالشهداء فقط فرد عليه ابن القيم وقال له: ((**فأين يذهب الصديقون الذين هم أعلى درجة من الشهداء، أين تكون أرواحهم؟ إن لم تكن في الجنة في درجة أعلى من درجة الشهداء، الصديقون**)) فدل هذا على أن هذا حديث كعب بن مالك حديث عام يدخل فيه كل المؤمنين من الصديقين وممن هم دون الصديقين ولكن الصديقين في مرتبة أعلى من الشهداء ثم درجة الشهداء ثم بقية الدرجات للمؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله وماتوا على هذا الإيمان.

والناسُ إذَا ماتُوا يُبْعَثُونَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه:55]، وقولُهُ تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنْ الأَرْضِ نَبَاتًا(17)ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح:17-18].

هنا تعرض المصنف إلى عقيدة البعث والجزاء وهي الثابتة في الركن الخامس من أركان الإيمان: الإيمان باليوم الآخر ويدخُلُ في هذا الإيمان بالسؤال في القبر بسؤال الملكين ثم بما يحدث في القبر من عذاب ونعيم ثم ببعث الأجساد من القبور وعودة الأرواح إلى الأجساد مرة أخرى عند النفخ في الصور، وهذا معنى قوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه : 55] ولذلك ثبت في حديث البراء بن عازب و هو الحديث الطويل الذي أخرج أحمد في مسنده في بيان السؤال و العذاب في القبر وكذلك النعيم أنه لما تصعد الروح الطيبة إلى الله عز وجل ثم يُقال لهذه الروح أو لهذا العبد: ((**صدق عبدي فأعيدوه –أي إلى الأرض– و يقول سبحانه: " منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى**)) فتُعاد روحه إلى جسده في القبر ويأتيه الملكان يسألانه.

و في قوله ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: 17] آية من آيات الله لأن منشأ الإنسان من طين الأرض، من الطين ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ [الأنعام : 2] فشبّه الله عز وجل خلق بني آدم

بالنبات الذي ينبت من الأرض و هذا نحو قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج : 5] وكذلك بنوا آدم، فالمرأة قد لا تلد، تكون عقيما ثم يُقَدِّرُ الله عز وجل لها بقدرته أنه إذا نزل في رحمها ماء الرجل أنبت الله من هذا الماء هذا الجنين في بطن هذه المرأة، وكذلك الأرض تكون جدباء ثم يحييها الله عز وجل بغير أن تكون هناك أسباب أحيانا ظاهرة لهذا الإحياء، وكذلك المرأة تيأس أحيانا من أن تلد ثم تأتي قدرة الله أو يأت قدر الله من حيث لا تشعر و لا تحتسب فيُنبِتُ الله عز وجل منها ولدا أو يُخرِجَ الله منها ولدا كالنبات الذي يخرُج من الأرض بعد أن كانت جدباء ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنْ الأَرْضِ نَبَاتًا(17)ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ هذه سنة الله أن نعود في الأرض أن نعود إلى منشأ الخِلقة فتتحول الأجساد مرة أخرى إلى أصل المادة التي خُلقت منها، إلى التراب إلى الطين، وهذا من آيات الله التي بها يثبت العجز لبني آدم وأنه (أصل الخلقة بذور)(1) فلمذا يستعلون ويستكبرون؟! وكان منشأهم من التراب ثم عودهم إلى التراب ؛ وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم فالحساب يوم القيامة حين توضع الموازين ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء : 47] ويقف كل عبد بين يدي الله يكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان ((وَ مَنْ يُنَاقَشِ الحِسَابَ عُذِّبَ)) وإنما المؤمن لا يناقَش الحساب وإنما يكون سؤال الله عز و جل له ليس عن توبيخ وليس عن تقريع أوعن

مناقشة وإنما كان عبارة عن عرض تُعرَض عليه ويُذَكِّره الله عز وجل بنعمته عليه وَ يُذَكِّرُه بما اقترفه من ذنوب وأنه قد وفَّقه إلى التوبة منها ، فعلينا أن نُعِدَّ لهذا اليوم جوابا.

ومَنْ كَذَّبَ بالبعثِ كَفرَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:07].

لا خلاف بين أهل العلم أن منكِرَ البعث والجزاء و القيامة كافر و أما الذي يشكك في جزئية من جزئيات الحساب نحو الذي يشكك في الميزان ، يشكك في عذاب القبر ، يشكك في الصراط مع إقراره إقرارا إجماليا باليوم الآخر وبحدوث الحساب والعذاب فهذا و إن لم يكفر ولكنه واقع في بدعة كبرى

وهذا حال المعتزلة أو بعض المعتزلة الذين يتأولون أو يُنكرون بعض النصوص في الإخبار عن بعض تفاصيل الآخرة.

وأما الدهريون الذين يقولون: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية : 24] ، فهؤلاء بلا شك ليسوا مسلمين: من الفلاسفة و من الملحدين الذين يقولون: "إن هي أرحام تدفع وأرض تبلع" فقط ، يعني كما يقول بعض المسلمين جهلا: "انتقل إلى مثواه الأخير" ، يعتبرون أن دفنه في باطن الأرض هذا هو المثوى الأخير ليس هناك شيء بعد ذلك، وطبعا المسلمون يقولون هذا جهلا وهي عبارة خاطئة بُنِيَت على عقيدة الفلاسفة الدهريين فليس الدفن في الأرض المثوى الأخير بل هذا القبر هو أول مترل من منازل الآخرة كما قال عثمان –رضي الله عنه– فكان يبكي عند ذكر القبر ما لا يبكي عند ذكر بقية أمور الآخرة فلما يُسأَل كان يقول: ((لأن القبر أول مترل من منازل الآخرة))، فليس المثوى الأخير بل هو أول درجة في الحياة الأخرى.

(1) كلمة غير واضحة

ومن الأدلة أيضا على كفر من أنكر البعث كما في قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام : 29] هذا قول المشركين ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام : 30] إذ كنتم أنتم تنكرونه في الدنيا تقولون لا بعث! كما قال البعثيون المنكرون بالبعث –وسبحان الله يعني سموا أنفسهم بما أنكروه ، هم قصدوا بالبعث أي أنهم يَبْعَثُون العرب ممن قبلهم وفي الوقت نفسه ينكرون البعث يوم القيامة (كلمات غير مفهومة) هذا الحزبي البعثي يقولون:

فسلام على كفر يوحد بيننا   وأهلا وسهلا بعده بجهنم

قمة الاستهزاء والكفر ، يعني لا بأس أن نَكْفُر إذا اتحدنا على هذا الكفر ويقولون مستهزئين أنهم ينكرون البعث أصلا وينكرون العذاب، وأهلا وسهلا بجهنم يعني حتى لو في جهنم ...، هم يعتقدون أنه ليس هناك جهنم أصلا هم يعتقدون أنه ليس هناك بعث.

هذه كان عقيدة هذا الحزب ومن ثمة أطلق كبار أهل العلم الكفر على هذا الحزب من هذا الباب وعلى من يعتقد عقيدة هذا الحزب، و لم يكن تكفير العلماء لهم لأنهم يحكمون بالقوانين الوضعية فقط،لا، كما

يدندن القطبيون يقولون إن علماءكم كفروا حزب البعث لأنه يحكم بالقوانين الوضعية ، لا، لم يكن من هذا الباب و إنما كفروهم لإنكارهم البعث ، لإنكارهم الحساب والعذاب يوم القيامة ليس لمجرد التحاكم إلى القوانين الوضعية.

و كما قال سبحانه: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ {10} الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ {11}﴾ [المطففين : 10-11] ، يومُ الدين أي يوم الحساب و الجزاء.

والبعث بلا شك يوم القيامة ثابت بالكتاب والسنة و بإجماع أهل العلم وهو من المتواتر ، و أيضا ثابت بالحس يعني ثابت بالعقل فإنّ العقل لا ينكر ولا ... هذا لي على العكس العقل السليم يتوافق مع الشرع في إثبات البعث ولا يجادل فيه عاقل.

وأرسلَ اللهُ جميعَ الرُّسلِ مبشِّرينَ ومُنذرينَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:165]، وأولُهُمْ نوحٌ عليهِ السلامُ، وآخِرُهُم محمدٌ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو خاتمُ النَّبيينَ والدليلُ على أنَّ أوَّلُهُم نوح قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء:163]

"**وأرسلَ اللهُ جميعَ الرُّسلِ مبشِّرينَ ومُنذرينَ**": هذه مهمة الرسل: البِشارة والنَّذارة مع تبليغ الشرائع ، البِشارة لمن أطاع بالجنة والنذارة لمن عصى بالنار ، وبهذه البشارة والنذارة ترقطع الحجة ، تنقطع حجة المرسل إليهم فلا يقولون: لم ينذرنا أحد إذا إذا نحن خالفنا وعصينا أنه سوف يكون مآلنا إلى النار ، لا، بل أنذرناكم ، ولذلك يتحسرون يوم القيامة ، يتحسرون على أنهم لم يطيعوا الرسل وأنهم لم يوفَّقوا إلى التزام شرائع الرسل و بلا شك أعظم حجة بلَّغها كل الرسل والأنبياء: **التوحيد والإخبار عن صفات الله و أنه و المستحق للعبادة وأنه سبحانه ليس كمثله شيء** فليس كهذه الآلهة الباطلة التي أنتم تعبدونها و هذه أعظم حجة أقامها الرسل على من أُرسِلوا إليهم، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [النحل : 36] اجتنبوا كل ما يُعبَد من دون الله.

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالى ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: 165]، وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وهو خاتم النبيين والدليل على أن أولهم نوح قوله تعالى ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء :163].

تكلمنا في أخر الدرس السابق على قول المصنف وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين وتوقفنا عند قوله وأولهم نوح عليه السلام؛ فنوح عليه السلام على ظاهر من أقوال أهل العلم وعلى الظاهر من النصوص هو أول رسول إلى أهل الأرض؛ والدليل على هذا ما ذكره المصنف في هذه الآية ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ فبدأ بنوح –عليه السلام–، أما الدليل من السنة هو حديث الشفاعة الذي أخرجه البخاري من حديث –أنس رضي الله– عنه أنه قال أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال ((يجتمع المؤمنون يوم القيام فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون أدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا عند ربك ألا ترى ما نحن فيه فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول أدم لستُ هناك "يعني لست أهلا لذلك"ويذكروا ذنبه اذهبوا إلى نوح فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض هذا قول أدام فيما حكه الرسول صلى الله عليه وسلم اذهبوا إلى نوح فإنه أولُ رسول أرسله الله إلى أهل الأرض، فهذا صريح في أولية نوح في الرسل؛ ولكن هل يعني هذا أن أدم عليه السلام لم يكن رسولا؛ الذي وقفنا عليه في هذه المسألة حديث صححه أو حسنه الشيخ الألباني –رحمه الله–تعالى– في السلسلة الصحيحة كما جاء في كتابه من حديث أبي أُمامة –رضي الله عنه– ((أن رجلا "وقيل هذا الرجل هو أبو ذر كما في إحدى الشواهد من هذا الحديث" سأل الرسول صلى الله عليه وسلم أَنبياً كان أدم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم نعم نبيٌّ مكلم، فسأله كم كان بينه وبين نوح قال عشرة قرون فسأله كم كانت الرسل يا رسول الله قال ثلاثة مئة وخمسة عشر)) هذا الحديث يدل على أن أدم عليه السلام كان نبياً؛ أو كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم قال كان نبياً مكلماً يعني يكلمه الله عز وجل أو يأتيه الوحي أيضا لكن لم يبعث بالرسالة يعني إنما كانت تُأمر، وأدم عليه السلام هو أول من نزل إلى الأرض و لم يكن عليها أحد البتة من بني أدم فلذلك ما كان الشرك قد وقع أصلا في الأرض؛ فكما قال عبد الله بن عباس رضي الله

عنهما ((كان بين أدم ونوح عشرة قرون كُلُها على الإسلام))ويعزز قول ابن عباس هذا حديث أبا أمامة هنا مرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنه كان بينهما عشرة قرون؛ فعلى ذلك يكون نوح عليه السلام هو أول رسول إلى أهل الأرض بعد ما طرأ عليهم الشرك؛ لأنه قبل نوح ما حدث الشرك في بني أدم وإنما قول ابن عباس والذي يحتمل الرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكانت بداية الشرك في قوم نوح عليه السلام؛ ومن ثمَّ أُرسل إليهم حتى يدعوهم إلى التوحيد وإلى ترك عبادة هذه الأنصاب التي نصبوها عند قبور هؤلاء المعظمين عندهم، كما أيضا ثبت عن ابن عباس عند البخاري أنه قال عن ود ويغوث ويعوق ونسرَ وسواع قالوا أسماء رجال صالحين كانوا في قوم نوح عليه السلام فلما ماتوا عكفوا على قبورهم وقالوا أنصبوا عندها أنصابا حتى إذا مات هؤلاء وتنسَّخ العلم عبدوهم؛ أي الذين جاءوا من بعدهم، فهنا كانت بداية رسالة نوح عليه السلام أُرسل كي يدعوا هؤلاء إلى ترك عبادة الأنصاب أي الأصنام القبور التي نصبوها عند قبور هؤلاء الصالحين الذين كانوا يعظمونهم، فلذلك هذا أيضا يدل على قول من قال أن إدريس عليه السلام كان رسول قبل نوح لا يصح وإنما قد يكون إدريس عليه السلام بعد نوح عليه السلام وليس قبله.

وأخرهم محمد صلى الله عليه وسلم هذا بإجماع الأمة أن أخر الرسل هو محمد صلى الله عليه وسلم وليس بعده رسول ولا نبي وهو خاتَم الرسل وخاتَم الأنبياء وهذا بنص كتاب الله عز وجل كما قال سبحانه ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾، والفرقة (....)التي ظهرت في أوائل هذا القرن والذين يدعون النبوة والرسالة لرئيسهم أو لأميرهم أحمد الطلياني هذا الملقب بغلام الله أتوا إلى هذه الآية وقالوا إنها تقرأ هكذا (خاتِم النبيين)بالكسر أي دين النبيين حتى يخرجوا من عهدة دلالة هذه الآية ويثبتوا الرسالة لزعيمهم وهو كاذب بنفسه، وظهور أدعياء النبوة هذا من علامات الساعة التي أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم وكما جاء في الحديث ((يكون بين يدي الساعة ثلاثون يدَّعون النبوة كلهم كذبون)) أو كما قال صلى الله عليه وسلم، وخاتَم وخاتِم كما جاء في بعض كتب الأخرى تقرأ على الوجهين يعني يصح أن يكون خاتِم بالكسر أي بمعنى أخِر أيضا؛ يعني خَاتِم أو خَاتَم حتى ولو سلمنا لهم أنها تصح تقرأ هكذا بالكسر فأيضا لا دلالة لهم صريحة في الآية الدلالة الصريحة أنه أخِر الرسل لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم.

وكل أمة بعث الله إليهم رسولا من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل : 36]، وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله .

يعني أن الرسل جميعاً كان أصل دعوتهم واحداً؛ فكلهم يدعون إلى عبادة الله وحده وينهون عن عبادة الطاغوت، وسوف يأتي معنى الطاغوت والدليل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ والاجتناب أقوى في المعنى من الترك؛ أي أن يكون الموحدون المسلمون في جانب وهذه الطواغيت التي تعبد من دون الله في جانب أخر فهذا على نحو قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ أيضاً هذا يدل على قوة التحريم لهذه الأربع لأنه حرم بصيغة فاجتنبوها، ولا يصح إيمان العبد إلا بالكفر بكل ما يُعبد من دون الله يعني لا يصح الإيمان بالإقرار لله عز وجل بالألوهية والربوبية فقط دون نفي الإلهية عما سوى الله و نفي الربوبية عما سوى الله.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة، إبليس لعنه الله،ومن عبد وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه ومن ادعى شيئا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ (البقرة: 156) ,وهذا معنى لا اله الا الله

الطاغوت لغة :من الطغيان وهو تجاوز العبد؛يقال طغى الناس أي تجاوزوا حدهم **والطاغوت اصطلاحا**:

جاء عدة أقوال عن السلف أخرجها ابن جرير في تفسيره؛

وأول هذه الأقوال: هو الثابت عن أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو عمر -رضى الله عنه- هو الوحيد الذي ثبت عنه تفسير الطاغوت من الصحابة كما أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم بسند حسن أن عمر قال الطاغوت هو الشيطان.

القول الثاني: أنه كاهن هذا جاء عن مجاهد وأبي ... ،

القول الثالث: أنه هو الذي يدَّعي علم الغيب.

القول الرابع: هو كل ما عُبد من دون الله.

هذا الذي جاء عن السلف في القرون الأولى من الهجرة وبالأصح أن القول الرابع هو أشمل وأجمع الأقوال لأنه يشمل الثلاث الأقوال الأُوَل، وهذا الذي قال بهذا القول الرابع هو الإمام مالك رحمه الله تعالى وأيضا رجحه واختاره ابن جرير في تفسيره، وحيث قال ابن جرير "والصواب من القول عندي في الطاغوت أنه كل ذي طغيان على الله؛ ما عبد من دونه إما بقهر منه لمن عبده وإما بطاعة مِنْ مَنْ عَبَدَهُ إن كان ذلك معبود أو شيطانا أو وثن أو صنم أو كان ما كان من شيء" هذا قول ابن جرير، وقال ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز بعد أن ذكر الأقوال السابقة "فمجموع هذا يقتضي أن الجبت والطاغوت هو كل ما عُبد وأُطيع من دون الله" وكذلك قال مالك

-رحمه الله-، وقال ابن كثير في تخريج قول عمر أن الطاغوت هو الشيطان "ومعنى قوله في الطاغوت انه الشيطان قوي جدا لأنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها" ولذلك أعده الإمام محمد عبد الوهاب رحمه الله الرأس الأول من رؤوس الطواغيت والأمر قريب لأن المعاني كلها تصُب في معين واحد فإن كل ما عُبد من دون الله ما هو إلا من الشيطان مآلُه إلى الشيطان إن من عبد من دون الله من أولياء الشيطان بلا شك فمن فسر الطاغوت بالشيطان نحو عمر رضي الله عنه إنما فسره بِمَآلِه ومن فسره بأنه كل ما عبد من دون الله فهذا لم يخرج عن كونه فسره بما يقول أو فسره بالشيء الذي يقوم مَآلُه ونهايته الشيطان لذلك قال خليل الله إبراهيم عليه السلام لأبيه ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴾ رغم أن أزر ما عبد الشيطان مباشرة إنما كان يعبد هذه الأصنام التي كان يعبدوها قومه ولكنه جعل من جنس عبادة الأصنام عبادة الشيطان وهذا بلا شك هو المتعين لأن الذي يزين عبادة هذه المعبودات الباطلة هو الشيطان والذين يعبدون الجن إنما يعبدون الشيطان والذين يعبدون الكهان إنما يعبدون الشيطان وحتى الذين يعكفون عند القبور والأموات قاصدين عبادة الأموات في داخل هذه القبور إنما هم في الحقيقة الأمر يعبدون الشيطان لأن الشيطان هو الذي يصور لهم هذه الخرافات التي تغرهم لعبادة هؤلاء الأموات، ولذلك هذه الضجة التي قد أثيرت منذ سنوات هنا في مصر عن ظهور طائفة من الشباب النَتِنْ سُموا بعبادة الشيطان وأُقيمت الدنيا وأُقعدت كأن الأمر جديد ما أتو

بشيء جديد هم عبدوا الشياطين الجن من الشياطين على طريقة من سبقهم من المشركين فتعجب أن الناس اشمأزت نفوسهم يعني من المسلمين أو الموحدين من حال هؤلاء ولا تشمئز نفوس بعضهم من عبدت الأموات نعم الذين يعبدون الأموات رغم أن الفريقين مشتركين في عبادة الشيطان، يعني يقوم هذا الواعظ بإصدار شريط كما قال يواكب الحال يسميه بعبدة الشيطان ويروج له وما عهدناه يهتم هذا الاهتمام بعبدة الأموات الذين هم يعبدون الشيطان أيضا، وكأن هؤلاء يريدون ضجة إعلانية فقط ليس الأمر عقيدة عندهم لأنهم يفرقون بين المتماثلات فالشيطان هو أصل الشرك كل مشرك مأله في نهاية الأمر إلى عبادة الشيطان ولذلك صدق عمر لما قال الطاغوت هو الشيطان وأما ما اشتهر عن ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى والذي نقله المصنف هنا وأيضا لا يخرج عن هذه التعريفات السابقة ويعد جامعا لها فهو لم يأتي بشيء جديد إنما هو لخص أقوال من سبقه وزاد في الحد بعض الكلمات التوضيحي ة للتوضيح؛ فمالك لما عرف الطاغوت قال "إنه هو كل ما عُبد من دون الله "وجرى على ذلك ابن جرير و ابن جرير أيضا فصل حيث قال "إنه كل ذي طغيان على الله فعبد من دونه إما بقهر منه لمن عبده وإما بطاعة مِن مَن عبده" فهذا أيضاً قريب من تفسير ابن القيم ليس بعيدا عنه؛فابن القيم فسر أي أنه أتى بتفسير ابن جرير ولخصه بهذه الكلمات؛ فابن القيم قال "كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع"؛وهنا ابن جرير قال ايش؟ قال "هو الذي عبد من دون الله إما بقهر وإما بطاعة فهذا على حسب ابن القيم معبود أم مطاع نفس إيش نفس التعريف،ابن القيم ما أتى بشيء جديد، ولكن الذين كما قال يصطادون في الماء العكر من القطبيين خوارج هذا العصر يتخذون تعريف ابن القيم ذريعة لأن تعريفه هو الذي اشتهر تعريف ابن جرير ما اشتهر بلفظ ابن جرير هذا وان كانوا عرفوا تفسير ابن جرير لأخذه متعلقاً لهم أيضا في الغلو في تكفير بعض العصاة من المسلمين من الحكام أو غيرهم تحت دعوة أو تحت إشارة المتبوع والمطاع من دون الله ولا يفرقون بين المستحل وغير المستحل فكل من أمر بمعصية الله سواء كان يستحل هذه المعصية أم لا يعتبرونه متبوع أم مطاع يدخل في حد الطواغيت قد يدخل في الحد لغة؛ نعم من تجاوز حده في أمره بالمعصية لكن هل يدخل في حديث اصطلاحا على قول من قال إن الطاغوت هو كل ما عبد يعني هل مجرد الطاعة لشخص كائناً من كان في معصية الله تعد عبادة لهذا الشخص؟ لا تعد عبادة إلا إذا عظم هذا الشخص في طريقة تعظيمه كتعظيمه للإله أو الرب واعتبر أن طاعته مقدمة على طاعة الإله أه هنا تصير طاعته شرك أكبر فالذين يأمرون بالقوانين المخالفة لشرع إذا

اعتقدوا أن هذه القوانين هي مقدمة على شرع الله عز وجل وهي الأوجب في التحاكم والتصديق وألزموا الناس بها من هذا الباب وهذا المعتقد أنهم اعتقدوا أنها الأفضل من شرع الله فبلا شك يصدق عليهم نعم حد الطاغوت ولكن ما نستطيع أن نجزم بهذا على كل حكام المسلمين على طريقة الخوارج حتى تأتي البينة الظاهرة؛ الحجة الواضحة والتي يقوم لنا عليها برهان عند الله في تكفير هؤلاء الحكام؛ فمن باب أولى أن يصدق هذا على رؤوس أهل البدع الذين يتزهون أتباعهم بالبدع والأهواء سواء من رؤوس التصوف أومن رؤوس التحزب فلو جرينا على مجراهم لقلنا إن حسن البنا يعد طاغوت وإن سيد قطب يعد طاغوت لأنهم عظموا هذين الشخصين وقدموا كلامهما على كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطبعا الذي يبلغ به هذا الحد يخشى عليه أن يقع في الشرك أو الكفر وهو بلا شك لم يسلم من البدع الكبرى التعظيم والتقدير لرجالا وللشيوخ وللأشخاص يحول هؤلاء المتبوعين إلى طواغيت على حد تعريف هؤلاء وقد يصل أحدهم إلى هذا بالفعل فعند المتصوفة هذا محي الدين العربي الذي يسمونه بالشيخ الأكبر الذي دعا إلى عقيدة وحدة الوجود وعقيدة الحلول والإتحاد هذا يعد طاغوتاً بلا شك عند الصوفية، وقد كفره جمهور أهل العلم؛ محي الدين العربي وابن...وابن.. طواغيت المتصوفة هم يعترفون بهذا يسمون محي الدين هذا بالشيخ الأكبر يعني أكبر من الصحابة ومن أكبر من كل من سبقه ويقولون عن هذا الذي يسمى بالمرغني خاتم الأولياء هذا هو يعد طاغوتاً أيضاً وهو واقع فيما وقع في ابن عربي هذا وأكثر وللأسف بسبب ضعف التوحيد و ضعف الانتماء للسنة عند بعض البلاد التي تطبع الكتب كمقر رسمي للأسف نحو المجلس الأعلى للشؤو ن الإسلامية هنا في هذه البلاد قد غلب عليهم التصوف حتى طبعوا أخيراً هذا التفسير الذي يسمى بتاج التفاسير لمحمد عثمان المرغني وكتبوا على الغلاف مابين القوسين الخاتَم، لا ندري ختم أي شيء!فأما المقصود أن هؤلاء المتصوفة رؤوس هؤلاء المتصوفة هم الأحق أن يسموا بالطواغيت؛ فهذا الذي يوصي قبل موته أن يبنى له مقام يدفن فيه في مسجد بناه ويأمر بهذا ويصير قبره وثناً يعبد من دون الله بعد موته هذا أحق أن يسمى طاغوت لأنه تجاوز حده ووصى بما به يتجاوز العباد حده فكما قال المصنف هنا عن رؤوس الطواغيت أنها خمسة إبليس وهو الشيطان لعنه الله و من عبد وهو راض؛الذي يعبد وهو راض هذا طاغوت بلا شك، أما الذي يعبد بغير رضاه نحو المسيح عليه السلام وحسين رضي الله عنه فلا نسمي هؤلاء طواغيت لأنهم ليسوا راضين بهذه العبادة،

فطبعا أعظم إنسان عبد وهو راض هو فرعون الذي قال ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾وهو مثال إلى الرأس الثالث من رؤوس الطواغيت من دعا الناس لعبادة نفسه فرعون عليه لعنة الله والرأس الرابع من ادعى شيء من علم الغيب ويدخل في هذا العرافون والكهنة الذين يدَّعون علم الغيب وبلا شك من رؤوس الطواغيت رؤوس التشيع والرفض هذا لؤلؤة المجوسي قاتل عمر الذي هو الطاغوت والذي صيروه إلها ؛ صار إلها عند الرافضة يتمسح بقبره ويطاف به ويعظم أشد التعظيم صار وثن يعبد من دون الله عندهم ويسمونه بشجاع الدين ولي الله وليس هو ولي لله إنما هو من أولياء الشيطان؛ وأخيراً قال من حكم بغير ما أنزل الله وهذا كما بينا يعد طاغوت إذا استحل الحكم بغير ما أنزل الله استحلالاً اعتقادياً؛ يعني صرح أو قال بأن الحكم بهذا القوانين التي وضعها البشر حلال ليس حرام وهي أفضل من شرع الله فالاستحلال شرط في تكفير الحاكم الذي حكم بغير ما أنزل الله أو الجحود أن يجحد شرع الله عز وجل أو أن يمتنع بقلبه عن قبول شرع الله عز وجل، أما الذي يحكم بهذه القوانين على سبيل الشهوة والمعصية فقط دون أن يعتقد أفضليتها على شرع الله فهذا قد وقع في كبيرة من كبائر الذنوب؛ فالخوارج لا يفرقون هذا التفريق إنما كان يقول أحد دعاتهم على منبر للأسف مسجد التوحيد الذي كائن بشارع رمسيس هنا بالقاهرة هو كان يعتبرونه من أكبر فضل المساجد التي تجمع من يظهرون التوحيد والسنة ولكن تبين بعد ذلك أنهم ليسوا على عقيدة أهل السنة، كان يقول صراحة في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ "هذا لا يحتمل إلا الكفر الأكبر" فقط ويقول إنه معرف بالألف واللام يخالف لهذا الكلام إجماع السلف الصالح وهو كان أداة الطعن والغمس في أثر ابن عباس رضي الله عنه الذي فسر بهذه الآية والذي جاء عنه بأكثر من طريق والذي قال فيه لما سئل عن الكفر في هذه الآية قال "كفر دون كفر ليس الكفر الذي تذهبون إليه؛ ليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله"؛فجعل ابن عباس الأصل في هذه الآية الكفر الأصغر وليس الأكبر نحو بقية الكبائر من الكبائر العملية فدل تفسير ابن عباس على أن الكفر بغير ما أنزل الله هو كفر عملي أصغر مادام لم يستحل وأنه من الكبائر العملية نحو الزنا وشرب الخمر لا يتحول إلى الكفر الأكبر إلا باستحلاله؛ ولذلك قال ابن القيم في كتابه حكم تارك الصلاة لا شك أن الحكم بما أنزل الله من الكفر العملي ليس الأصل فيه أنه كفر اعتقادي كما يدندن هؤلاء الخوارج ولكنهم أرادوا أن يزينوا بدعتهم مخالفين إجماع السلف الصالح

ولذلك لم يدل الإمام أحمد أيضا على هذه الآية كما نقل هذا محمد بن.... في كتابه تعظيم قدر الصلاة وأيضا نقله ابن أبو يعلى في طبقات الحنابلة وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى، لما سئل ابن .. في هذه الآية قال ليس كفر ينقل عن الملة؛ الأصل فيه ليس كفر ينقل عن الملة وهذا الذي عليه أئمة هذا العصر وقد توافرت فتواهم في فتوى واحدة ابن باز والألباني والعثيمين وصارت فتواهم عليها المعتمد في بداء الأمر الفتوى الشهيرة التي أفتى بها الألباني وأقرها ابن باز وخرجها؛ وأقرها وعلق عليها ابن عثيمين لذلك قال الإمام ابن باز هنا في تعليقه على الأصول الثلاثة " وقد أجمع أهل العلم ـــ رحمهم الله ـــ على أنه لا يسع أحدا من هذه الأمة الخروج على شريعة محمد - صلى الله عليه وسلَّم-، وأن من اعتقد ذلك؛ فهو كافر كفرا أكبر مخرجا من الملة " فقيد هذا بالاعتقاد ليس بمجرد المخالفة العملية هؤلاء لا يعتبرونه اعتقاد يعتبروه مجرد المخالفة دليل على الاعتقاد؛ وقال أيضا ابن باز هنا "وكذلك من حكم بغير ما أنزل الله متعمدا "وأحيانا بعض العلماء يعبرون عن الاعتقاد بهذا اللفظ معتقداً أي متعمداً وهذه الكلمة من الإمام ابن باز يجب أن تفهم على الكلام المتواتر عنه؛ هذا ليس من على المخصص هذا من باب تفسير الكلام بعضه ببعض فقوله هنا متعمداً على نحو قوله في تعليقه على فتوى الألباني معتقدا مستحلا حيث فرق بين مستحل وغير مستحل في تعليقه على فتوى الشيخ الألباني .

وهذا معنى لا إله إلا الله .وفي الحديث "رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله " والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى أله وصحبه وسلم.

والآية التي استدل بها المصنف بلا شك هي واضحة وضح الدلالة على ما سبق وفي قوله ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ فيه دليل على أنه لا يُجْبر أحد على الدخول في الإسلا م وهذه الآية ليست منسوخة حيث أن أهل العلم قالوا بنسخ هذه الآية بأية السيف ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ الظاهر أنه لا تعارض بين الآيتين؛ كما ثبت في حديث أبي هريرة عند الإمام مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر القائد الأمير الذي يخرج لجهاد المشركين أن يخيرهم بين ثلاثة الإسلام أو الجزية أو القتال فإن أبو الإسلام فيقرهم على دينهم على أن يدفعوا الفدية فهذا معنى قوله لا إكراه في الدين لا يغصب أحد على دخول الإسلام من المشركين إنما يُدعى ويرغب في الإسلام؛ فإن أبى

فيلزم بدفع الجزية فإذا دفع الجزية يؤمن على ماله وعلى عرضه وعلى نفسه وعلى ما دام لم يأتي بناقض من نواقض عقد الجزية بينه وبين المسلمين؛ وهذا هو معنى لا إله إلا الله أي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله؛ لكن الطاغوت هو إثبات العبودية لله وحده معنى لا إله إلا الله، وفي الحديث رأس الأمر الإسلام "هذا الحديث قد أخرجه الترمذي من طريق عاصم بن أبي مجوس عن أبي وائل عن حذيفة مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أبو أروى هو شقيق ابن سلمى قيل أنه لم يسمع من حذيفة ولذلك مال العلامة الألباني رحمه الله تعالى كما في الإرواء الغليل إلى أنه لم يثبت من هذا الحديث إلا قوله "وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله" حيث أتى لهذه الفقرة شواهد معذرة هذا الحديث معاذ ليس حذيفة عن أبي وائل عن معاذ فحديث معاذ هذا حديث طويل هذه فقرة من فقراته، والشيخ الألباني رحمه الله تعالى كما بينا قال في أخر تحقيقه في إرواء الغليل أنه معلل للانقطاع في كل طرقه إلا فقرة "وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله" استدل بها صاحب كتاب منار السبيل قال إن لها بعض الشواهد وإن كان قد صححه كاملاً في صحيح الجامع أو في صحيح الترغيب والترهيب والله أعلم بالقول الذي استقر عليه الشيخ الألباني ولكن ظاهر الأسانيد يدل على ما قاله في إرواء الغليل هذا لا يصح من حيث الإسناد .

ومعنى قوله رأس الأمر الإسلام هذا بلا شك معناه صحيح كل الرسل بعثوا بالإسلام وهو رأس الأمر والإسلام أصله التوحيد وكما قال الشيخ زيد المخلى هنا"والإسلام الذي دَعَى إليه النبي هو أول ما دعى هو الاستسلام لله والانقياد لله عز وجل بالطاعة وللرسول صلى الله عليه وسلم بالمتابعة وفي حديث جبريل سماه النبي دينا وأول مرتبة من المراتب التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل فلا غرابة أن يكون رأس الأمر إذ بالإسلام يعصم الدم حتى إن كان منافق بالباطن فمجرد إظهار الإسلام دون أن يأتي في الظاهر بناقض من نواقض الإسلام يعصم دم هذا المنافق في الدنيا طبعا ويعصم ماله ويعصم عرضه ويكون لصاحبه الحقوق الإسلامية والحقوق الإيمانية وقوله وعموده الصلاة وذلك لأهميتها كما قال الشيخ زيد اذاً أول فريضة فرضت على النبي بعد دعوته لحقيقة الإسلام والإيمان وذروة هي الجهاد في سبيل الله وهذا واضح بلا شك؛ لأن الجهاد هو الذي به تكون كلمة الله هي العليا وبه ترتفع راية الإسلام على ارض الله وهو بلا شك من أعلى المراتب التي قد يصل إليها العبد المؤمن لأن الذي يخرج للجهاد أي للقتال الأعداء الكافرين ويتعرض لهذه الفتنة الشديدة ويثبت على هذا بلا شك هذا قد حصَّل الدراجات العليا لذلك كانت الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله وأعلاها الفردوس؛

أعلى الجنة ووسط الجنة ولذلك كان الذين يقتلون في سبيل الله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ فالشهداء في أعلى الدرجات في الجنة بعد النبيين والصديقين ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾فالجهاد الأكبر هو القتال في أرض المعركة؛ قتال المشركين ليس جهاد النفس كما روي في الحديث الضعيف إنما جهاد النفس من الجهاد بلا شك ولكنه ليس كقتال المشركين على أرض المعركة، ولذلك لما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن عصمة الشهيد من فتنة القبر قال الرسول صلى الله عليه وسلم((إن الشهيد يُأَمَنْ من فتنة القبر فأجاب الرسول صلى الله عليه وسلم كفى بِبَارِقة السيوف على رأسه فتنه)) هذا أمر يلمسه كل من تعرض لهذا الأمر حتى بهذه الأسلحة الحديثة هي فتنة شديدة ليست هينة فالذين يجاهدون الكفار هم في عبادة من أعظم العبادات التي تقرب إلى الله عز وجل؛ ولذلك تمنى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه خرج مع كل غزوة مع كل إيه مع كل سرية وكذلك أيضا قال كما في الحديث الصحيح ((هل يستطيع أحدكم أن يدخل مسجده ويصلي فلا يقصر عن الصلاة ويصوم فلا يفطر فقالوا لا يا رسول الله فقال فذلك أجر المجاهد)) أو كما قال له أجر مَنْ من يصلي فلا يقصر عن الصلاة ومن يصوم فلا يفطر وإن ترى المجاهد لا يهتم بطول حسناته يعني مد حافر الطرف كلما قطع خطوة أو شوطا كل هذا حسنات تجري للمجاهد؛فالجهاد أمره عظيم بلا شك فكان ذروة سنام الإسلام ولكن المقصود بالجهاد إيه؟ الجهاد الشرعي ليس قتال الخوارج وحرب العصابات هذا ليس من الجهاد، وأيضا من الجهاد طلب العلم بل من أعلى مراتب الجهاد بعد القتال بل قد يكون قرينا للقتال في سبيل الله لأنه بلا علم لا يكون جهاد بالسيف فإن جهاد السيف قرين جهاد الحجة والبيان بل إنه قد يعجز المسلمون في كثير من الأزمنة نحو هذا الزمان عن الجهاد بالسيف ولكن الجهاد بالحجة قائم في كل الأزمنة؛ الجهاد بالحجة والعلم ولذلك قد أطلق الله سبحانه وتعالى على الذين يخرجون في طلب العلم لتفقه أنهم نفرٌ كما قال هذا عن المجاهدين أي في القتال فقال تعالى ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾فسمى الذين يخرجون لطلب العلم؛ الذين يرحلون لطلب العلم وينفرون في سبيل هذا العلم نفير كنفيرهم في الجهاد كما قال سبحانه أمراً عباده ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ هذا في القتال وكذلك أيضا في طلب العلم فالنفر يكون للقتال و يكون أيضا

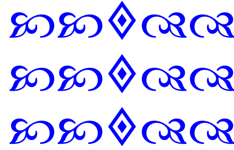
لطلب العلم ولذلك قال سبحانه ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾و قال سبحانه ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

هذا ما تيسر في شرح هذا المتن المفيد النافع إن شاء الله

نسأل الله أن يتقبل منا هذه المجالس وأن يجعلها في موازين حسناتنا

وأن يغفر لنا ما قصرنا وما زلت به ألسنتنا وأن يتقبل عملنا بمنه وكرمه إنه سبحانه جواد كريم

وصلى الله على محمد وعلى أله وصحبه وسلم.



الأسئلة:

يقول السّائل: هل يُحتج الدعاء بـــ..إذنٍ من الله وقت المطر بحجة أن أبواب السماء مفتوحة و يُقبَل الدعاء في هذا الوقت؟

نعم، هذا السؤال قد أجبت عنه في المجلس الأخير ولكني قد علقت الأمر بقصة الحديث وقد راجعت ما قاله الشيخ الألباني رحمه الله تعالى فوجدت أنه قد حسّن الحديث كما في السلسلة الصحيحة وأن الدعاء يُقبل أو لا يُرد عند التقاء الجيوش وعند إقامة الصلاة وعند نزول المطر، فهذا وإن كان لم يَرِد بإسناد صحيح أو حسن لذاته إلاّ أنه كما قال الشيخ الألباني فقد أورد له عدة شواهد في التعليق الرغيب على صحيح الترغيب والترهيب يعني بها يُحَسّن الحديث عنده -رحمه الله تعالى-.

هل كل من الإرادة والمشيئة ينقسم إلى قول خبري والى شرع ديني و جزاكم الله خيرا .

الإرادة تأتي على نوعين:

-الإرادة بمعنى المحبة وهذه هي الإرادة الشرعية الدينية لأن الله سبحانه وتعالى لا يحب إلا ما شرعه وأمر

به -عز وجل-.

-النوع الثاني الإرادة الكونية وهي التي بمعنى المشيئة ويدخل في هذا إرادة الكفر وإرادة المعصية فإن الله قد أراد الكفر كونًا وأراد المعصية كونا أي شاء هذا سبحانه لحكمة ولكنه لا يحب هذا ولا يرضى به فليس معنى أن الله قد شاء هذا وأراده كونًا أنه أراده شرعا أو أنه يحبه ويَشْرَعَهُ لا ليس هذا ، فالإرادة أعم من المشيئة والإرادة يدخل فيها الإرادة الدينية والإرادة الكونية، والإرادة الشرعية هي التي بمعنى المحبة و الرضى وأما الإرادة الكونية فهي التي بمعنى المشيئة أو هي المشيئة.

بسم الله الرحمن الرحيم بارك الله فيكم شيخنا " {أخي} حدثني وقد استدل لي بحديث .. محمد بن عبد الوهاب((إذا زوّج أحدكم خادمَهُ فلا ينظر إلى ما بين السرة والركبة " أو كما قال، فهل الحديث .. كما اعتنى به الشيخ مشهور حسن ووجدت بأنه ذكر تضعيف هذا الحديث من ضعيف الجامع للشيخ الألباني.

هذا الحديث كان الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- قد حكم عليه بالضعف في السلسلة الضعيفة في المجلد الثاني برقم 956وكان رحمه الله في هذا الموضع قد بيّن أن مدار الحديث هو على سوَّار أبو حمزة الصيرفي وأنه هو السبب في وقوع الاضطراب في هذا الحديث، حيث إن الحديث قد حدث اضطرابه في لفظه واللفظ الذي ذكره السائل هنا ((إذا زوج أحدكم خادمه)) هو اللفظ الذي ورد في سنن أبي داود وفي غيره ((إذا زوج أحدكم عبده أو أجيره)) وفي لفظ ((أَمَتَهُ فلا ينظر إلى ما بين السرة والركبة)) وجاء أيضا على وزن آخر وهذا من الاضطراب الذي وقع في الحديث أنه ((إذا زوّجَ أحكم خادمه أو أجيره أو أمته فلا تنظر)) -فعاد الضمير على السيد- ((إلى ما بين السرة والركبة))، وهذا اللفظ الثاني هو الذي مال إلى ترجيحه الشيخ الألباني حيث أنه حكم بضعفه في "الضعيفة" حيث أنه قد رجّح هذا اللفظ لأنه قد ورد من طريقين ضعيفين ولكن الطريقين يُعَضِّدان اللفظ الآخر على اللفظ الأول الذي أتى من طريق واحد، فيكون الحكم متعلقا بالسيد الذي له أمَة أو له عبد، فإن كانت له أمَة وتزوجت فإنها لا يَحِلّ لها أن تنظر إلى ما بين السرة والركبة بالنسبة لسيدها، وهذا الأمر يتعلق بالعبد أو الأمة ولا يتعلق طبعا بالخادم الذي ليس عبدا وليس أمة، وهذا الأمر يكون في حال قوة المسلمين، لما يصير للمسلمين

القوة فيأتي منهم الكافرين فيتحول الكافر الأسير إلى عبد أو إلى مملوك لهذا المسلم.

والثاني فالشيخ الألباني كأنه تراجع عن تضعيف هذا الحديث بعد ذلك ولذلك أورده في صحيح أبي داود و..أنه حسنه مشهور حسن وأورد هذا الحديث صاحب كتاب "تراجعات الألباني" في القسم المتعلق بتراجعه رحمه الله تعالى من التضعيف إلى التحسين أو التصحيح، هذه من الأحاديث التي تراجع عن تضعيفها العلامة الألباني -رحمه الله-.

هل التقية يمكن استخدامها في حالة خوف من الظلم أم أنها مُقيدة بالخوف من الكفار فقط؟

نعم ويدخل فيها أن تخاف من ظلم الكفّار والظلم الذي لا تتحمله وهذا إذا كنت مضطرا إلى العيش في وسط الكافرين أو إذا كنت في بيئة قد غلب عليها الكفار أو المشركون، فلا مانع أن تتخذ التقية من أجل أن تتقي شرهم وتتقي غدرهم وغشهم إذا كنت تخشى على نفسك.

هل مدح المسلم لحضارة الكافرين مثل أن يقول إنهم متقدمون أو نحو هذا، هل يُعَدّ من الموالاة أم لا ؟

على التفصيل الذي ذكرناه، إذا كان يمدح حضارة الكافرين إعلاءً لهم وإعلاءً لمكانتهم على المسلمين واحتقارا للمسلمين فإنّ هذا يدخل في باب الموالاة المحرمة، وقد يصل إلى حدّ التولّي المكفّر إذا كان يقصد بحضارتهم أيضا دينَهم ، إذا كان يعتبر أنّ من حضارتهم التدين بدينهم: يعني يعتبر مثلا من الحضارة أن تذهب إلى الكنيسة وأن تجلس فيها وتجالس هؤلاء في المراسم الدينية ويعتبر هذا من الحضارة ، هذا بلا شك من التولي المكفر الذي يكفر صاحبه ويرتدّ عن الإسلام، وأما من الموالاة المحرمة أنك مثلا تذهب إلى الكنيسة كي تهنّئ هؤلاء النصارى على أعيادهم أو على أفراحهم مثلا هذا يدخل في باب الموالاة المحرمة.

وأما إذا مدحت شيئا أحسنَ الكفار في صنعه، يعني من صنعهم مثلا في الدنيا و لم يكن قصدك أن تُعلِيَ قَدَر الكافرين على المسلمين إنما أنت مدحت شيئا صنعوه من باب إعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقه، يعني مثلا، قلت إن صناعة الكافرين لهذه السيارة أو لهذا الجهاز صناعة جيدة وهي أفضل من الذين صنعوا هذا الجهاز مثلا في مصر، هذا ليس فيه شيء ما دمت لا تعتقد تفضيل الكافرين على المسلمين إنما فضلت

صنعتهم التي أجادوا فيها وأحسنوا فيها، نعم هذا ليس فيه شيء مع الضابط الذي ذكرناه، بارك الله فيك

هل لي موالاة الكفار حيث إنّ زوجة أخي نصرانية كافرة فكيف أتعامل معها وكيف أدعوها للإسلام، حيث أنها ...جزاكم الله خيرا

بارك الله فيكم نحن أجبنا على هذا السؤال في أول الدرس هذا لا حاجة لنا فيه فقد أجبنا عنه، فعلى السائلة أن تعيد سماع الدرس مرة أخرى وسوف تجد الإجابة عن السؤال إن شاء الله .

هل بدعة تأويل الاستواء من البدع المكفرة أم المفسقة مع ورود النصوص الدالة عليها؟

الذي يظهر أنها من البدع المكفرة ولكن هذا على الإطلاق، على الإطلاق يمكن علُوّ الله عز وجل ويمكن استواءه على العرش هذا بلا شك من البدع المكفرة ولكن لا يقصد صاحبها إلا لتوفر الشروط وانتفاء الموانع، ولذلك لم يُعرَف عن السلف أنهم كانوا يكَفِّرون الأشاعرة ولا والماتريدية ولا من شابههم من أصحاب التأويل، إنما أطلقوا الكفر على الجهمية فقط، الجهمية الذين أنكروا كل الصفات فلم يُثبِتوا لله صفة بل عطّلوا جميع الصفات، الجهمية كفار بهذا الضابط أما الأشاعرة والماتريدية هم من أهل القبلة وإن كان يقع من بعضهم أحيانا بعض التأويل المكفر ولكنهم لا يدخلون في هذا لأنهم مؤوِّلون، إلاّ أن تُقَام الحُجّة على أحدهم ويصرّ على الإنكار والتأويل فهنا لهم حكم آخر، وطبعا إقامة الحجة تكون لأهل العلم .

ما حكم من يقول عن اليهود والنصارى أنهم أعداء الحياة ؟

هذه العبارة إن كان المقصود منها أنهم أعداء للدين و قصد بالحياة حياة القلب الذي يحيى بدين الإسلام فهذا حق، نعم، أنّهم أعداء لحياة القلب، لأنهم قد أماتوا قلوبهم بالشرك، أما إن كان يقصد أنهم أعداء الحياة بمعنى آخر، الله أعلم.

في أي نوع من أنواع الموالاة تدخل المقاطعة ؟

مقاطعة منتجات الكافرين – أي ترك البيع والشراء معهم – كما ذكرنا هذا مرارا في المجالس السابقة، إنّ هذه المقاطعة ليست مشروعة إلاّ أن يُلزِم بها وليّ الأمر الحاكم المسلم المُمَكَّن، ولكن إذا لم يُلزِم وليّ الأمر فلا يجوز لمسلم أن يُلزم غيره أو أن يُلْزِم حتى نفسه بأن يحرّم على نفسه مثلا شراء هذه الأشياء من الكافرين إلاّ إذا كان الشيء مُحَرَّمًا بذاته نحو الخمر والخنزير، فإنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم كان يبيع ويشتري مع الكافرين كما ذكرنا لهذا بعض الأمثلة في خلال هذا الدرس.

هل تجوز مصاحبة أهل البدع من أجل النصيحة ؟

الأصل عدم الجواز، الأصل أنه لا يجوز أن تصاحب مبتدعا، أي أن تتخذه صاحبا وصديقا، أو أن تؤاكله وأن تشاربه، فتكون معه في ممشاهِ وفي مخرجه وفي مدخله، هذه هي التي تُسَمَّى بالمصادقة والمجالسة، أن يكون جليسك وأن تكون جَلِيسَهُ هذا لا يجوز بالنسبة للمبتدع الذي أظهر بدعته، أما الذي يُخفي بدعته فأنت لا تدري لأنك قد تجالس الكثير من المسلمين وأنت لا تدري أنه على بدعة مثلا، إنّما الكلام على المبتدع الذي أظهر بدعته ودعا إليها وخاصم عليها وأنت تعلم هذا، فإذا جالسته فإنك قد وقعت في المخالفة، وأما المعاملة معه دون مجالسة أو مصاحبة فهي ليس فيها شيء أن تعامله من جانب الشراء، أو أن تَرُدَّ على كلامه إذا لم تكن في هجره المصلحة، يعني الأصل أن تهجر أهل البدع، والمقصود بأهل البدع، كما ذكرنا، الذين أظهروا بدعتهم ودعَوْا إليها وخاصموا عليها، الأصل أن تهجرهم وأن لا تسلم عليهم، وأن لا تجالسهم، ولكن إذا وُجِدَت المفسدة في هذا الهجْر فعليك أن تدرأ هذه المفسدة بالقدر الذي به تُحَقَّق المصلحة وتُدرء المفسدة .

والشيخ عبيد الجابري -حفظه الله تعالى -قد تعرّض لشيء من هذا في خلال شرحه الأصول الثلاثة فقال: الأصل هو هجر المبتدع، هذا هو الأصل هجره وزجره، إن كان مظهرا بدعتَه، لا نذهب إليه، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية، أنّ هجر المبتدع وزجره إذا كان داعيا إلى بدعته مُظْهرا لها، مُقَرِّرا لها، إلا إذا ترتب على هجره مفسدة أكبر من هجره فإنه لا يُهْجَر، نقول إذا كانت الغلبة والقوة لأهل السنة نفع هجْرُ المبتدع ونفع زجره، وإذا كانت الغلبة لأهل البدعة والشوكة لهم لا يُهجَر المبتدع خشية المفسدة لأنه مدار على تحقيق المصالح وتحصيلها ودرء المفاسد وتقليلها، وهذا أصلٌ عظيم، هذا هو

الضابط ولكن أيضا لا يعني عدم الهجر المجالسة والمصاحبة، عدم الهجر يعني: أنك تسلم عليه إذا سلّم عليك، أنه إذا سلمك ترد عليه ولا تظهر له الهجر، ولكن أن تجالسه وأن تؤاكله وأن تشاربه بغير حاجة وبغير ضرورة تستلزم ذلك، أو أن يكون جليسا لك دائما، هذا ليس من المصلحة ولا أدرأ للمفسدة.

ولذلك ثبت عن ابن عباس –رضي الله عنهما –أنه قال: ((لا تجالس أصحاب الأهواء فإنّ مجالستهم مُمرِضة للقلوب))، وأيضا قد تواترت الآثار السلفية التي تُثْبِتُ هَدْيَ السلف في ترك مخاصمة ومجادلة أهل البدع والأهواء .

وكان أخرج الدَّارمي في "سننه" والآجرّي في "شريعته" وغيرهما من أصحاب الاعتقاد بسند صحيح عن محمد بن سرين –رحمه الله– أنه مرّ به مبتدع صاحب البدعة فقال له: ((يا أبا بكر ائذن لي بكلمة، قال له: ولا بنصف كلمة))، وأيضا ثبت عن أبي قِلاَبَة – رحمه الله– أنه قال: ((لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم)) ففيها نتيجة لمجالسة ومجادلة ومخاصمة أصحاب البدع بحجّة بسيطة، الشيطان يدخل عليك من هذا الباب، يقول لك: اذهب إلى هذا المبتدع فجادِلْهُ وخَاصِمْهُ حتى تنصحه هذا ليس من البصيرة، إنما النصيحة تُترَك لأهل العلم وغيرهم الذين لهم القدرة على نُصح هذا المبتدع إن كانت النصيحة تنفعه.

وثانيا النصيحة التي تجوز تكون لمن يقبل النصيحة وأيضا تكون لصاحب البدعة الغير المُخاصم أو لمن وقع في بدعة لجهله من عامة المسلمين، هذا لك أن تناصحه مادام ليس متعصبا وليس مخاصِمًا وليس داعية إلى بدعته، وأما الدعاة والمخاصِمُون من أهل البدع فإنّ إقامة الحجّة عليهم أو فإن مجادلتهم من أجل رفض بِدْعَتِهِم أو من أجل نصيحتهم تُترَك لأهل العلم ولا تكون مُتاحة؛ فاحذر بارك الله فيك، احذر على نفسك واحذر على قلبك فإنّ السلف كانوا أشدّ خوفا على قلوبهم من مجالسة أهل البدع وخاصة الذين يُظهرون ويخاصمون على بدعتهم والله تعالى أعلى وأعلم.

يقول السائل: نقل عن الشيخ جميل زينو أنه يقول: "أن التوحيد ينقسم إلى أربعة أقسام ربوبية وألوهية وأسماء وصفات وحاكمية" فهل يلحق الشيخ جميل زينو بالخوارج ؟

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه, فنقول إجابةً على هذا السائل: إن بعض من ينتسب إلى أهل السنة جعل الحاكمية قسما من أقسام توحيد العبادة أو جعلها داخلة في توحيد العبادة, هذه السنة لها مشاحة في الاصطلاح, الذين قالوا هذا من أهل السنة يقصدون : " **إن الله سبحانه هو الذي له الحكم وحده الحكم الشرعي والحكم القدري والكوني**" هذا بلا شك يثبته كل موحد ويقر به ويؤمن بأن هذا من توحيد العبادة, ولكن الخوارج ما قصدوا هذا وإنما أرادوا كما أراد رأسهم في هذا الزمان سيد قطب أن يجعلوا هذه الحاكمية بالمعنى المحدث (هي أعظم شيء) وجعلوها مقدمة على توحيد العبادة لا منه, بدليل أن سيد قطب في خلال كتبه يصرح في أكثر من موضع " بأن التحاكم إلى غير كتاب الله " ولو في جزئية واحدة و لم يفصّل, هل هذا هو على سبيل المعصية أم على سبيل الجحود والاستكبار عن قبول حكم الله؟ " ويعدُّ هنا كفر بدون تفصيل", وما ذكر نحو هذه العبارة ولا أقل منها في من يشرك بالله في الدعاء فعظّم من شأن المعصية والتي هي تعني مخالفة حكم الله, فالذي يخالف حكم الله سبحانه وتعالى في مسألة من المسائل قد يخالف هذا الحكم, عن معصية أو عن شهوة أو عن شبهة أو عن هوى, وقد يخالف حكم الله استكبارا منه عن قبول حكم الله أو جحودا لهذا الحكم أو شكاً فيه, إلى آخر أنواع الكفر الأكبر, فترك الحكم بما أنزل الله يحتمل الكفر الأصغر الذي هو المعصية, ويحتمل الكفر الأكبر ولكنهم لم يقولوا هذا التفصيل, بل جعلوا كما أطلق هذا سيد قطب: جعلوا ترك الحكم هو الشرك الأكبر, يعني الشرك الأكبر عند هؤلاء الخوارج ترك الحكم بما أنزل الله دون تفصيل سواء كان هذا الترك على سبيل المعصية أم على سبيل الجحود أو الاستكبار أو الشك, ومن ثم فسّر أخو سيد قطب محمد قطب كلمة التوحيد بقوله أنها تعني: لا حاكم إلاّ الله.

وعلى الجانب الآخر أهملوا توحيد العبادة وأهملوا الشرك الأكبر بمعناه الصحيح, الذي يعني الشرك في العبادة, ومن غلوهم أيضا أنهم وضعوا هذه القاعدة التي أخذوها من سيد قطب, والتي قد صرّح بها في كتابه (معارف الطريق): "إن أخص خصائص التوحيد العبادة أو توحيد الألوهية هو توحيد الحاكمية" ,فهم لم يجعلوا توحيد الحاكمية إن صح إن سلمنا جدلا في الاصطلاح؛ لم يجعلوه داخلا في توحيد العبادة, بل جعلوه كما قيل: أخص خصائص التوحيد ويعنون بهذا هو الأهم, وهو الذي دارت عليه

دعوات الرسل ومن أجله حدث الصراع ما بين الرسل وأقوامهم, على هذا بنى محمد سرور زين العابدين (كتابه منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله) الذي نقده العلامة ربيع بكتابه الآخر(**منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل**) فالقوم غلوا في شأن الحاكمية هذه حتى جعلوها أهم وأعظم من توحيد العبادة, وعرّفوا الشرك الأكبر بها, فهم قالوا: "إن شرك القبور" أي الشرك في العبادة الشرك في دعاء الله " الذين يدعون غير الله هذا الشرك قد إندثر ليس له وجود الآن وإنما نحن الآن في شرك القصور" أي في شرك الحاكمية؛ هل قال هذا أحدٌ من الرسل والأنبياء؟! إن إبراهيم عليه السلام أرسل إلى قومه وكانوا يعكفون على التماثيل الأوثان, أي وقعوا في شرك القبور وفي شرك العبادة وفي الوقت نفسه كان معهم النمرود الملك الكافر الذي استكبر وتجبر وادعى الربوبية والحاكمية إن صح التعبير, فـــ إلى ماذا دعاه إبراهيم عليه السلام وإلى ماذا دعا قومه؟ هل قال لقومه عليكم بإفراد الله بالحاكمية أو قال لهم:" إن نمرود قد كفر بالله وأشرك بالله لأنه حكّم غير شرع الله" بلا شك أن الحكم بغير ما أنزل الله كما ذكرنا يحتمل الكفر الأكبر أو الأصغر, ولكنه ليس كفرا أكبر على الإطلاق وليس مساويا للشرك في العبادة, بل هو قد يكون من الشرك في العبادة (...) لكنهم ما أرادوا هذا هم أرادوا أن يقولوا للناس إن هؤلاء الحكام الذين حكَّموا هذه القوانين المخالفة للشرع, قد وقعوا في شرك أعظم من هؤلاء الذين يطوفون حول القبور ويتوجهون بالدعاء لأصحاب القبور, هم صرحوا بهذا حيث سفهوا من شرك القبور وقالوا: إن شرك القبور هذا ليس وقته الآن قد إندثر أو لا ينبغي أن ننشغل به أصلا وهو شرك في العبادة! وقالوا: " علينا أن ننشغل بشرك القصور", فأظن إن شاء الله بهذا البيان تتضح لكم المسألة.

